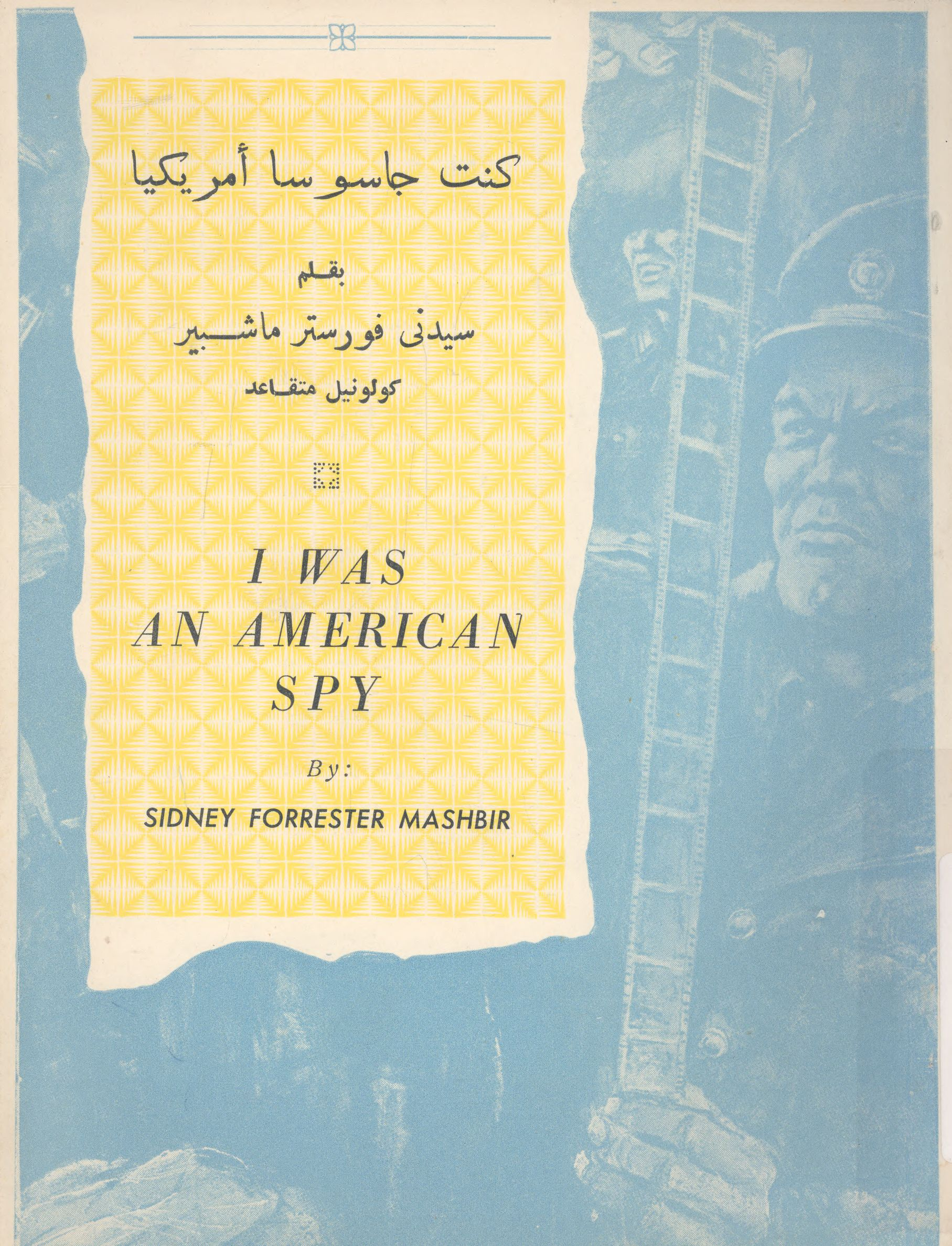
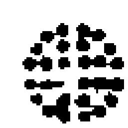

كنت جاسوسا أمريكيا
بقلم
سيدنى فورستر ماشبير
كولونيل متقاعد
I WAS
AN AMERICAN
SPY
By:
SIDNEY FORRESTER MASHBIR

كنت جاسوساً أمريكياً

بقلم

سيدنى فورستر ماشبير

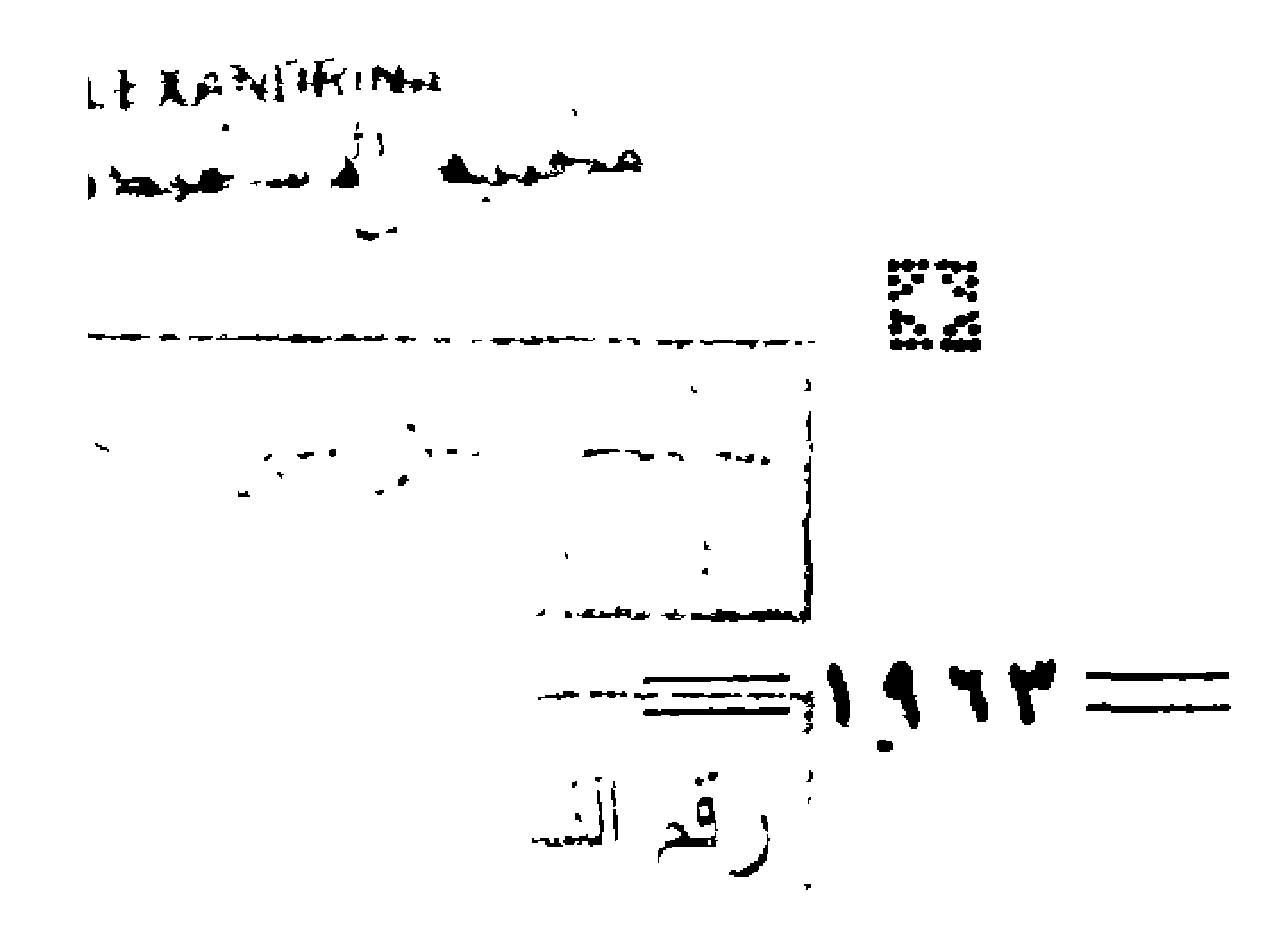
كولونيل متقاعد



I WAS AN AMERICAN SPY

By:

SIDNEY FORRESTER MASHBIR



١٩٦٣

هذا الكتاب :

« **كنت جاسوسا أمريكيا** » كتاب أصدرته فى سنة ١٩٥٣ ، شركة فانتاج بريس بنيويورك ، يقدم قصة حياة رجل تخيرصناعة الجندية وسيلة لغاية، وقدر أن يكون القتال هدفا ونهاية ؛ ولكنه قبل أن يخوض غمار أى معركة تحول الى عمل لم يقدره لنفسه ، ولكنه كان عملا يتطلب أن يتوافر فيمن يقوم به جرأة وصلابة ومضاء عزم ، فقد أرسل الى المنطقة الصحراوية على الحدود بين المكسيك واريزونا على مرمى جحر من خليج كاليفورنيا حيث كان السكان « من الهنود الحمر » ثائرين على الحكومة الفدرالية وكانت العلاقات بين المكسيك والولايات المتحدة مضطربة ثم أنه كانت هناك شائعات عن تسرب يابانى فى تلك المنطقة ٠٠٠ ونجح فورستر ماشبير فى عمله بسبب صبره وقوة احتماله ٠

وعمل سنيدنى فورستر ماشبير فى مكافحة الجاسوسية محاولا منع عملاء العدو من الحصول على أى معلومات فى منطقة القيادة الشرقية وكشف عن استخدام الالمان لبعض ضباط الصف الامريكيين ممن كانوا من اصل المانى ثم اكتسبوا الرعوية الامريكية بالاقامة ٠

وهنا تبدأ الدروس العملية التى صقلت من فورستر ماشبير وجعلته يتخصص فى اتجاه جاء عرضا دون قصد منه ودون تطلب من جانبه ، وتطورت الحياة بماشبير ٠٠٠ ورحل لليابان لدراسة اللغة اليابانية وقام بأكثر من مخاطرة ٠٠٠ ثم شغله التفكير فى التخطيط لمستقبل العلاقات بين اليابان والولايات المتحدة ٠٠٠ وترك الخدمة فى الوحدات العامة وعمل فى أكثر من عمل ٠٠٠ دون أن يغيب التخطيط الذى رسمه للحصول على

معلومات من اليابان فى حال قيام الحرب بينها وبين الولايات المتحـدة ، دون أن يغيب التخطيط عن عينيه ٠

ومع أن جهوده فى ميدان الاعمال المدنية حققت نجاحا وكان له دوره فى المجهود الامريكى للحـرب الا أنه كان يعتبره شيئـا على هامش مشروعه الاصلى (**الخطة م**) ٠

ثم عاد للخـدمة العاملة عنـد ما بدأت الحرب ، وكان على رأس هيئـة الترجمة ٠٠٠ الهيئـة التى ترجمت ملايين الوثائق واستجوبت عشرات الالوف من الاسرى وضـمت لغويين من شتى الملـل والنحل ٠٠ وبدأت بأفراد ثم انتهت بالالاف من الاساتذة اللغويين المهرةفى اللغات الاخصائيين فى الترجمة ٠

فالكتاب على ما نرى يقدم كفاح رجل لمدة ثلاثين سنة متصلة فى ميدان « **الحصـول على المعـلومات** » وكيفية حرمان العدو من الحصول بدوره على معلومات ٠

يصف التجارب العملية لتصيد الجواسيس واعداد الحلقات للحصـول على معلومات ، وجمع الفتـات من هنـا وهنـاك كتكملة خبر له دويه وله صداه ، ولكن للكتاب أهمية تفوق غيره من الكتب التى يتحدث أصحابها عن عملهم فى ميدان الجاسوسية ومكافحتها ٠

وترجع أهمية الكتاب لما يكشف عنه من :

١ ـ أهمية دراسة الشعب الذى سيعمل معه الفرد ، دراسـة اللغـة والعادات والتقاليد ٠٠ ، وتبعا لهـذا التعمق يكون من الممـكن الوصول الى اغوار بعيدة فى قلوب وعقول المسئولين ويكن تقدير ما سيقومون به من أعمال ذلك لان وجهات نظرهم فى الموضوعات الرئيسية الهامة تكون واضحة مقروءة ٠

٢ ـ الحذر والحيطة تجاه أعمال العـدو ··· ومقاومة الاغراء لتجنب الشباك التى توضع لتصيد الفرد على مثال ما يقصه ماشبير فى الفصل الخامس من كتابه عند ما حاولت المخابرات اليابانية تركه منفردا مع زميل له لوقت طويل فى غرفة مليئة بالخرائط السرية حتى يتنكب فى سرقة واحدة منها وبذلك يمكن ضبطه متلبســا بسرقتها للتخلص منه ٠

٣ ـ تجنيب العملاء الوطنيين الذين يمكن الحصول منهم على المعلومات خطر الوقوع فى أيدى بوليس الامن الذى يضعهم تحت الرقابة بسبب اتصالهم بالغرباء ٠

٤ ـ أهمية هيئات « الترجمـة » والدور الذى لهـا وضرورة امدادها بحاجتها من الافراد والادوات ليمكن أن تحقق نجاحا كبيرا ٠

٥ ـ أهمية سرعة نقل المعلومات التى تحصل عليها هيئة الترجمة سواء من اســتجواب الاسرى أو من ترجمـة الوثائق الى القيـــادات العسكرية المسئولة للانتفاع بها ٠

ان الرجل لم يقدم فى كتابه مبادىء بل قدم حوادث وترك للقارىء أن يستنبط منها الدروس ٠

صحيح أن الرجل كان يتحدث عن نفسه ولعل هذا يبدو مملولا أحيانا عند ما يطيل فى وصف أعماله ، ولكنها الطبيعة البشرية سيما وأن الرجل فى الواقع قد قام باعمال مجيدة فى فترات كثيرة من حياته ولكنها لم تحظى بنصيبها كافيا من التقدير ، وان كان هو لم يفصح عن هذا بل أرجع هدفه الاصلى الى محاولة ابراز الدور الذى قام به الرعايا الامريكيون الذين هم من أصل يابانى وفاء منه للدين الكبير الذى لهم فى عنق الامة الامريكية ٠

ان الحرب السيكلوجية والمخابرات ومكافحة الجاسوسية لهى من أهم الموضوعات الشائكة التى تواجهها الحكومات اليوم وكتاب الكولونيل ماشبير يعتبر حديثا تصويريا جيدا لهذه الموضوعات أو المشكلات بالاضافة الى أنه تسجيل جيد لحياة عميل وهب جهده كله لخدمة وطنه ٠

ان الكتاب كتاب يستحق أن يقرأ ٠

مقدمة المؤلف :

تقف أمريكا اليوم على شفى كارثة ونواجه أصعب أيام منذ أيام فالى فورج Valley Forge القرية الصغيرة فى جنوب بنسلفانيا التى عسكر فيها واشنطون بجنوده فى شتاء سنة ١٧٧٧ ـ سنة ١٧٧٨ ؛ ومن المزعج أننا نواجه أعداء من الخارج يتسمون بالبرود والطيش وحلفاء يمدون أعداءنا بمواد تصل قيمتها الى ملايين الدولارات ليقتلوا بها الامريكيين ، ولكن الحقيقة التى تثير الجزع أكثر من غيرها والتى يزداد احساسنا بها يوما بعد يوم ، هى أن ادارتنا الحكومية ونظمنا التعليمية وصناعاتنا تنخر فيها الخيانة من الداخل ، والقدر الاكبر من هذه الخيانة متعمدا وأكثر من ذلك يعزى الى نشاط أفراد مخلصين من الذين لايدركون بأنهم يخدمون الكرملين عن غير قصد وهم بصفتهم هذه يعتبرون أكثر خطرا على أمريكا من الخونة المكشوفين ٠

ولا يمكن أن نبقى بمنأى عن حرب عالمية ثالثة الا بتجنب الاخطاء التى دفعتنا الى خوض آتون الحربين العالميتين الاولى والثانية وورطتنا فى كوريا دفعتنا الى خوض أتون الحربين العالميتين الاولى والثانية وورطتنا فى كوريا ٠

والآن بعد أن وافق الرئيس أيزنهاور ووزير خارجيته دالاس على تحسين ادارة المخابرات المركزية التى بدأها أصلا أمير البحر أرنست ج٠ كنج Ernest J. King ، وأعلنا بصوت عال عن الحاجة الملحة الى التمسك بالواقعية فى أعمالها ٠ بعد أن كانت تتسم بطابع الهواة والجهل بمقتضيات الحرب السيكلوجية ، بعد هذا أصبح من الضرورى أكثر من

أى وقت مضى تنوير الشعب بأهميتهـا وذلك بواسطـة الممثلين المنتخبين للشعب وعدم السماح بالعودة الى سياسة عدم الاهتمام السابقة تجاه تلك الوكالات الحيوية ، ولا تستر المخازى وراء ستار من السرية ٠

فأنتم أيهـا المواطنون الذين تصنعون كل القوانين عن طريق ممثليـكم المنتخبين والواقفون على كل الاعتمادات ٠ فأنتم ومعكم أطفالكم وأطفـال أطفالكم الذين ستدفعون من دمائكم ثمن استهتاركم وثمن التضليل الذى مضى ٠ أنتم وحدكم الذين تستطيعون تحقيق السلام والهدوء وبناء أمريكا الشجاعة القوية الحرة مرة أخرى ٠

ولذلك أهدى اليكم أنتم هذا الكتاب بكل اخـلاص لان انتبـاهكم الى اخطائنا الماضية هو وحده الكفيل بحمـايتنا من أن تصبح أمريكا هـدفا للاعتداء ٠

سيدنى فورستر ماشير

« تمثل هذه الآراء ما يدور فى خلد الكاتب فقط ولا تمثل بالضرورة آراء وزارة الدفاع » ٠

تقدمة :

نستطيع أن نذكر هنا ما قاله المحارب العظيم الجنرال عمر برادلى ٠ والذى نشر بعدد ١٩ من أبريل سنة ١٩٥١ فى مجلة لايف من أن النقد البناء الخاص بنقائص المخابرات العسكرية فى الماضى والتحدث بفشل الحرب النفسية ، لا تتسم بالقسوة التى لا مبرر لها لأن النقد هنا انما يتسم بالبناء وليس بالهدم ٠

لقد نظم ايزنهاور قيادة مشتركة للحلفاء وجمع فى صعيد واحد المخابرات والعمليات العسكرية ، ووضع خطط التمرين وقد بز البريطانيون الامريكيين فى نشاطهم المتصل بالمخابرات ، ويعزى ذلك الى الخبرة الواسعة التى اكتسبها البريطانيون فى السنوات السابقة للحرب نتيجة لعملياتهم فى مناطق مختلفة من العالم تلك الخبرة التى لم تتسرب للامريكيين ، وقد ظهرت نتائج الاهمال الطويل للتدريب على أعمال المخابرات فى فشلنا فى كل ما أسند الينا من أعمال لاننا كنا قد أهملنا نواحى التخصص المختلفة فى مجالات المخابرات ، **ومع ذلك فبدلا من أن نحسن اختيار ضباطنا لهذا اللون من النشاط اكتفينا بارسالهم فى جولات تقليدية دون أن نحاول الاستفادة من المواهب الخاصة لبعضهم** ، ولولا الكفاءة التى اكتسبها بعض الممتازين فى أيام الحرب لاصبحت حاجتنا ماسة جدا للأكفاء من موظفى المخابرات ٠

ويحكى هذا الكتاب قصة خيبة الرجاء وكذا النجاح المحدود التى أصيب بها أو أحرزه مواطن كان ضابطا فى جيش الولايات المتحدة الامريكية عندما كانت تسند اليه بعض أعمال المخابرات ٠

وبالرغم من تحذير الجنرال برادلي فان الضبــاط الذين قاموا بأعمــال مجيدة فى هذا المجال فى أيام الحرب حرموا من الترقية بعدها ، وابعدوا الى زوايا النسيان على أساس أن أى ضابط ممتاز من المحاربين يمكن أن يكون ضابطا ممتازا من ضباط المخابرات .

ومع ذلك فقد تم اختيار عدد قليل من الضباط نتيجة لاصرار الجنرال الكسندر بولنج ليكونوا نواة لأعمال المخابرات وقد حدث هذا لاول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، وكان هذا أول اعتراف رسمي بأنه لا يمكن أن يكون هناك بديلا لهؤلاء الناس الذين يستطيعون بالمران والخبرة والذكاء أن يتنبأوا ببيرل هاربر أخرى فى وقت يسمح لقواتنا المسلحة بأن تقوم بدور أعظم من دورها فى الماضى .

فهـــــرس

الكتاب الأول

الكتاب الثانى

الكتاب الثالث

الكتاب الرابع

الكتاب الأول

١

حديث مع جنرالات

ناداني صوت عميق يأذن لى بالدخول ! فدلفت الى الحجرة ووقفت أمام مكتب الجنرال وأديت التحية العسكرية له ثم قلت : « سيدى ··· الملازم ماشبير يقدم نفسه لسيادة قائد المنطقة الشرقية فى جيش الولايات المتحدة لتلقى الاوامر » فـرد الجنرال ايلى هويل Eli D. Hoyle التحيـة ثم حدجنى بنظرة للحظة خلتها دهرا · ولو أنها لم تستمر أكثر من ثوانى قليلة وسألنى :

ـ كم الفترة التى قضيتها فى الجيش النظامى ؟

ـ « تسعة أشهر يا سيدى » ·

ـ وكم قضيت فى رتبة الملازم أول ؟

ـ ثمانية أشهر يا سيدى ·

فحملق فى أكثر من ذى قبل وباحتقار لا يمكن وصفـه قال : « أنت ملازم أول ! ·· يا الهى ! » ·

مرت بضع ثوان أخرى وكأنها مليون سنة وشعرت بانهيـار سريع ثم قال بعدها : « انصرف » ·

ولا يمكننى وصف الكيفية التي خرجت بها من الحجرة ولكننى متأكد من أننى لم أرعى الاصول العسكرية تماما فى خروجى ، وفى الخارج وجدت عددا من الضباط حول مكتب الكولونيـل W. A. Simpson ينتظرون خروجى ، وكنت ميالا للذهاب فى هدوء الى مكتبى الجديد ولكن الكولونيل Simpson استوقفنى سائلا :

كيف كانت المقابلة ؟ فقصصت عليه ما حدث بالضبط فانفجر الجميع ضاحكين ·

فقلت : « ما الخطأ الذى ارتكبته ؟

فأجاب : « ألا تعرف يابني بأنك ارتكبت الخطيئة الواحدة التي لاتغتفر هنا ؟ »

كنت لا أزال في حيرة من أمري حتي قال أن الجنرال التحق بالجيش في الايام الغابرة عند ما كانت الترقيات تحدث داخل الآلايات ، وكان هذا قبل أن تتم الترقيات داخل الاسلحة وقبل أن تعد أقدمية واحدة لكل ضباط الجيش ، ومن ثم كانت الترقيات بطيئة للغاية فقد كان على الضابط أن ينتظر حتي يموت رئيس أو يتقاعد ليمكن أن يخطو خطوة واحدة للامام، وكانت نتيجة ذلك أن بقي الجنرال احدى وعشرين سنة في رتبة الملازم ثان ولذلك فانه يشعر بتأثير سيء عند ما يرى ملازما يقل سنه عن الاربعين ·

كانت هذه ثالث مقابلة لي مع جنرال وكانت الثانية على وشك أن تكون القاضية فبعد وفاة الجنرال فردريك فونستون Fredriek Funston في مستهل خريف سنة ١٩١٦ عين العميد جون جوزيف برشنج John Joseph Pershing قائدا لمنطقة الحدود المكسيكية ، ووصل الى مدينة ناكو Naco للتفتيش على القوات هنـاك ؛ وكنت في ذاك الحين مسئولا عن قيادة الفصيلة « ك » من فرقة مشاة أريزونا الأولى ، كنت واقفا انتباها أمام دليل الجماعة عند ما وصل الجنرال سريعا وسألني عن بعض أسماء الجنود فأخطأت في الاجابة ، فهاج وماج وأزبد وأرغد ·

أما مقابلتي الاولى مع جنرال فقد كانت مختلفة تماما الا أنها كانت محزنة هي الاخرى فقد مثلت أمام الجنرال فردريك فونستن وكان قصير القامة فحملق في وجهي وقال :

ـ ياكابتن كيف حالك من الناحية البدنية : فقلت «ممتازا ياسيدى»·

فاقترب مني حتى أصبحت لحيته على بعد بضع بوصات من وجهي وسأل :

كيف حال الامعاء ؟

ـ أعتقد أنها بخير ياسيدى ·

فقال هنا شيء لا يمكن أداءه ولكن لو واتاك الحظ وكتب لك النجاح فيه فسوف تحصل على كل ما تطلبه من جيش الولايات المتحدة الامريكية ·

وبالاختصار قال الجنرال ان هناك تقارير سرية تقول ان اليابانيين ينوون النزول بقواتهم فى كاليفورنيا الجنوبية وقد فشل ضابطان فى التحقيق من هذا • وأن الكولونيل Louis J. Von Schaich ، الكولونيل F. D. Weboter قد أوصياني باسناد هذه المهمة اليك : وحدد مايريده وكانت آخر كلمة هى « اذا وقعت فى أيديهم فلن نسمع عنك مرة أخرى» •

بعد ذلك بثلاثة أسابيع وقفت أنظر الى هيكل انسان وهيكل حمار ثم كتبت على خريطتى وفى المكان المناسب كلمات Dead Men's Gap أى فجوة الرجل الميت ، وكانت هذه الفجوة فى سلسلة جبال بنتو Pinto تبعد عشرة أميال من بئر باباجو Papago الذى تمر منه المياه فى طريقها الى الارض الصحراوية ومن عمق ٣٢٠ قدما ، ومن المؤكد أن هذه البئر لم تكن موجودة عند ما مات الذى بحث عنها ، ومن المحتمل أنه كان واحدا من الآلاف الذين داهمتهم الحمى لانه كتب يقول : « مجنون كل من يحضر هنا بحثا عن الذهب » ووقع تحته باسم « جون جيلسن عام ١٨٥٣ » •

فكرت فى دفن الهيكل العظمى ولكن كان للسرعة أهميتها القصوى فقد كنت أود الوصول الى Tinajas Atlas قبل وصول جماعة اليابانيين اليها •

ان عبور الصحراء مشيا على الاقدام أمر عسير الا أنه ليس مستحيلا وفى تيناجس أطلس Tinajas Atlas رأيت لاول مرة ما أنفقت فى دراسة أربع سنوات بعد ذلك وهو أحرف الكتابة اليابانية ، وكانت مكتوبة بالفحم على سطح السفوح التى سبق وأن ضربت جماعات منهم خيامها بقربها •

كان جواسيس من هنود باباجو قد قالوا لى ان جماعة من خمسين صينى تنزل عند مصب نهر ريو دو آلتار Rio de Altar فى كل شهر ، وثم يسيرون الى جوار النهر حتى التقائه بنهر سان فرنسسكو ثم يتجهون شمالا حتى كوتيوفاك Quitovac ثم يسافرون عبر تيناجو ديلا كويرفو Tinajo del Cuervo الى تيناجو دو باباجوس Tinajo de Papagos ومن هذه النقطة يسيرون ثمانين ميلا الى (ليجونا بريتا) بحيرة بريتا Laguna Prieta •

ومع ذلك فالحكمة والسنوات التى أمضيتها فى هذه البلاد أوضحت لى أن الانسان لا يمكن أن يعيش اذا سار فوق هذه الكثبان الرملية وكنت مقتنعا بأن اليابانيين لابد وأن يتجهوا شمالا الى سلسلة جبال جيلا Gila عبر الحدود الى الولايات المتحدة ويأخذون ما يحتاجونه من ماء من Tinajas Atlas بعد ذلك يخرجون من الممر ومنه الى Laguna Prielo سوف يزيد هذا فترة مسيرهم ليوم آخر ، الا أنه يضمن لهم ماء عذبا من الخزانات الموجودة لاختزان مياه الامطار ، وحتى تلك الرحلة تبدو مستحيلة الا للاشداء من الرجال ·

قرأت بعد ذلك بسنوات فى كتاب السيرايان هاملتون Jan Hamulton وعنوانه « مع كيروكى فى منشوريا » With Kuroki in Manchuria أن مشاة اليابان لا يستطيعون فى أصعب الظروف أن يسبقوا أى مشاة آخرين فحسب ، بل كذلك فرسانهم ، ففى أثناء حملة منشوريا استطاعت فرقتان أن تسيرا لمسافة طولها ٣٢ ميلا فى يوم واحد ، وفى طقس وصلت درجة برودته الى درجة ٢٦ تحت الصفر ·

وفى الحرب العالمية الثانية أدهش اليابانيون العالم بتقدمهم الرائع فى الغابات التى لا يمكن عبورها فى الملايو ، كما يجب أن نتذكر أن حصون سنغافورة كانت كلها فى اتجاه البحر لان البر كان حصنا طبيعيا ومع ذلك فقد اكتسحتها فرقة المهندسين اليابانية الخامسة عشر بقيادة الكولونيل Yosuke Yokoyama ·

وعلى ذلك أدركت فى سنة ١٩١٦ لأول مرة قدرة اليابانيين على السير ولكن معرفتى بالصحراء أقنعتنى بأن السير من Tinajo de Papagos الى Laguna Prieta بدون مياه أمر مستحيل ، وفى الواقع فاننى لا أعرف مشاة سوى فرقة أريزونا استطاعت قطع هذه المسافة فى أفضل الظروف ·

وكان حدسى صحيحا لاننى وجدت آثارا لاشك فيها تثبت أن جماعات الواحدة اثر الاخرى قد وصلت الى هذه البقعة ، وكتب كثيرون من رجالها كتابات على الصخور كرسائل لمواطنيهم الذى كان عليهم أن يتبعونهم ، ولقد نقلت كل هذه اللغات وجمعت كل القصاصات التى وجدت عليها كتابات يابانية أو صينية ، ولم أكن أدرى يوم ذاك ما اذا كانت هذه الرسائل تجارية أم عسكرية · على أنى بعد ذلك علمت من ادارة المخابرات

فى واشنطون أنها عديمة القيمة من الناحية العسكرية وكانت هذه أول مرة يهمل فيها تقرير لى من جانب رجال المخابرات ، على أنه لم يكن الاخير الذى أهمل أيضا .

وكانت المعلومات تشير الى أن ما يقرب من اثنى عشر الفا من اليابانيين قد تسربوا داخل البلاد عبر الحدود المكسيكية ، ثم خرجوا من نفس الطريق دون أن يعرفهم المكسيكيون ، أو أن تكتشف بحريتنا أمرهم تلك البحرية التى كانت تجوب مياه كاليفورنيا ، ولا يهم المكان الذى نزلوا فيه ولكن الواقع يثبت أنهم كانوا يفدون فى جماعات تبلغ كل واحدة منها خمسين رجلا تحت قيادة ضباطهم وضباط صفهم .

وبعد ذلك ببضع سنوات علمت عند ما كنت ضابطا للمخابرات فى « جافريز ايلاند » بميناء نيويورك أن ألمانيا كانت قد منحت المكسيك ولايات أريزونا ونيو مكسيكو وتكساس كمكافأة لها اذا هاجمت الولايات المتحدة وكانت تضمن مشاركة القوات اليابانية لها فى هذا الهجوم ×

وفى سنة ١٩٢٣ استطعت أن أضيف خبرا جديدا يفسر لماذا رفضت اليابان التى حالفتنا رسميا فى الحرب العالمية الاولى أن ترسل قواتها الى أوروبا ، ذلك لأن التموين الرئيسى للقوات كان الارز ، ولم يكن الارز موجودا فى فرنسا بدرجة تكفى تغذية جنودها ، كما أن السفن المطلوبة لشحنه لم تكن فى متناول اليد . والسبب الحقيقى كان رفض بريطانيا اطلاق يد اليابان فى استعمار استراليا ، وكان يجب أن يكون هذا تحذيرا كافيا لمخابرات كل من بريطانيا والولايات المتحدة .

أتممت خريطة هذه الرحلة فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩١٦ وأوضحت فيها كل طريق وبئر بين Yuma ، Nogales من نهر Gile الى خليج كاليفورنيا . وفى سنة ١٩٢٧ أعطانى الكولونيل جونى بجرام Johnny Pegram الذى كان رئيسا لقسم الخرائط فى هيئة أركان الحرب العامة « صورة فوتوستات » لهذه الخريطة وقال انها أول خريطة بالمعنى الصحيح رسمت لهذه المنطقة من العالم ، وتشير القرائن الى أن تعزيزى كان عاملا من العوامل التى أدت الى انسحاب حملة بيرشنج من المكسيك .

× راجع « الغرفة رقم ٤٠ » اصدار المجموعة عن هذا الموعد من جانب المانيا .

ومن الغريب حقا أن تتفق صورة أخذت بواسطة آلة تصوير مثبتة في رأس صاروخ من طراز ف ـ ٢ في مارس سنة ١٩٤٧ ومن ارتفاع مائة ميل مع الخريطة التي رسمتها لمنطقة جبتها كلها راجلا في سنة ١٩١٦ ٠

* * *

وبعد انتهائي من ذلك أخطرت بأن طلبي بالسماح لي بحضور الامتحان كضابط بالجيش ـ ذلك الطلب الذي تقدمت به قبل ذلك بعدة شهور ـ قد رفض على أساس أن طالب هذه الوظائف يجب أن يكونوا غير متزوجين، ولم أكن أعزبا في ذلك الوقت وبأمر من وزير الحرب « ت٠ ن٠ مرفي T. N. Murphy » كنت ضمن خمسة ضباط متزوجين الحقوا بالجيش النظامي وكمكافأة على رحلتي في الصحراء الحقت بالفرقة الثانية والعشرين المشاة التي كانت معسكرة في ذلك الوقت في جزيرة جافريز ايلاند بميناء نيويورك ، الا أنني أمرت بالالتحاق أولا بمدرسة الاسلحة للجيش وقبل أن انتهي من فترة الثلاثة شهور المخصصة للدراسة في Fort Leavenworth واستعد للالتحاق بفرقة كنا قد اشتبكنا في الحرب الاوروبية وعند اتمام البرنامج صدرت الاوامر بالتوجه الى Fort Hamilton في بروكلن حيث كانت تعسكر الكتيبة الثالثة ٠

وبعد أداء بعض الواجبات الروتينية لتولى قيادة السرية الاولى وبعد ذلك سرية مدافع الماكينة ، وجدتني منغمسا حتى أذني في نشاط مضاد للجاسوسية نتيجة لوصول الكولونيل F. D. Webster الذي كان قد عرفني في مناطق الحدود وكان هو الذي رشحني للجنرال فونستن Funston للمهمة التي قمت بها في المكسيك ٠

كانت الاوامر قد صدرت من واشنطون قرابة ذلك الوقت لتنظيم جهاز للمخابرات المضادة ، ومرة أخرى رشحني الجنرال Webster ، ولكنه في هذه المرة عرض اسمي على الجنرال Hoyle وقد خطر لي أنه اذا كان ضبط اللص يتطلب استخدام لصا آخر فان عملي في الجاسوسية لعدة أسابيع قليلة ليؤهلني تماما لاكتشاف وقلب خطط هيئة أركان الحرب الالمانية رأسا على عقب ، تلك الخطط التي أنفقوا فيها الوقت والجهد كي يصلوا بها الى أقصى درجات الكمال ٠

لقد كنت في الواقع خائفا للغاية ، ولكن بعد أن أسندت الى هذه المهمة، بدأت القيام بها بغاية ما تسمح لي به طاقاتي ٠

وعلى ذلك دون أن يرشدنى أحد ما سوى المنطق والخيال النشيط وحصيلة ما قرأته مما كتبه فيليبس أوبنهايم وكلارنس وهيربرت حاولت أن أضع نفسى مكان ضباط هيئة أركان الحرب الالمانية • وأفكر ماذا أفعل عند ما أحاول تنظيم جهاز للتجسس فى داخل جيش الولايات المتحدة ، فلم أكن مطالبا بالعمل ضد التجسس والتخريب خارج الجيش ، لأن العمل بين المدنيين أو تخريب المصانع كان خارجا عن نطاق مهمتى •

بدأت التفكير فى المشكلة بعد أن علمت أن النظام الالمانى انما يتبع اسلوبا خاصا محددا لا يتركه ، وبعد تقليب وجهات النظر وأعمال الفكر لعدة أسابيع وصلت الى حل ممكن بالرغم من أنه كان يبدو بسيطا لدرجة تدعو للسخرية فلم أستطع أن أصدق أن الالمان من السزاجة بشكل يجعلهم يستعملونه •

كنت قد عينت فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٧ كمساعد لضابط المخابرات في جزيرة « جافريزايلاند » فجمعت شجاعتى وشرحت نظريتى للرئيس فأنصت الى باهتمام حتى انتهيت وفكر قليلا ، ثم قال :

ــ يبدو لى يابنى أنك قرأت كثيرا للكاتب فيليبس أوبنهايم •

فأجبت « نعم ياسيدى » ، ومع ذلك لو استطعت اثبات صحة نظريتى فسوف أطلب شيئا •

فقال الجنرال : « ما هو ؟ »

قلت ــ اننى أفضل اثبات نظريتى أولا ثم أطلب مطلبى بعد ذلك •

وأثبت نظريتى فعلا ، وبناء على طلبى عين الجنرال ضابطا وجنديا فى كل محطة عسكرية أو معسكر من محطات ومعسكرات « الادارة الشرقية » على أن يعفى كل منهما من كل واجباته حتى يتفرغ لارسال التقارير لى مباشرة، وكانت هذه هى البداية الحقيقية لادارة المخابرات المضادة فى الادارة الشرقية لجيش الولايات المتحدة الامريكية •

وضعت بعد ذلك مجموعة من « القواعد المؤقتة لخدمة المخابرات المضادة فى الادارة الشرقية » وافق عليها الجنرال Hoyle وطبقت فى الحال ، وتستطيع أن تتصور دهشتى فى سنة ١٩٤٢ عند ما أصبحت رئيسا لفرع المخابرات العسكرية فى سلاح الاشارة أن أجد فى كراسة

التعليم السرية الخاصة بالمخابرات المضادة بعض الفقرات التى كنت قد كتبتها فى سنة ١٩١٧ وأنا فى السادسة والعشرين من عمرى وأعتقد أننى أستطيع أن أصف اسلوب الالمان بمتابعة قضية بول أوتو كونر Paul Otto Kuno أول عميل المانى فقد كان أول من جاء فى نطاق تنفيذ خطتى العامة بالتحرى عن كل فرد ينحدر من أصل المانى سواء عن طريق محل الميلاد أو أحد الابوين ، عملت ذلك ايمانا منى بأننى كنت أؤدى واجبين أولهما للحكومة وثانيهما للفرد نفسه ، فاما أن تبرأ ساحته الى الابد اذا كان بريئا ، واما أن يؤخذ بتلابيبه اذا كان مذنبا ٠

كان تاريخ كونر نموذجا فقد خدم بامتياز مع الجيش الالمانى فى الصين ابان ثورة البوكسر Boxer ومنح وسام الصليب الحديدى وهاجر بعد ذلك بعامين الى الولايات المتحدة ، وجند فورا فى سلاح مدفعية السواحل ويتذكر كل ضابط قديم القيمة العظمى لكل جندى المانى سابق ، ولم نكن نعرف حينئذ ان جزءا من خطة التجسس التى وضعتها هيئة أركان الحرب الالمانية ــ والتى نفذتها فعلا ــ كانت تشتمل وضع رجل واحد على الاقل فى كل تروب ، أو بطارية أو سرية فى الجيش العامل ، ولكن بعد أن عرفنا ذلك أصبح من الامور الروتينية البحتة أن نتحرى عن كل منهم ونكشف أمره ، لقد كانوا يحتلون أعلى مناصب ضباط الصف فى مدفعية السواحل ، كرئيس طاقم مدفع أو رئيس جماعة من جماعات الاشارات الكهربائية وأحيانا رؤساء الطباخين وكان لهم تأثير قوى ضخم ٠ لقد كان كل رئيس طاقم مدفع وكل رئيس جماعة اشارة تقريبا فى مراكزنا الدفاعية على الساحل الشرقى ألمانيا ٠ وكان من الممكن اصابة كل مراكزنا الدفاعية على الساحل الشرقى كلها بالشلل باستعمال كماشات بسيطة فى ثنى الاسلاك وحفنات قليلة من الرمال وذلك بمجرد بدء الهجوم ، كان كونو كبقية زملائه ضابط صف قدير وارتقى بسرعة وكان رئيسا لطاقم مدفع عند ما نشبت الحرب ٠

رتبت أمر نقله الى فورت وادسوورث Fort Wadsworth وبعد ذلك طلبت من فرانك بورك Frank Burke الذى كان مسئولا عن أعمال الخدمة السرية فى جيش الولايات المتحدة بنيويورك أن يرسل الى أمهر خبير فى الاقفال والمفاتيح لديه فاجبت الى طلبى ، ولا زالت عندى بطاقة زيارة باسم G. E. Adams ٠ كان آدمز يبدو فى مظهره وملبسه كالرئيس ويدرو ويلسن وبعد أن دخل مركز القيادة التى يوجد بها كونو كان يخفى تحت طيات ثيابه حزمة من المفاتيح من كل الانواع والاحجام ٠

ولم يصعب عليه فتح أى حقيبة من حقائب كونو ولم يجد شيئا يسترعى الانتباه الا واحدة منها كانت مجهزة بقفلين أوربيين مختلفين رغم أنهما متشابهان من الناحية الشكلية وبالطبع كانا يحتاجان الى مفتاحين مختلفين وبعد برهة استطاع Adams فتح القفلين ، وظهر أن كونو قد حزم محتوياتها بشكل منتظم بحيث يستطيع أن يعرف اذا كانت الحقيبة قد فتحت أم لا ولكن أدامز كان يستطيع أن يرد كل شيء مكانه تماما ·

وبعد تفريغ الحقيبة بأكملها لم يجد ما يثير الشكوك والريب سوى مفكرة حمراء ومزمار بافارى عليه كتابة أمريكية وبطاقة بخط اليد مكتوب عليها « الى رفيقنا الذى يخدم أرض الوطن فى أمريكا » وكان تاريخها عام ١٩١٣

وبسبب جهلى بالبحث فى هذا الموضوع لم تثر فى هذه الاكتشافات الاهتمام الذى أثارته فى نفسى المستر آدامز ، فقد تحسس الحقيبة كلها بوصة بوصة وفجأة قال « هنا شيء » فقد وجدنا البطانة مقطوعة فى مكان ثم خيطت مرة أخرى فقطعها بموس من نفس المكان فوجد مفتاحا تحت البطانة · فطبع آدامز المفتاح على شمع ثم أعاده حيث كان وأعاد كل شيء مكانه بشكل يجعل كونو لا يشك فى أن أحدا فتح الحقيبة ·

وبعد ذلك بأيام دعانى فى مكتب الخدمة السرية للولايات المتحدة فى الجمرك وأطلعنى على المفتاح الذى صنعه على الطبعة الشمعيـة وظهر أنه مفتاح لخزينة ودائع من نوع معين توجد فى ستة بنوك فقط فى الولايات المتحدة كلها ·

مضت بضعة أيام اخرى دعانى بعدها ليقول لى أن الصندوق وجد فى بنك لا يبعد كثيرا عن فورت مونرو Fort Monroe فى ولاية فرجينيا وأنه استؤجر باسم مستعار ، وكان يحتوىعلى أوراق اعتماد كونو الالمانية الاصلية ، وظهر من بطاقة تحقيق شخصيتـه أنه ضـابط فى المدفعيـة الالمانية ، وكما وجد تصريحه الخاص بالسفر من المانيا وظهر أن كونو قد حصل على أوراقه الاولى الخاصة بالجنسية عند ما تطوع للخدمة العسكرية وأنه لم يكن قد تسلم أوراقه النهائية ، وعلى ذلك فقد كان لا يزال يعتبر جنديا من جنود الاعداء ·

واجهتنا هنا العقبة الاولى ، فلم يكن هناك قانونا يبيح لنـا أن نعمل شيئا ضده · عقدت اجتماعات مع المستر بورك Burke والمستر أوفلى Offley الذى كان مسئولا عن مكتب نيويورك التابع لوزارة العدل ·

وظهر أن أمامنا طريقين أولهما • طرد كونو بحجة كونه جنديا من جنود الاعداء أما الثاني فكان أكثر صعوبة وهو أن نتتبعه ليلا ونهارا حتى يسلم الكتاب الاحمر أو أى شيء يثبت عليه الجريمة ، الى أى شخص فى الجيش الالمانى ، وعندئذ نلقى القبض على كل من كونو والشخص الالمانى ومعهما الكتاب وعندئذ نستعد لحلف اليمين بأن الكتاب لم يكن فى وقت من الاوقات بعيدا عن أعيننا أو بعيدا عن حوزة كونو •

أما موضوع الكتاب الاحمر يجب أن يكون معروفا أن كونو بصفته رئيس طاقم مدفع فى مدفعية السواحل كان له الحق القانونى فى الاطلاع على المعلومات التى يحتويها ، ولم يكن يتضمن هذا الكتاب الصغير معلومات كافية تبين الاماكن المضبوطة للمدافع حتى المستوردة منها ومداها فحسب بل كذلك الالغام التى كانت تعتبر وسائل الدفاع الوحيدة عن الشاطىء ، وهذه المدافع لا تتحرك يسارا ويمينا الا بمقدار وعلى ذلك يوجد بين أطراف مدى كل مدفعين منطقة تسمى بالزاوية الميتة Dead Angle ، وهذه المنطقة لا تغطيها نيران المدفعية ويمكن لأية سفينة أن تلقى مراسيها فى واحدة من هذه المناطق وتكون فى مأمن من نيران المدفعية •

كان الالمان يعرفون أننا لانملك أسلحة نطلقها خلاف البنادق سوى مدفعية من عيار ثلاث بوصات وهى عديمة الجدوى ضد المدرعات ، ومع ذلك فلم يكن لدينا سوى عدد قليل من هذه المدافع وأقل القليل من الذخيرة اللازمة لها ، ولم تكن تكفى لاكثر من ثلاثين دقيقة •

وبالاختصار كان فى مقدور أى اسطول المانى بعد أن يتغلب على قواتنا البحرية أن يحتل نيويورك ونيوآرك وهوبوكن بعد أن يتعرف مناطق الزوايا الميتة للمدافع ، وحقول الالغام ، وأماكن أشعالها •

وتبين بعض صفحات الكتاب الاهداف بالضبط بما فيها البرج القائم بجزيرة كونى ومركز القيادة فى سوينبرن ، ومدينة « دريم لاند » فى جزيرة كونى وتورتون بوينت لايت فى كونى ايلاند ايضا ومواقع الانوار الكاشفة من عيار ٦٠ بوصة ومع بطارية الديناميت من عيار ست وثلاثين بوصة ومركز التحكم فى الالغام ، وكذلك سوث هوك بيكن الواقع أمام مساكن الضباط فى فورت هانوك Fort Hancock أخذنا الطريق الاسهل للتخلص من كونو فقابلنى اثنان من عملاء وزارة العدل فى فورت هاميلتون بيير Fort Hamilton Pier فى يخت حكومى والقينا

القبض على كونو وانتظرنا حتى ارتدى ملابسه المدنية ووجهنا اليه التهمة التى توجه الى جنود الاعداء ووضع فى الحجز كمشبوه ونقلناه الى جزيرة ايليس Ellis ، ولم يظهر عليه الاضطراب بل كان احساسه هو احساس الخلاص من شىء ثقيل ، ولو كان الامر بالعكس وقبض على أنا فى ألمانيا لكان مصيرى الرمى بالرصاص بواسطة فصيلة من حملة البنادق .

وفى اللحظة التى أدرك فيها كونو أن أمره قد انكشف لم يعد يتصرف كجاسوس سابق فى جيش الولايات المتحدة ، بل كضابط بروسى فى سلاح المدفعية الالمانى فمثلا عرض سيجارا ونحن فى اليخت وأعتذر بسبب اضطرابه لاخراجها بأصابعه من جيب سترته بعد أن نسى أن يحضر معه علبة سجائره بعد ما حدث .

وبسبب سذاجة مشرعينا وعجز مخابراتنا فى ١٩ أغسطس سنة ١٩١٧ دخل بول أوتو كونو ضابط المدفعية الالمانى الذى حصل على وسام الصليب الحديدى من الجيش الالمانى فى أثناء ثورة بوكسر فى بيكين ، والذى سبق أن خدمه مدة عشرة سنوات كجاسوس فى جيش الولايات المتحدة تمهيدا لليوم المحدد . دخل هذا الرجل الى جزيرة ايلى كمعتقل ، وعاش فى راحة وأمان حتى انتهت الحرب ، ثم رحل الى بلاده فى هدوء ، وعلى نفقتنا ، ومن الميناء التى دخل منها ليصيب الولايات المتحدة بكل ما يستطيع من أضرار وأذى ، وسرعان ما تبعه اميل نيشو Emil F. Nichau وغيرهما .

كان هذا هو أول نجاح كبير لى فى الكشف عن نظام الجاسوسية الالمانى، ولكن كانت هناك وسيلة أخرى أكثر مهارة وحذقا ، وجد الالمان ثغرات فى قوانين الهجرة الى أمريكا ، فالجواسيس الذين أوفدوا الينا بعد كونو ، لم يتبعوا نفس النمط ، فبمجرد وصول واحد منهم كان يتجه فورا الى فورت مونرو Fort Monroe وبعد أن يضع أوراقه فى صندوق بخزينة تحت اسم خيالى يتطوع للخدمة العسكرية وبعد سنة واحدة فى الخدمة فى جيش الولايات المتحدة فانه يشترى خروجه من الجيش وبذلك يستطيع بحكم القانون أن يقدم أوراقه النهائية ويحصل على الجنسية ، أما بالنسبة لاى مهاجر آخر فانه لا يستطيع الحصول على الجنسية الا بعد أن يقضى فى

البلاد خمس سنوات ، وهكذا نرى أن سنة واحدة فى الجيش لاى مهاجر تعطه الحق فى الحصول على كل حقوق المواطن الامريكى ، وبعد ذلك يتطوع فى مكان آخر ٠

اتبع هذا الاسلوب فى حالات عديدة تم لنا كشف النقاب عنها ٠ وبالرغم من أن الكثيرين قد قبض عليهم فلم يعدم واحد منهم ٠

فكل ما حدث يمكن وصفه عن المثال الآتى وهى قضية ضابط سأطلق عليه اسم الملازم ف ٠ لان الظروف تحتم علينا أن لانطلق عليه اسما معينا ٠

دخل الملازم ف٠ الولايات المتحدة سنة ١٩١٢ ومر بمرحلة وضع أوراقه فى صندوق بخزينة بنك تحت اسم مستعار كالعادة ثم تطوع فى مدفعية السواحل فى فورت مونرو وخدم لمدة سنة واشترى خروجه من الخدمة وقدم طلبا للحصول على الجنسية ، ثم تطوع مرة أخرى بعد ذلك مباشرة فى جيش الولايات المتحدة ، وفى سنة ١٩١٣ ابلغ عن نفسه قيادته بألمانيا كجندى من جنود الاحتياط الالمان ٠

وفى يوم ٣ مارس سنة ١٩١٤ وصل خطاب باسمه للملازم ف٠ من هيئة أركان الحرب الالمانية تأمره بالعودة الى ألمانيا ، والالتحاق بفرقته فى الوقت المناسب للاشتراك فى المناورات العسكرية التى سوف تبدأ فى أو قرابة أول من أغسطس ٠

وفى كل الحالات التى تشبه تلك الحالة كانت أوامر الدعوة للعودة الى المانيا تحدد الموعد دائما بقبل أول من أغسطس سنة ١٩١٤ ٠

كتب الملازم ف٠ رده فى الحال واحتفظ بصورة منه ، وطلب فيه منحه اجازة سنة بسبب عمله فى جيش الولايات المتحدة ولانه على وشك الحصول على الجنسية الامريكية فمنح الاجازة التى طلبها ، وبالطبع أن ألمانيا لا تعترف اطلاقا بالجنسية المزدوجة ، فالالمانى يبقى المانيا دائما ٠

وكلنا نعلم أن المانيا دخلت الحرب فى أغسطس سنة ١٩١٤ ولكن ف٠ تلقى بعد سنة أى فى مارس سنة ١٩١٥ أمرا جديدا موقعا من الكونت فون بيريستورف السفير الالمانى بمنحه سنة أخرى على اعتبار أنه قد

أصبح فى هذه المرة مواطنا أمريكيا ، وبالتالى سيصبح ضابطا فى الجيش الامريكى ، ولم نستطع الوصول الى أن ف٠ قد كتب ردا على هذه الرسالة التى وردت اليه من السفير الالمانى ٠

وكان هذا الضابط ف٠ محبوبا من النساء ، وكان نشاطه مركزا على زوجات الضباط الموجودين فى خارج البلاد فقررت أن أستغل هذه النقطة لاوقعه فى المصيدة فوضعت جهاز ديكتافون بموافقـة سيدة كان يتودد اليها ، وأوصل لنا الطرف الاخر للجهاز كل ما يمكن أن يحدث فى ليلة من ليالى غرام ملتهب مثلما يحدث فى أفلام السينما تمـاما وقـد علمتنى الخبرة أن الرجال الذين يحاولون تحويل النساء عن طريق الفضيلة والعفة يهددون احيانا باستعمال العنف ، ومن ثم فقد نصحت السيدة باستعمال أساليب السخرية ، ففى أثناء محاولاته الغرامية العنيفة استعملت الجملة التالية : « ألا أكون مجنونة اذا ضحيت بكل شيء من أجلك ؟ ان زوجى كولونيل بينما أنت مجرد ملازم » فانتصب واقفا بعنجهيتـه البروسية وقال :

ـ أنت لا تعرفين من أنا ولكن بعد أن تنتهى الحرب وأعود الى بلادى فستعرفين حينئذ من أكون » ٠

وبعد أن يئس من نيلها بدأ يهدد بنسف كل شيء ينسفهـا وينسف نفسه بل وينسف المدينة كلها » ٠

فاجابت : « أنت لا تملك شيئا تفعل به ذلك » ٠

فصاح ثائرا : « أتظنـين ذلك ، ان فى حجرتى متفجرات تكفى لازالة نيويورك من خريطة العالم » ٠ وفى نفس تلك الليلة تم تفتيش الحجرة ، وتمخض التفتيش عن وجود أسلاك مخبأة توصل من الحجرة الى الخارج ، وفى الداخل كان يوجد غطاء يخفيها ، أما من الخارج فقد كان فى نهاية السلك خطافا متصلا بجهاز تفجير ، ومع ذلك نظرا لان التدليل عن طريق الديكتافون لم يكن مسموحا به فى ذلك الوقت فلم نستطع أن نفعل شيئا، ولم يكن هناك ما يساعدنا على اثبات الجريمة على الملازم ف٠ ، ولست فى

حاجة لان أقول بأن الاســلاك قد أزيلت من مكان ، وانسحبت السيــدة بحكمة من هذه المغامرات الغرامية ٠

ولم نكشف عن أمر الملازم ف٠ حتى شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ حينما قدمت أدلة اتهامه أمام قاضى الاتهام الذى حولها الى الميجر دايكمان الذى عمل فيما بعد قاضيا فى بروكلين ، وبعد دراسة عميقة قرر أن موقفنـا ميئوسا منه سواء بحكم القانون أو اللوائح أو حتى المادة ٣٩ من قانون الحرب ، وذلك بسبب التقادم ومرور عامان على الحادث ثم أنه لم يكن لدينا أى دليل نثبت به قيامه بعمل مكشوف بعد خطاب مارس سنة ١٩١٤ ، وحتى هذا الخطاب كان صورة بالـكربون غير موقعـة ، ولم يكن يصلح للتدليل القانونى ضده ٠ أما قصة الديكتافون فقد كانت ستسىء الىسمعة السيدة ٠

وكانت هذه أول قضية من نوعها ، ، ولم يكن أمامنا سوى نقل هؤلاء الضباط الى أماكن لا يستطيعون فيها انزال الضرر بالبلاد ، أو الى وظائف ادارية روتينية ٠ فى داخل البلاد ، ويؤسفنى أن أقول أن كثيرا منهم قد أكملوا سنى خدمتهم فى الجيش وخرجوا من الجيش كرجال أشراف ويقبض الاحياء منهم معاشات تبلغ ثلاثة أرباع آخر مرتب لهم ، وهذا كله بسبب غبائنا وحماقتنا وعدم وضع التشريعات المناسبة ضد الجاسوسية قبل أو فى أثناء الحرب العالمية الاولى أو بسبب عدم وجود جهاز كشف للمخابرات، أو بسبب عدم وجود رجال محترفين لا هواة مثلى ، وحتى بعد وقوع مثل هذه الحوادث أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها لم يتغير القانون ولا يمكن محاكمة خائن اليوم ما لم يعترف بنفسه وبمطلق اختياره عن جريمته ٠

* * *

وكان للحرب العالمية الثانية نصيبها من هؤلاء الهواة كما تبين هــذه القصة التالية :

فى مستهل الحرب اتفقت أنا والكابتن ايليس م زاخارياس مساعد مدير مخابرات الاسطول على أن القيام بحملة من حملات الحرب السيــكلوجية يمكن أن تجبر الاميرال توجو اليابانى Togo على الانتحار وذلك بأن تبين للشعب اليابانى بأن الادعاء بأن معركة بحر الكورال Coral Sea

كانت نصرا لليابان فيه تضليل للامبراطور الذىأصدر مرسوما امبراطوريا بتجميد هذا النصر ، وكان هذا هو المرسوم الاول الخاص بنصر بحرى منذ أن أغرق الاميرال توجو Togo الاسطول الروسى فى معركة مضايق توشيما Toushima فى الحرب اليابانية الروسيـة ١٩٠٤/١٩٠٥ ولم يستطع زاخارياس Zach أن يمهد للفكرة فى واشنطون وعنـد ما اقترحتها فى سنة ١٩٤٣ مبينـا أنهـا يمكن أن تكون حـركة انقـلاب Coup d'eta فى اليابان كان يصيبنى التوبيخ واللوم ٠

والخطة التى قدمتها للحرب السيـكلوجية التى تهـدف الى الربط بين الشعب والامبراطور ضد العسكريين رفضت وقد صحب الرفض بمذكرة جاء فيها : « ان كل من له المام بسيط بسيكلوجية اليابانيين سوف يدرك عدم جدوى محاولة الاطاحة بالعسكريين اليابانيين عن طريق الربط بين الامبراطور والشعب ضدهم ٠ »

ومع ذلك فبعد عامين اثنين بالضبط عين الجنرال Bonner F. Fellers بونر ف٠ فيلرز السكرتير العسكرى للجنرال ماك آرثر فى وظيفة رئيس المكتب الجديد الذى أنشىء لشن الحرب السيكلوجية ، وقد وافق الجنرال على هذه الخطة بكاملها ، وبالطبع كان الوقت متأخرا لتنفيذ خطة توجو Togo الا أن فكرة تشويه سمعة القادة المطلوب انتحارهم كانت جزءا لا يتجزء من اذاعاتى باللغة اليابانية قبيل نهاية الحرب ٠

وكانت هذه الخطة الاسـتراتيجية للحرب النفسيـة تتضمن استغـلال بعض الخرافات اليابانية المعينة ولاسيما المتصلة منها بالثعالب التى تتمتع بقوة خرافية ، وعند ما أرسل الجنرال فيلرز Fellers هـذه الخطـة الى واشنطون أعيدت مصحوبة بنقد ادارة الخـدمات الاستراتيجيـة OSS مصحوبة بنقد كان فقرة فيه :

« يقول خبراؤنا أن القلائل من الفلاحين فى المناطق الريفية من اليـابان هم وحدهم الذين يؤمنون بالخرافات ، وكانت اجـابة فيـلرز Fellers كلاسيكية فقد كتب قائلا : « يقول خـبراؤنا ان خـبراءكم سـطحيون فى نظرتهم للامور » ٠

وقد سررت عند ما تسربت الاخبار سنة ١٩٤٦ بأن « مكتب الخـدمات الاستراتيجية » لم يهضم فكرة تحطيم معنويات اليابانيين عن طريق بنـاء دمى فضية للثعالب لاسقاطها فى اليابان بأعداد ضخمة فحسب بل أنه قد بدأ تجارب اسقاطها فعلا واجريت تجربة حديقة روك كريك Rock Creek Park فى مدينة واشنطون فعلا وان هذا قد اخاف بعض العـاطفيين الذين وجدوها ٠

ولو كانت قد أسقطت فى اليابان لتسبب ذلك فى حوادث انتحار كثيرون من اليابانيين ولا شك ليس بسبب الخوف بل لان الضحايا كانوا سيموتون وهم يضحكون مقهقهين ٠

٢

لمـــاذا ؟٠٠

من الاقوال المرحــة المــألوفة أنه لا يمكن لرجل أبيض عاقل أن يتعلم اللغة اليابانية ، فاذا قدر له لسبب ما أن يتعلمها فلا يمكن أن تبقى له قواه العقلية ، ومع ذلك ففى سنة ١٩٣٨ ، أى بعد قرابة العشرين السنة من بدء تعلمى اللغة اليابانية اجتزت امتحانين فى اللغة اليابانية وحصلت على ٩٥٪ فى الاول و ٩٠ ٪ فى الامتحان الثانى ٠

ولقد كانت هناك عوامل جعلتنى أشغف بدراسة اللغة اليابانية ، أولها والدى الذى كان فيلسوفا متخصصا فى الدراســات الشرقيــة ، والذى كان يقول لى دائما اننا لابد وأن نحارب اليــابانيين فى يوم ما فى الفلبين ، وكم كان لقول والدى هذا الاثر العميق فى نفسى ٠

كان من بين أصدقاء والدى استاذ جامعى يجيد اللغة الصينية ، وكانأبى يقول عنه دائما أنه يتمتع بذكاء خارق ، وتأثرت أبلغ الاثر بهذا القول لاننى كنت أعتقد أنه لاتوجد لغة أصعب من اللغة الصينية ، وكان فقهاء اللغات يرتبون اللغات تبعا لصعوبتها فىالترتيب التالى : اللغة اليابانية فالصينية فالروسية ثم الانجليزية ٠

ومن المؤثرات القوية التى حولت من تفكيرى الى اتجاه الشرق الاقصى ، صداقتى مع هيرانونيشيهارا Hiranao Nishihara الذى كان زميــلا لى فى المدرسة الاعدادية ، فقد كان يعلمنى مقابل تحــدثى معــه بالانجليزية والاسبانية والالمانية المبادىء الاولية للمصارعة اليابانية Jiu Jitsu ، وكنت أنفق ساعات عديدة فى الاصغاء اليه والى وصفه الشاعرى لبلاده ، ولطباع وأخلاق شعبها ، ثم كان بالصدفة أن قرأت عن الحرب الروسيــة اليابانية وعرفت من قراءاتى حــادثة صغيرة حفرت فى ذاكرتى كيف أن اليابانيين يختلفون جد الاختلاف فى سيكلوجيتهم وطرق حياتهم وأساليب تفكيرهم ومواجهتهم للمشاكل عن الغربيين ، كان نيشيهارا Nishihara قد أعارنى كتابا عنوانه « قبل بورت آرثر » Before Port Arthur ،

ولقد أعجبت بالكتاب الا أنه ترك فى ذهنى سؤالا بدون اجابة وهو لماذا انتحر الملازم الشاب الذى تلقى أمر التعبئة باستدعائه للانضمام الى فرقته متأخرا ؟ هل كان ذلك بسبب شعوره بخيبة الرجاء ؟

وقال نيشيهارا « ... لا ، لقد فشلت تماما فى فهم أخلاق اليابانيين ، فالانتحار بالنسبة لك يعنى النهاية المجللة بالعار ولكنه بالنسبة لنا يعنى البداية المجيدة لوجود أكثر أهمية ، ومن ثم فهذا الضابط عند ما انتحر لم يكن يضع حدا لعمله العسكرى بل على العكس من ذلك فقد انتحر حتى يحرر روحه لتستمر فى الحرب والقتال من أجل الامبراطور » .

وبدأ يشرح لى بعد ذلك وسيلة اليابانيين فى الانتحار المعروفة لبسيبوكو Seppuku ومعناها Self immolation أى التضحية بالنفس ، وهى أفضل من الـ Hara - Kiri × أو « بقر البطن » والسبب فى ذلك أن كل الشرقيين يعتقدون أن البطن هى مقعد الروح وعلى ذلك ففتح البطن يطلق الروح ويحرزها فتحترم الامبراطور .

لقد كان لهذه المحادثات مع نيشيهارا بالاضافة الى اعجابى الشديد بذكائه وألمعيته وجسمه الرياضى أعمق الاثر فى تفكيرى قبل سن العشرين.

وظهرت كل هذه المؤثرات المتتابعة التى جعلتنى أدرس اللغة اليابانية وقت رحلتى الى المكسيك سنة ١٩١٦ ، وذلك عندما اكتشفت أول وثائق عسكرية يابانيــة لاول مرة فى هذه القــارة ، عنــدئذ آليت على نفسى أن أكرس جهدى لدراسة هذه اللغة والتحدث بها اذا قدر لى الخروج حيا .

عينت بعد الحرب العالمية الاولى أول أستاذ للعلوم العسكرية والتكتيكية فى جامعة سـيراليوز ، فوضعت الخطوط الاولى للمنهج فى اجتماع الـكلية فوافق المجلس وأصبحت جامعة سيراكيوز أول معهد تعليمى فى هذه البلاد

× تعتبر هـذه الطريقة الاليمـة للموت هى الاسلوب الوحيـد التى تتفق ومكانة « الساموري » المحارب فيرتدى الرجل رداءه الابيض ويركع امام هيكل أسلافه بعد أن يثبت أكمام ردائه اسفل ركبتيه لتحول دون امتهانه بأن يسقط للخلف ، ثم يمسك بسيف اسلافه القصير وبحركة راسية افقية يمزق امعاءه على حين يقف اقرب اصدقائه من حوله ، فاذا ما سقط للامام كان على اصدق اصدقائه ان يقطع راسه بسيفه الطويل ليحد من آلامه .

يمنح درجة البكالوريوس في العلوم العسكرية وقد باركت واشنطون هذه الخطوط وأرسل نيوتون بيكر Nowton D. Baker وزير الحرب فى ذلك الوقت وكذلك من ميشيل لينهان Michael J. Lenihan رئيس ادارة الجيش خطابى لتهنئته وتقديره .

وفى سيراكيوز استطعت أن أحصل على البرنامج الطويل المدى الذى وضعه الشيوعيون هادفين الى القضاء على أساليب الحياة الامريكية ، **واليوم يعرف كل أمريكى أن أول أهداف الشيوعية فى هذه البلاد كان الاستعباد التدريجى للشباب الامريكى والبدء بذلك فى الكليات ثم الزحف على المدارس العامة بسرعة الى غاية ما تسمح الفرقة بهذا ، ولكن فى سنة ١٩١٩ لم يكن هذا الطابع واضحا .**

ولم نكد نبدأ العمل حتى بدأت نشرة جامعة سيراكيوز التى كانت تسمى Syracuse Orange (وهى نشرة يصدرها طلبة الجامعة) بدأت الهجوم على برنامج التدريب العسكرى على أساس أن ذلك كان يعتبر ترويجا للحرب والهجوم على وبخاصة كعسكرى طائش .

فطلبت من بعض ضباط الاحتياط مساعدتى عند اشتداد الحملة، ولاحظت أن كتاب المقالات كلهم تقريبا من الطلاب المقيدين فى فصل من القسم الذى يدرس علم الاجتماع ، وقد وصل الامر بأستاذ هذا الفصل الى حد جعله يؤيد ويناصر حكومة روسيا الثورية ، وكان يعبر فى دروسه عن ايمانه الراسخ بها ، وزاد على ذلك أنه كان يدعو طلابه الذين يشاركونه الرأى الى الاجتماعات الثلاثة المسائية السرية التى يعقدها فى منزله ليدرس لهم ما أطلق عليه يوم ذاك « البلشفية » .

فرفعت الامر الى مدير الجامعة المستر داى فصدر الامر بفصله فى الحال ، وكان هذا قبل أن يتعلم الحمر أساليب التأثير على الجماهير وعلى الصحف اليسارية عن طريق استعمال شعارات « الحرية المدنية » لتدمير الدستور والانتفاع من الحرية الاكاديمية التى تمنحها الجامعات للدعاية للماركسية ، ووضع العراقيل أمام كل مجهود يهدف الى الكشف عن الخونة ، بدأت ومعى زملائى الضباط فى التحرى والاستقصاء فى الجامعة فوجدنا أن الحركة منتشرة انتشارا واسع المدى وكان فيها البيت الدولى فى جامعة كولومبيا .

وبعد ذلك باثنتى عشرة سنة لاحظت مناورة شيوعية خطيرة لا يمكن أن يفهمها الا من مارس العمل فى المخابرات ، ففى صيف سنة ١٩٣٢ كان جيش بوناس Bonus يتقدم الى واشنطون من ثلاث جهات ، كنت على علم بتقدمه من الصحافة كتدريب عملي لتقدير مخابرات استطعت أن أستنتج الزمان والمكان الذى سيكون فيه لقاء هذه الجماعات ، وذهبت وحدى الى « بيس كروس » Peace Cross وهو ملتقى عدة طرق يبعد عن العاصمة بعدة أميال .

كنت على حق فقد حدث التلاقى هناك وكان التنظيم والتخطيط دقيقا متقنا وكان مرور القول يتطلب عشرين دقيقة ، وتصورت فى هذه اللحظة حشدا من الاعداء يمكنهم التخطيط والتدبير والهجوم على عاصمتنا التى لا تتمتع بأى دفاع فعال ، وفى الواقع حدث بعد ذلك بسبعة عشر عاما أن لجنة مراقبة النشاط المعادى لامريكا شهدت بأن الشيوعيين الامريكيين كانوا يعتقدون أن أمريكا فى ذاك الوقت كانت ناضجة ومهيأة للثورة ، وكانوا يعملون بوحى وتوجيه ممثل الكومنترن ، فقد نظموا مسير هذا القول بقصد اثارة الاضطرابات ، وسفك الدماء فى واشنطون كخطوة تمهيدية لثورة مسلحة .

على أن الاميرال زاخارياس الذى كان فى وقت ما مديرا للمخابرات البحرية كان يرى لهذه الحادثة أهمية خاصة فقد أظهرت هذه الحادثة مساوىء نظام المخابرات الروسي الذى يمكن أن يكون موضع خطر بالنسبة لنا ، فعملاء الروس يخشون نقل الحقائق التي لا يحب رؤساؤهم أن يصدقوها ، وقد حدث أن تخلص الروس من بعض عناصر العملاء الذين كانوا ينقلون الى رؤسائهم الحقائق التى لا تتفق مع ما تحلم به موسكو .

وفي سنة ١٩٣٢ حدث أن اعتقدت موسكو بسبب بعض المعلومات الخاصة بالازمة الاقتصادية والانكماش التجارى واتساع نطاق البطالة ، أن الشعب الامريكى كان مستعدا للاطاحة بالحكومة وأن شرارة يشعلها جيش Bonus فى واشنطون كفيلة بقيام ثورة أمريكية حمراء .

* * *

والآن أعود الى عملى فى سيراكيوز لقد كتبت الى وزارة الحربية فى أغسطس سنة ١٩١٩ طالبا التصريح لى بدراسة كل ما يتعلق باليابان مقدمة لتعلم اللغة اليابانية ، فوافقت الوزارة .

ذهبت لمكتبة جامعة سيراكيوز ومكتبة كارينجي المحلية ووجدت عدة كتب عن اليابان ، كتب فى التاريخ والادب والدين والفنون والعلاقات العسكرية والشعر والمسرحية ، ومن هذا العدد الكثير من الكتب بدأت دراستى ۰

وهالنى جهلى ذلك الجهل الذى يتصف به كل أمريكى عادى عند ما يكون الموضوع خاصا باليابان والشرق الاقصى ولتسهيل الاستيعاب والحفظ كنت الخص ما أقرأ ، وكانت نتيجة ذلك أن كتبت كتابا مقتضبا عن اليابان يستطيع من يقرأه أن يعرف شيئا عن اليابان ۰

وفى سنة ١٩٢٠ قدمت المخطوط الى الكولونيل كارل بولدوين Karl F. Baldwin رئيس قسم الشرق الاقصى فى المخابرات العسكرية ، وكان الكتاب واحدا من أعظم ما كتب فى الموضوع لأنه كان نتيجة دراسة مستفيضة دامت ست سنوات الا أنه فقد فى طوكيو أثناء الزلازل ، وهو لدى الناشرين ۰

وبعد ذلك جاءت مهمتى فى اليابان التى كانت مدتها أربع سنوات ، والتى تطلبت منى اعداد ودراسة بلغت مدتها آلاف الساعات ، وبعد جولتى فى بلاد اليابان وبعد المعلومات الكثيرة التى جمعتها من هنا وهناك أيقنت أن الحرب بين الولايات المتحدة وبين اليابان واقعة لا محالة ولن تمنعها سوى معجزة ، وكان لهذا الايمان أثره العميق على نشاطى فى المخابرات وفى توسيع معلوماتى عن اليابانيين ۰

وكنت مولعا منذ فجر شبابى بقصص الجاسوسية ، وكان ولعى بها لا يعادله الا ولعى بمعرفة كل شىء عن اليابانيين ، وفى أثناء الحربين العالميتين تلقينا طوفانا من الرسائل من مواطنين مخلصين يتحدثون فيها عن جواسيس ألمان لا لسبب سوى أنه سمع فردا ما ينطق كلمة « القيصر » بزهو لا يصدر الا عن المانى ويبدو أن الفرد العادى فى ضلالة من أمره فيما يتعلق بماهية المخابرات وكنه الجاسوسية ، وماذا هى المخابرات المضادة أو الجاسوسية المضادة ، وكل هذا النشاط يمكن أن يجمل فى كلمة واحدة هى «الجاسوس» ، ولكن كل هذا يعتبر شيئا ثانويا الى جانب الجهد المضنى الذى تتطلبه الدراسة والواقع أن التعريف المختصر للمخابرات هو « المعلومات القيمة » ، لان وظيفة المخابرات هى جمع المعلومات وتقويمها أى تقدير قيمتها ثم توصيلها لمن يهمهم الامر ۰

فكل هذا النشاط يتجمع فى كلمة جاسوس بالنسبة للفرد العادى مع كافة ما يتعلق بهذه الكلمة من مغامرات وأساطير وقصص •

والآن ما الذى يصنع ضـابط المخـابرات ؟ والاجابة هى أن ضـابط المخابرات « مطبوع لا مصنوع » أى « يولد ولا يصنع » فقد يرسل الطالب الضابط الى مدارس وكليات ويتلقى شتى أنواع العلوم والوان المعارف ، ومع ذلك لا يمكن أن ينجح فى مستقبل حياته الا اذا انطوت نفسه على تلك الملكة الفطرية التى تصنع منه ضابط مخابرات فقـد يجيد بعض الفنون والاساليب اجادة آلية ، ولكن من العسير أن تصنع اديسون آخر من ٥٠ الف كهربائى اذا لم تكن هناك ومضة الفطرة فى واحد منهم ليـكون هو أديسون الجديد •

فضابط المخابرات الحقيقى سواء كان فى مكتبه يفحص التقارير أو كان يقود دورية استكشاف خلفخطوط العدو حتى يستطيع أسر بعض جنوده لاستخدامهم ، أو يعمل كجاسوس وهو فى حلتـه الرسميـة أو فى رداء الكهنوت أو كان عاريا تماما فى حمام منزله ، انه هو هو لا يتغير ، فكم من عبقرى لم تتفتح له صفحات الايام أو تواتيه الفرصـة ليثبت عبقريتـه وينطبق نفس القول على ضابط المخابرات اذا واتته الفرصة يجب أن يكون مستعدا •

حدث فى مبـاراة الرماية فى كالدويل Caldwell سنـة ١٩١٩ أن أخذت بعض الضـباط الشـبان لـكى يروا توم ريننج Tom Rynning رئيس فريق ولاية الاريزونا ، وكنت أعرف توم Tom منذ طفولته فقد كان بطـلا فى الرماية وكنت فى ذاك الوقت مدربا لفريق معسـكر ديفنز Devens ، فأخرج توم Tom قطعة من العملة وقذفهـا فى الهواء وأطلق عليها النار من طبنجة فأصابها •

فقال أحد الضباط الشبان فى دهشة « مستر ريننج Rynning •• كيف أعمل ذلك » فقال : « يابنى قد تتدرب على الرماية مدى الحيـاة ولا تستطيع أن تكون كذلك مالم تكن لديك الموهبة » •

ومثل هذه الكلمات التى استخـدمها راننج يمكن أن تقـال للضبـاط الصغار الذين يريدون أن يلجوا ميدان المخابرات ••• ، فقال لكل منهم : « يابنى •• من الممكن أن تدرس المخابرات وتحليل المعميات وفك الرموز

Cryptanalysis » وتفسير الصور واستجواب الاسرى وأسرار المعارك ولكنك لاتساوى شيئـا كضابط مخـابرات الا اذا كانت لديك الموهبـة الفطرية للمخابرات ٠

ومن الهيئات التى تساعد ضابط المخابرات اجادته للغـات الاجنبية ، والاذن الموسيقية تساعد على اتقان النطق ، واتقـان النطق أمر حيوى فى التحدث بلغة أجنبية ٠

والتصور أو الخيال الخصب النير المنطقى ميزة أخرى هامة ، فلابد أن يكون الفرد قادرا على النفوذ الى ذهن العدو ، والتعرف على ما يدور فيه وعلى ما تنطوى عليه نفسه ومعرفتك بنفسية العـدو وأخـلاقه يجب أن تكون عميقـة حتى يتسـنى لك ادراك نواياه كما يجب أن تعرف كل المسـالك المفتوحة لنشاطه وتتنبأ بالطريق الذى سيختاره ، ويجب أن تكون قادرا على رؤية مالا يرى وسماع مالا يسمع ، وعلى تحسس ماليس بملموس وعلى تزوق ما لا طعم له ، وشم ما لا رائحة له ، ويجب أن يستند هذا كله الى عقل راجح وخيال خصب ٠

والشجاعة الحقيقية والايمان العميق بالقدر ضرورة لازمة لا غنى عنها ، ومن سوء الحظ لم يمنحنى القدر تلك الشجاعة ولكننى منذ طفولتى كنت مؤمنا بالقدر وكم كان الاحساس وسيلة قوية أخرجتنى من الورطات القليلة الحرجة التى تعرضت لها ٠

فمثلا طرت ابان الحرب العالمية الاخيرة كمسافر حوالى ١٠٠ر٠٠٠ ميل كان أغلبها فوق المياه والغابات ، وفى طائرات من ذوات المحركين ، وتعرضت للاخطار ، ومع ذلك فلم يحدث شيء وما أن أنجو من خطر حتى أنساه وأبدأ ركوب الاخطار من جديد ٠

يجب أن تكون قادرا على سماع محـادثتين أو ثلاث فى وقت واحـد ، وتعيهما فى ذهنك جيدا ولابد أن تكون ذاكرتك فوتوغرافية فقوة الذاكرة هامة للغاية اذ يجب أن يكون لكل شيء غير عـادى وقع دق النـاقوس فى ذهنك ٠

ومن الحيوى أن تكون قادرا على الاحتفاظ بالمعلومات دون أن تسمح للآخرين بالشك فيك ، فأغلب الرجال يحبون أن يعرفوا ولكنهم يحبون كذلك جذب انتباه الآخرين ولا سيما النساء باحاطة أنفسهم بهالة من الغموض ابرازا منهم لأهميتهم ، وقد يعتبر غير المهرة ولا الخبيرين بالامر ، فقد يعتبرون هذا ليس ميزة بارزة ، ولكن لا شك أن ضابط المخابرات الناجح ليس هو الطابع الصلب الصامت •

يجب أن يتميزوا بطلاقة اللسان وطلاوة الحديث فبقدرتهم على التحدث فى شتى الموضوعات يمكنهم اخفاء الاشياء التى لا يجب عليهم التحدث فيها ، لان الشخص الصامت الغامض يدفع العميل الذكى الى استجلاء أمره ، لانه اذا لاذ بالصمت فانه سيثير الريب ويدفع الى الاعتقاد بأن هذا الصمت يخفى وراءه سرا ، أما اذا تكلم بحكمة وحرص فانه سيبدد هذه الشكوك •

ولكن أهم من كل شيء هو الاخلاص التام والتفانى فى تأدية الواجب ومن شأن هذا أن يجعل الانسان يقدم على عمله بلا تردد أو خوف أو وجل ناسيا نفسه وآله وذويه ، وبدون أن يتوقع جزاء ولا شكورا ولا حتى اعترافا بفضله •

* * *

فمثلا حدث عند ما عرضت خطتى م على الكابتن والتر بولستون مدير مخابرات البحرية سألنى فجأة « حسنا ••• لو نفذنا هذا كيف ستخرج من اليابان اذا نشبت الحرب وأنت هناك ؟ »

وبصراحة لم أكن قد فكرت اطلاقا فى الاجابة على هذا السؤال فى أثناء الست عشرة سنة التى تلت سنة ١٩٢١ وهى السنة التى وضعت فيها الخطة •

قلت « سيدى اننى لم أفكر اطلاقا فى النجاة بل اننى على استعداد دائم للتضحية بنفسى » •

وبعد ذلك بأيام قليلة أخبرني الكابتن زاخارياس بأنه وبولستون قد وضعا خطة لتطبق في حالة نشوب الحرب أثناء وجودي في اليابان • وهي الاحتفاظ بأمر تعيين خاص لي في خزينة الملحق البحري في طوكيو في وظيفة مساعد له ومن شأن هذا أن يمنحني الفرصة في أن أوضع في الاعتقال على اعتبار أنني شخص مشتبه فيه •

لقد عرض زاخارياس في كتابه Secret Missions « مهام سرية » في الفصل General Washizn shows his hand » كيف أن المعلومات المتاحة للملايين من قراء الـ Time لم تصبح بالفعل معلومات مخابرات الا بعد أن جمعها ورتبها الميجر James F. Morarty وأنا ، وجعلنا معها معلومات هامة جعلتنا نعرف أن اليابان ستغزو منشوريا قبل حدوث الغزو بشهور عديدة ، وأنها سوف تعين هنري بويي حاكما عميلا لها هناك •

ولا شك أن هذا يشبه الى حد بعيد تعقب الاثر ، فبالنسبة لانسان ، قد لا تعني أثر خطوات حصان شيئاً ما أكثر من آثار لا معنى لها في الصحراء ، أما بالنسبة للخبير فقد يعني أن الحصان كان يعرج ، أو يجري، أو أنه كان مرهقا او غير مرهق وحتى الخبير لابد له من أن يتمتع بموهبة التفكير المتماسك الذي يستطيع بواسطته أن يستنتج من وجود بعض الآثار تحت شجرة صغيرة أن رجلا كان يلتقط أنفاسه الاخيرة ، ويرفص وينشب أظافره في الارض في محاولة يائسة للحصول على الماء قبل أن يموت •

ويرجع شغفي بالمخابرات الى سنة ١٩٠٤ كنت في الثالثة عشر من عمري وكنت نافخ البوق للسرية ب ، وكنت في طريقي الى معسكري فرقة الحرس الوطني الاريزوني في معسكر ويبل لقضاء اسبوعين ، وكان علينا أن ننتظر اثنتي عشرة ساعة في محطة سكة حديد صغيرة ، وهناك وجدت نسخة قديمة من مجلة تحتوي على قصة لكلارنس هربرت نيو وكانت واحدة من سلسلة تسمى Free Lances in Diplomacy أي « الرماح الطليقة في الدبلوماسية » وهي تحكي مغامرة أمريكي كان قد أصبح شخصية هامة في المخابرات البريطانية ، فتأثرت بها ومن يومها لا تفوتني قراءة قصة من سلسلة قصة المستر نيو •

وفى الواقع كنت مقتنعا فى أثناء الحرب العالمية الاولى أن كلارنس هربرت نيو كان على صلة بوزارة الخارجية البريطانية لان قصصه كانت دقيقة وقريبة جدا من الواقع بشكل جعلنى أعتقد أن الكاتب يلبس الواقع جو الخيال ، وكان احساسى أن أعظم كتب عن الجاسوسية والجاسوسية المضادة كانت القصص الخيالية لهذا الكاتب ٠

وفى سنة ١٩١٢ قابلت عند ما كنت مرة أخرى مع الحرس الوطنى الاريزونى شيئا حقيقيا عن الجاسوسية ، كان كبير معلمينا هو الكابتن لويس ج فان شايك هو الوحيد الذى يحمل ميداليتى الشرف فى الجيش ، وكان أثره على أكثر من أى انسان آخر ، كانت فكرة الحرب مع المانيا تسيطر على ذهنه ، وكم تعرض للازدراء من جانب زملائه بسبب هذه الفكرة ، وبشكل يشبه ما تعرضت له أنا شخصيا عند ما سيطرت فكرة حربنا مع اليابان على قبل حدوث الهجوم على بيرل هاربر بسبع عشرة سنة ٠

كانت مسز فان شايك وزوجتى تعيشان فى كبائن فى جاردن كانبون القريبة من المعسكر ، وفى أثناء زيارتنا وصفت مسز شايك نزهه الى جبل مجاور وأضافت « ووقفنا عند معسكر المانى الشيخ وتناولنا الغذاء » فانتفض الكابتن فان شايك وسأل زوجته « ماذا تعنين بمعسكر الالمانى الشيخ ؟ »

أجابت هناك ألمانى مجنون أطلق لحيته ولكن جنونه ليس من النوع الضار ويظن هذا الرجل أن الولايات المتحدة والمانيا ستشتبكان فى حرب وأن المانيا سوف تهاجمها عن طريق المكسيك وعلى ذلك فهو مشغول يعمل الخرائط وقد جاءت به زوجته الى الجبال حتى لا يضايق أحدا ومع ذلك فهو شيخ متهالك لا يضر أحدا ٠

ونظر الى شايك وهو يقول : مهما كان العذر فان هذا الرجل يرسم خرائط لهذا القطاع ويجب أن نبحث هل كان الرجل يقوم برسم الخرائط فى ألمانيا ؟ ! !

وبالبحث والتحرى ظهر بعد أن أجبر على حلق لحيته أنه كان شابا وسيما فى العقد الرابع من عمره ومعه سلسلة من الخرائط الدقيقة عن هذا القطاع، ولا أذكر كيف نقل الى ألمانيا ولكن كان لعمله أبلغ الاثر على وعلى توجيهى الى المخابرات ٠

ج· ب· وولسنو (الآن فى التقاعد برتبة ميجر جنرال) بقطاع اجو ـ يوما
فالتحقت بالمخابرات بواسطة الكابتن فان شايك وصرت مساعدا للكابتن
Ajo - Yuma سنة ١٩١٦ ·

وفى أول مهمة لى كان على أن اعبر الحدود قرب ناسو Naco للتصنت
على المحادثات على خـط التـليفون الذى يجرى بين كاناني Cananea
واجوا بريبتا Agua Prieta ، والواقع أننى لم أوفق فقد اكتشف
المكسيكيون الاسلاك التى وضعناها للتصنت على خط التليفون ·

وبعد ذلك كلفت بعمل خرائط للطرق والمسالك وعيون الماء فى سينورا
الشمالية وارسال تقارير عن حجم القوات وتسليحهم والذخيرة الموجودة فى
مدينتى سابوركا وكويتوفاكويتو Qutovaquito - Caborca بالمـكسيك
فأخذت بعض الهنود لمساعدتى ·

وكانت أول تجربة عملية فى المخابرات المضادة أثناء الحرب عند ما عينت
ضابطا للمخابرات فى الدفاع الساحلى فى فورت هاميلتون ، وكان كشف
النقاب عن Paul Otto Kuno وآخرين نتيجة لهذا التعيين ولكننا تعلمنا
لعبة المخابرات المضادة ببطء ، وكان التنسيق خاطئـا فى بعض الاحيـان
لدرجة أن ماكنا نظن أنهم جواسيس كانوا بالفعل عملاء لمخابرات البحرية
يقومون بمهام تجسسية مشابهة ·

ولم يكن الالمان بهذا الشكل · لان اكتشافاتنا عنهم كانت تنم عن وجود
خطط متقنة متماسكة منظمة ، ولازلت أذكر فى دهشة أن يوم اعلاننا الحرب
على المانيا كان اليوم الذى اخترناه لاعادة ششخنة مدافعنا الساحلية فى
نيويورك ، والاغرب من ذلك أن بعد دخولنا الحرب ضد المانيا بتسعة أسابيع
لم يكن لدينا مدفع واحد كبير فى هذه المنطقة يمكننا اطلاقه على أسـطول
المانى يحاول غزو شواطئنا اذ أن مدافعنا الساحلية كان مداها يتراوح بين
ثلاثة وخمسة أميال فى وقت كان المدى المألوف يتراوح بين عشرين وثلاثين
ميلا ومعنى ذلك أن مدافع الاسطول النازى للعـدو كان يسـتطيع تحطيم
وسائلنا الدفاعية على الساحل دون أن نستطيع الرد على نيرانه ·

ان الدروس التى يتعلمها الانسان عن المخابرات لا نهاية لها فهى مهمة
تعليمية باستمرار لاننى بعد أن أنفقت الجـزء الاكبر من حيـاتى فى حل
مشاكل المخـابرات ، كنت أحس بأننى لم أؤهل بعـد لان أكون ضـابطا
للمخابرات حتى استسلمت اليابان ومنحت ميدالية الخدمة الممتازة ·

وقيل فى مرسوم منح الوسام « قاد الكولونيل ماشبير منظمة لاستقاء المعلومات الحيوية عن العدو وكان لهذه المعلومات أبلغ الاثر فى استراتيجية المعركة وذلك بترجمة كميات هائلة من الوثائق المستولى عليها وقد عاون بتدريب وادارة طاقما من علماء اللغات مما مكن من اعداد كتيب عسكرى بعنوان « كيفية استغلال الوثائق اليابانية » وقد تقبلته بترحاب كل المستويات فى ميدان الباسفيك وقد ساعد ماشبير على نجاح مؤتمر وزارة الحرب فى سنة ١٩٤٤ بفضل خبرته الواسعة بالمخابرات العسكرية فى منطقة جنوب غرب الباسفيك ، فالمامه الكبير باللغة اليابانية واهتمامه الفائق بالتفاصيل وتفانيه فى تأدية الواجب كل هذه الامور كانت ركنا هاما فى المجهودات الحربية » .

واننى أعتبر أن ماكتبه الجنرال ماك آرثر دبلوما فى المخابرات أنفقت تسع وعشرين سنة فى الدراسة حتى حصلت عليه .

٣

ماذا هى المخابرات ؟

تستعمل كلمة « مخابرات » فى هذا الكتاب لتعنى المعلومات المتعلقة بالعدو بعد أن يتم تقويمها « تقدير قيمتها » ، وتعريف كلمة « مخابرات » ليس بيسر من تعريف كلمة « هندسة » ، فالرجل الذى يقال عنه أنه « مهندس » قد يكون مهندس كهربائى أو ميكانيكى أو مهندس مدنى أو مهندس جوى أو مهندس معمارى أو مهندس فى السكك الحديدية أو مهندس طرق أو أى صورة من مائة وثمانين صورة يمكن أن يكون الشخص مهندسا فيها .

وتكون المخابرات فى وقت الحرب ايجابية أو سلبية ، والمخابرات الايجابية عبارة عن معلومات عن قوة العدو ومواقعه ونواياه المحتملة وعندما يتعلق الامر بقوات العدو فى الميدان ، نسميها المخابرات التكتيكية ، وعندما تتعلق بموارده الحربية وعملياته المستقبلة والروح المعنوية للشعب فى أرض الوطن ، فانها تسمى بالمخابرات الاستراتيجية .

وتؤخذ المخابرات المتعلقة بالقتال من تصوير القتال فعلا ومن المعلومات المستمدة من الوثائق وأسرى الحرب ، ومن الهاربين ومن الرسائل التى تلتقط ، ومن المصادر الاخرى .

ويمكن جمع المعلومات الايجابية خلف خطوط العدو بواسطة الجواسيس والخونة ومن عمال السخرة الاجانب وبطرق أخرى متعددة وهذا النوع هو الجاسوسية الفعلية .

وتتضمن المخابرات السلبية منع العدو من استجلاء أمورك ، والتجسس المضاد معناه منع جواسيسه أو عملائه من التسلل الى أسرارنا ، ومن وظيفة المخابرات المضادة وقف تسرب المعلومات من داخل صفوف قواتنا بسبب الاهمال أو فقدان الوعى بالامن .

ومن الضرورى لفهم مخابرات القتال أن تعرف وظيفة ضابط المخابرات فى قيادة ، فالعادة أن تتكون قيادة الوحدة التكتيكية من القائد وهيئة أركان حربه، وتتكون هيئة أركان الحرب للقائد من رئيس للهيئة ومساعدين للرئيس وذلك كما يلى : أركان حرب (١) للافراد ، أركان حرب (٢) للمخابرات ، اركان حرب (٣) للعمليات ، أركان حرب (٤) لشئون تسليح ونقل وتحركات القوات • وفى المرحلة الاخيرة من الحرب العالمية الثانية أضيف أركان حرب (٥) للحكومة العسكرية •

وعند تقدير أى موقف تكتيكى استعدادا لاصدار أمر ، لابد وأن يأخذ أعضاء هيئة أركان الحرب بعض العوامل المعينة فى الاعتبار حتى يتسنى لهم عرض الخطط المحتملة على القائد كى يتخذ قرارا لا يمكن لغيره أن يتخذه، أو لا يجب أن يعرف مهمته هل سيطارد العدو أو يوقف مطاردة العدو له ، أو أى حركات أخرى تكتيكية يطالب القائد بالقيام بها ؛ ثانيا : لابد من أن يوازن قوته والامدادات المتاحة له ، وكذلك التموين والطقس ، والارض ؛ ثالثا : لابد من أن يدرك قوة العدو والطرق التى سيسلكها • وأخيرا نوايا العدو وهذه بالغة الاهمية ، ولا يمكن للقائد أن يعرف كل هذه الامور الا عن طريق ضابط مخابراته الخاص •

وعلى أساس هذه المعلومات فان أركان حرب (٣) بالتشاور مع رئيس أركان الحرب يعد خطة أو أكثر بالتشاور مع أركان حرب (١) لمعرفة العدد اللازم من الافراد ، ومع أركان حرب (٤) لتقدير امكانيات امداد الافراد بحاجتهم من الغذاء والادوات والمهمات وتحريكهم للاماكن المطلوبة فى الوقت المناسب ، وتقدم هذه الخطط بعد ذلك للقائد الذى يصدر الامر ، بعد دراسة توصيات رئيس أركان حرب وبعد خطة لتنفيذ أركان الحرب (٣) مع ملاحق تغطى الاجزاء الاخرى التى يعدها بالكامل أفراد هيئة أركان الحرب ، ولكن تقع المسئولية فى النهاية على القائد وحده الذى ربما يلقى جانبا كل المقترحات المقدمة له ويوجه هيئة أركان الحرب وجهة مختلفة تماما •

فقد رفض ماك آرثر مثلا كل الخطط الخاصة بالهجوم على جزيرة Wewak وطلب الاستيلاء على هولنديا التى تبعد عنها مئات الاميال ، وتدل هذه العملية التى تمت بأقل عدد ممكن من الضحايا على عبقريته كقائد •

* * *

وفي كلمات أخرى، فبعد أن يدرس ضابط المخابرات كل الطرق المفتوحة للعدو لابد وأن يقرر الطريق الذى يحتمل أن يسلكه حتى يستطيع القائد أن يضع خطته على هذا الاساس ، والمثل الناجح لمثل هذا التخطيط كان على أساس الخطــة اليابانيــة المعروفة ب Z - plan التى قامت وحــدتى بترجمتها ، واستطاع الكومودور راى تاربوك Ray Tarbuek الضابط البحرى الملحق بقسم التخطيط بقيادة الجنرال ماك آرثر فى ذلك الحين أن يحدد اسم كل قطعة بحرية يابانية خرجب من مضيق سوريجاوSurigoa ومضيق سان برناردينو Sen Bernardino للقيام بهجوم مضاد على قوات ماك آرثر التى كانت تنزل فى جزيرة ليتى Leyte ، ولم يخطىء الا فى اسم سفينة واحدة وقد شك باقي الضباط البحريين فى أن السفن اليابانية ستنجح فى الخروج ولــكن أغرقت جميع الســفن اليابانيــة ، وكلل عمــل الكابتن تاربوك Tarbuck بالنجاح لا بهزيمة اليابانيين فحسب بل لتفوقه على أقرانه من الضباط الآخرين ٠

ومن الجائز أن الفشل فى كشف النقاب عن تحركات اليابانيين ربما كان يكلفنا حياة ٩٠٫٠٠٠ جندى أمريكى والهزيمــة فى المعركة والفشــل فى الهجوم على الفلبين وربما تأخير النصر النهائى فى معركتنا ضد اليابان ٠

ويعتبر العمل الذى قام به الكومودور تاربوك Tarbuck من أعظم وأروع الاعمال التى سجلتها مخابرات الاسطول ابان الحرب فهى لم تنقذ الفلبين فحسب بل ساهمت مساهمة هائلة فى معركة خليج ليتى Leyte التى اشتركت فيها سفن أكثر عددا من السفن التى قاتلت فى معركة جتلند » ، وقد وصفت فى كتاب وسم بعنوان « أعظم معركة فى التاريخ البحرى » ، واذا كان من الضرورى الاعتراف بالفضل لذويه فانه على المسئولين أن يبعدوا كل الذين أوشكوا على قلب النصر الى هزيمة عن أى صلة بالمخابرات حتى لا تتكرر مأساة بيرل هاربر ٠

وهناك عملية عليمة تمت فى زمن السلم لا تقل روعة عن ذلك فقد وصل الى علم الدكتور ملفيل بيترز Melville F. Peters عالم الفيزيقيا أن الروس قد اخترعوا أشعة الكترونية قوية جدا تستطيع اسقاط طائرة وهى على بعد كيلو مترين بجعل « فيشــاتها » تحترق كلها فى وقت واحــد ، فاخترع بدوره جهازا يكون بمثابة درع يقي الطائرات من هذه الاشعة مهما كانت، وهكذا نرى الاجراءات المضادة العليمة قد اتخذت حتى قبل أن يعرف هذا السلاح نفسه الامر الذى جعله عديم الجدوى ، وهذه تعتبر مخابرات استراتيجية حقيقية ٠

أما المخابرات السلبية فقد أصبحت مشكلة معقدة للغاية ، وأبسط صورها هى « الامن » بمعنى الخطوات الضرورية لضمان أن كل الاوامر والرسائل وتحركات القوات تبقى سرا لا يعرفه العدو ، وهى تعنى بالنسبة للجندى الذى يعمل فى مكتب ضرورة اتخاذ الحيطة لعدم ترك خزائنه أو أدراج مكتبه مفتوحة ، ويجب عليه كذلك أن يفحص قصاصات الورق التى فى سلة المهملات حتى يتأكد أنه لم يرمى بورقة هامة بها عن طريق الخطأ .

ويوضح هذا ما يأتى : فى صبيحة يوم اعلاننا الحرب على ألمانيا فى الحرب العالمية الاولى وجد وزير الحربية عقب وصوله الى مكتبه مئات من المحابر على مكتبه وعلى المقاعد والارفف ، وفى أرض الغرفة ، فغضب وأصدر أمره بالتحقيق ، ولكن دون جدوى وبعد بضع ساعات وصل مدير المخابرات السرية للولايات المتحدة لمقابلته ، وقال أن كل محبرة قد أخذت من على مكتب من المكاتب الموجودة فى وزارة الخارجية ووزارة الحربية ووزارة البحرية ، ويبين هذا مدى الاهمال فى احتياطات الامن فى هذه الوزارات .

يعرف كل ضباط المخابرات أن أية ورقة من أوراق الكربون المستعملة يجب حرقها والا كانت سببا فى نقل المعلومات الى العدو ، وهناك مثلا على ذلك فى الحرب العالمية الثانية . اذ وجدت ورقة كربون ملقاة على الارض فى مركز من مراكز القيادة اليابانية فى قطاع كومياتوم Komiatum فى غينيا الجديدة بعد اكتساحها ، فتم فحصها شأنها شأن أية قصاصة أخرى من الورق ولم يتسنى الا قراءة جزء بسيط منها ، وقد كانت ورقة الكربون هذه مصدرا لثلاثة أخبار فى غاية الاهمية فجزء منها بين مذكرة تاريخها ٢٤ من مايو سنة ١٩٤٣ عن الجرعات التى أعطيت للوقاية من الملاريا فى منطقة موبو Mubo ، وأهم من ذلك كان فيها جدولا مبينا للقوة الحقيقية لوحدة القيادة وكذلك الوحدات الاخرى التى تتكون منها آلاى المشاة السادس والستين ، وكان أهم المعلومات بيان يظهر الطريق الذى يتحتم على كل بارجة أو سفينة أخرى أن تسلكه فى طريقها من كوكوبو Kokopo الى سالاموا Salamua فى أيام شهر مايو عام١٩٤٣، وكان لهذا الخبر الاخير نتيجة مروعة اذ تسبب فى قتل آلاف من الجنود اليابانيين .

وهكذا نرى أن الامن يمكن أن يعنى الامن فى ميدان القتال ، والامن فى أرض الوطن ؛ ويتضمن الامن لذلك الرماية والتعليمات التى تصدر للموظفين عما يقولونه فى حالة وقوعهم فى الاسر ، وماذا يفعلونه بمعداتهم وأسلحتهم عند ما يكونون وشيكى الوقوع فى قبضة العدو .

وقليل جدا من هذه الواجبات المتعلقة بالمخابرات رومانتيكية الطابع أو درامتية ، فهى تشتمل على جمع اجزاء صغيرة من المعلومات حتى تظهر فى النهاية صورة تكفى ضابط المخابرات المدرب لقبوله أو رفض الصورة بأكملها جملة وتفصيلا ٠

وتعتبر المخابرات مصدرا مستمرا لمضايقة القائد الذى لم يدرك تماما أهمية المخابرات والامن ، ففى الميدان يحس القائد بأن عددا قليلا جدا من الافراد ليسوا مسئولين أمامه بل أمام شخص آخر وانهم يتجولون بين حطام المعارك ويفتشون القتلى ويفحصون ما ترك العدو وراءه من أسلحة ومعدات ويستجوبون الاسرى أو يقرءون قصاصات الورق ويتصلون بسلطات أعلى بطريق غير طريقه ، وهو لن يعرف قيمتهم الا بعد أن يخرجوا من كل هذا بخبر تكتيكى هام يفيده فى معاركه ، ويتوقف رأى جماعة المخابرات فى القائد الجديد على مبلغ ادراكه لقيمة جماعة المخابرات فى القتال أكثر مما يتوقف على ما يعمله فى أرض الاستعراض ٠

أما الرجل العادى فتقترن كلمة «مخابرات» فى ذهنه بلفظه «جاسوس» ، وما أكثر الانفعالات النفسية المتباينة التى ترتبط بها هذه الكلمة « جاسوس » ؛ وعمل الجاسوس يتوقف على ما اذا كان صديقا أو عدوا وهنا يلقى اما الثناء واما الاحتقار ، واما التكريم واما الموت ٠

ومع ذلك فعبر القرون ، وقبل أن يرسل موسى اثنى عشر رسولا للتجسس فى أرض كنعان ومعرفة حالة هذه البلاد ، قبل هذه كان الجواسيس من الامور الحيوية فى الحروب سواء قبلها أو فى أثنائها أو بعدها ، ويدين يوشوع بن نون وهانيبال وقيصر ونابليون وواشنطون وجرانت ولى بانتصاراتهم المؤزرة للمعلومات التى أمدهم بها جواسيسهم ، كما كانت الهزائم المنكرة التى حلت بالقواد فى الميدان نتيجة للجواسيس ولافراد الطابور الخامس من أعدائهم ٠

ولسنوات طوال قبل الحرب العالمية الاولى كان لالمانيا شبكة من الجواسيس فى كل بلاد أعدائها ، وقد وصفت فى مكان آخر كيف كان لها جاسوس فى كل فصيلة وجماعة وبطارية فى جيشنا ، على أنه عند ما تحطمت الابراج الفولازية لقلعتى لييج ونامور ببلجيكا بسبب الدقة المزهلة التى أطلقت بها المانيا مدافعها من طراز برتا Big Berta عيار ٤٢ سنتيمتر ، وأدرك عدد قليل من الناس مدى مهارة المخابرات الالمانية

التى كانت تعمل قبـل ذلك لسنوات والتى كان من عملهـا هذا التدمير التام للقلعتين ، اذ لم يكتشف الجواسيس الالمان سمك الابراج والتكوين الكيمائى للصلب الذى صنعت منه فحسب ، بل كذلك درجـة انحنائهـا بالضبط ، وبعد ذلك انكب الرياضيون (علماء الرياضـة) على تحـديد حجم ووزن قذيفة تستطيع اختراق هذه الابراج وكذلك السرعة المطلوبة للقذيفة والزاوية التى يجب أن تضرب منها ٠

وهنا وضع الخبراء فى السلاح تصميما لمدفع يمكنه اطلاق هذه القذيفة بالسرعة المطلوبة ٠فصنع Big Bertha من عيار ٤٢ سم ، فهل كان صنع المدفع وحده كافيا ؟ ٠٠٠ الواقع لا ٠٠ ، فقد أرسل العملاء الالمان الى بلجيكا وكانوا يتجولون فى ثياب رجال الاعمال الاثرياء فاشتروا القصور والدور الواسعة التى تحيط بهـا الضيـاع وتحتوى كل مظاهر الترف كحمامات السباحة وملاعب التنس وظهر بعـد الحرب أن كلا من ملاعب التنس هذه كانت قواعد لمدافع Big Bertha ومعدة اعدادا تاما من ناحية المدى والانكسار والارتفاع وتم كل هذا قبل الحرب بفترة طويلة ٠

وعند ما نشبت الحرب كان كل ما هو لازم من الالمان الغزاة هو تركيب المدافع واطلاق النيران ، ودمرت قلعتا لييج ونامور فى لمح البصر فى الوقت الذى كان العالم فيه مذهولا من دقة المدفعية الالمانية ٠ وهذا يعتبر نموذجا عمليا لعمل المخابرات ٠

تعلم اليابانيون هذا الدرس ويبدو ذلك من حادثة حـدثت فى سـنة ١٩٣٦ قبل رحلتى الثانية لليابان سألنى الجنرال ماتسوموتو Matsumoto الملحق العسكرى اليابانى فى واشنطون عما يذيب الخرسانة المسلحة على اعتبار أننى خبير بهذا الموضوع فأجبت أن السـكر ونشارة الخشب تفعل ذلك اذا وضعت فيه قبل أن يتماسك ٠

فأخبرنى بعد ذلك أن بعض الضباط اليابانيين قد عبروا حدود منشوريا ووجدوا أن للروس ثلاثة صفوف من المواقع المحصنة فى وضع مائل وتبعد كل موقع عن الموقع الآخر فى نفس الصف بمسافة كيلومتر ، كما يبعد كل صف عن ٠ الصف الذى يليه بكيلومتر كذلك ، وتمتد على طول الحدود وترتفع كل قاعدة عن الارض بمترين أو ثلاثة ٠

وقلت له كيف صنع الالمان مدفع برتا Big Bertha لتحطيم المواقع التى تعطل تقدمهم ، فأخبرنى بأن اليابانيين قد فكروا فى ذلك ولكن الامر

يحتاج لمدفعية من عيار ٣٠ سم وسألنى عما اذا كان من الممكن أن يتوافر شيء آخر فانه من الصعب انتاج العدد الكبير من هذه المدافع ٠

وأخيرا قال : ان الروس بلهاء لانهم بنوا القواعد فوق الارض اذ من السهل مهاجمتها بالدبابات وايقاف دبابة أمام الفتحة بسعة ١٢ بوصة مربعة فى كل « دشمة » ثم استعمال القنابل اليدوية الفوسفورية ، وسيصبح من الصعب على الجنود البقاء فى درجة حرارة ٢٣٠٠ ؛ وقد استعملنا نحن فيما بعد هذه الطريقة نفسها فى طرد اليابانيين أنفسهم من دار بلدية مانيلا سنة ١٩٤٥ بعد أن فشلنا فى اجلائهم عنها بقنابل المدافع ٠

لا زالت أعمال الالمان قبل الحرب العالمية الثانية ماثلة حية فى الاذهان ولكن دخل عليها عنصر جديد وهو الطابور الخامس ، وبعد نشوب الحرب زاد عنصر آخر وهو ملايين الرهائن الذين أبقوا فى ألمانيا للعمل كسخرة ، وعند ما عينت ضابطا للمخابرات فى سلاح الاشارة كنت مطالبا بالحصول على معلومات خاصة بالمواصلات فى كل بلاد العالم فاختبرت عشرات من المتقدمين للخدمة الموثون فيهم والمتخصصين فى اللغات أو الخبراء فى وسائل الاتصال وكنت أسأل كلا منهم هذا السؤال :

ـ هل لك قريب يعيش فى أى بلد من بلاد المحور ؟ فاذا كانت الاجابة بنعم كنت أرفض المتقدم للعمل وأقول له :

ـ « ان ولاءك لا شك فيه ، ولكن هذه البلاد مليئة بالعملاء الاجانب ووجودك بوزارة الحربية سيعرف حتما ، فاذا وجدت فى صبيحة يوم على مكتبك ورقة مكتوبا عليها أنها أخذت من عمتك سونيا باستعمال مخدر وانك مالم تتعاون فستؤخذ فى المرة القادمة بدون مخدر ، فانك ستواجه حينئذ بثلاثة احتمالات ، الاول : معرفة القسوة المتعمدة التى سيتعرض لها قريب لك ، والثانى : الخيانة للبلاد ، والثالث : الانتحار ، ولا أحب بالطبع أن أعرض أى فرد لاى من هذه الامور ولذا لا يمكننى انتخابك للعمل فى هذا المكتب ٠

بالطبع تحتاج المخابرات المتعلقة بالعمل فى أى بلد معرفة عميقة بسيكلوجية هذا البلد ، ومن رأيى أن ألمانيا خسرت الحربين السابقين بسبب خطئها فى معرفة سيكلوجية أعدائها ، فمثلا شنت ألمانيا الحرب

الاولى لتكون حرب ارهاب وتخويف ـ ارهاب بلجيكا حتى لا تبدى أية مقاومة ، وارهاب انجلترا حتى لا تهب للدفاع عن فرنسا ، وكانت الوسائل المستعملة وحشية لدرجة أن خوف البلجيكيين انقلب الى يأس دفعهم الى الدفاع المحموم البطولى ، وحدث نفس الشىء فى انجلترا التى ضحت بجيشها النظامى وحاربت بقوة حتى تدخلت الولايات المتحدة لينقلب المد.

كان الالمان يعلمون كثيرا عن الموقف الداخلى فى أمريكا الذى كان سببا فى اعادة انتخاب الرئيس ويلسون فى سنة ١٩١٦ ، اذ كان ينادى ببقاء أمريكا بعيدة عن الحرب ، فقد كان الالمان يعرفون اننا قد نستمر فى شحن الاسلحة والمعدات للحلفاء دون أن نشترك ايجابيا فى الحرب ، الا اذا تعرضنا لعمل مضاد سافر يجعلنا نتدخل تدخلا فعليا .

وفى سنة ١٩١٧ بدأ الحلفاء فى التقهقر ، وحانت فرصة المانيا فاذا استطاعت اجبارنا على دخول الحرب فسوف يأخذ اعداد الحملة شهورا طويلة فضلا عن أننا سنحول امكانياتنا العسكرية لجيشنا وسيكون من نتيجة هذا انقاص امداداتنا العسكرية للحلفاء ، فشنت حملة الغواصات بطريقة « أغرق سفن العدو دون أن نترك أثرا وراءك » .

قد خلنا الحرب ولم نكن مسلحين فشن الالمان هجومهم الكبير على الحلفاء بغية احراز نصر سريع قبل أن تستطيع قواتنا الفجة التدخل ، وكنا فى البداية نقترض مدافع الفرنسيين ليستعملها جنودنا وكانت بنادق مشاتنا صورة فجة من بنادق لى أنفلد الانجليزية ، ولم تكن على ناشينكهاتها الخلفية زردات ضبط اتجاه الريح وكانت جيدة فقط فى الضرب بالتوجيه المباشر.

ولكن لو كنا تأخرنا عن الاشتراك فى معركة المارن لستة أسابيع لانتهت الحرب بنصر مؤزر للألمان ، فقد أوقفت كتيبة المشاة السابعة والثلاثين الامريكية فرق العصف الالمانية لعدة أيام ، وكذلك بطولة مهندسينا على المارن ، وقد منح الملازم تومارس لاركين من المهندسين صليب الخدمة الممتازة لبطولته فى عبور المارن عدة مرات تحت نيران العدو ، وتوماس لاركين صار فيما بعد وهو رتبة الليفتينانت جنرال فى الحرب الاخيرة رئيسا للامدادات والتموين فى الجيش .

وقد ثبتت وحدته الصغيرة من المهندسين المقاتلين ضد قوات كبيرة من الالمان ، وتدل هذه القصة وغيرها على طابع البطولة والتضحية على مثال

ما حدث من رفض قائد الكتيبة السابعة والثلاثين المشاة من يأمر جنوده بالتقهقر بسبب انهم - كما قال - لا يفهمون معنى كلمة « تقهقر » Retreat على أن وحشية الالمان واليابانيين فى الحرب العالمية الثانية كان لها أبلغ الاثر فى اثارة كراهية الشعوب التى ربما كانت قد بقيت بعيدة عن الحرب ولم تشترك فيها لولاهذه الاعمال الوحشية التى ارتكبت، ومرة أخرى وجدنا أنفسنا نشترك فى الحرب فى الوقت الذى اختاره المحور لنا ٠

ولكن ماذا هى الاخطاء التى وقعوا فيها ؟

ان الاجابة على ذلك بسيطة عند ما وضع الالمان واليابانيون خططهم الوحشية الارهابية كانوا ينزلون بالبلاد التى اكتسحوها الآلام والفواجع بشكل جعل أعداءهم يفكرون فى عقابهم بنفس الطريقة ، أى بضرب المدينتين بالقنابل من البر والبحر والجو ٠

فبعد الحرب العالمية الاولى وقبل الحرب العالمية الثانية لم يكن فىجيشنا وبحريتنا ما يمكن أن نسميه بالمخابرات العسكرية ، لان الكونجرس كان يقتطع الاعتمادات التى تعتمد لهذا الغرض بصفة مستمرة ٠ فكل المعلومات التى كان ملحقونا العسكريون فى الخارج يوافوننا بها كانت خاطئة ، ولم يلتفت اليها لان الكونجرس رفض اعتماد أى مبلغ للمخابرات فى الخارج ولم يترك سوى مبالغ تافهة لا تكفى الا لمرتبات الملحقين العسكريين ، وكانت المرتبات تافهة لدرجة أن أى ملحق عسكرى يجد مصدرا آخر لكسب العيش كان يبادر بترك وظيفتة ، لان أجره لم يكن يكفى للمحافظة على هيئة وسمعة الولايات المتحدة فى الخارج ٠

فالسفير الامريكى العادى فى وقت السلم هو الرجل الذى يستطيع أن يدفع مبلغ ١٠٠٫٠٠٠ دولار فى العام من جيبه الخاص فى مقابل كلمات « صاحب السعادة السفير » وفى الطلب الذى يقدم لشغل وظيفة الملحق العسكرى نجد فى الركن الاعلى على اليمين جزءا خاليا يجب على طالب الوظيفة أن يكتبفيه دخله ودخلزوجته وذلكبالاضافة الى مرتب الوظيفة، ومعنى هذا أن هذه الوظائف كانت قاصرة على الاغنياء أو أزواج الثريات لا الاذكياء من الرجال ٠

وهكذا تكونت طبقة من الضباط الاثرياء فى الجيش ينتقلون من واشنطون واليها ، لهم ناديهم الذى لا يدخله أحد سواهم مهما كانت مؤهلاته ٠

لم يكن كل الضباط علىهذه الشاكلة بالطبع فمثلا كان هناك الكولونيل ترومان سميث Truman Smitr والبريجادير جنرال بونر ف٠ فيلرز Fellers ، فترومان هو الذى قدم لندبرج الى المارشال جورنج ، وهو الذى اتفق مع لندبرج فى الرأى على أن ألمانيا كانت تملك أعظم قوة جوية فى العالم ، وكانت نتيجة ذلك احالته الى الاستيداع رغم اعادته للخدمة فى أثناء الحرب الاخيرة باعتباره واحدا من أعظم الخبراء بشئون المانيا ٠

وبونر فيلرز هو الرجل الذى تنبأ عند ما كان ملحقا عسكريا فى مصر بأن المانيا ستهاجم الروسيا ، وان مقاومة الروسيا لن تتلاشى كما يظن الكل فى ستة أسابيع بل ستكون روسيا هى السبب فى سقوط ألمانيا فى النهاية ، وكذلك تنبأ بعجزها عن غزو بريطانيا عبر بحر المانش ، فقوبل قوله بالاستهجان وكان على وشك الاحالة الى الاستيداع ، وأخيرا نقل الى المحيط الهادى وبعد الحرب لم تنساه أمريكا فأصبح مديرا للعلاقات العامة فى هيئة المحاربين المقدامى الذين حاربوا فى الخارج وذلك لخدمة مصالح الدفاع القومى ٠

وتعزى احالة زاخارياس برتبته رير أدميرال على الاستيداع الى أنه كان على صواب فى الوقت الذى كان فيه رؤساؤه على خطأ ٠

أذكر جيدا التوبيخ الذى تعرضت له فى يوم عيد «الفصح» سنة ١٩٤٣ عند ما قدمت خطة للحرب النفسية ضد اليابان ومن الغريب أن الخطة بحذافيرها فقدت بعد ذلك بعامين عند ما تبناها بونر فيلرز الذى كان فى ذلك الوقت سكرتيرا عسكريا للجنرال ماك آرثر ورئيسا لفرع الحرب النفسية ٠

واعتقد أن تعيين الميجر جنرال ستيفن تشمبرلين Stephen Chamberlain كمساعد لرئيس هيئة أركان حرب الولايات المتحدة ومديرا للمخابرات كان من أعظم الاعمال التى قام به الجنرال أيزنهاور فقد كان الجنرال

تشمبرلن مساعدا لماك آرثر طوال مدة الحرب ، أى أنه كان رئيس قسم التخطيط فى هيئة أركان حرب الجنرال ماك آرثر وواحدا من أعظم واضعى الخطط الذين أخرجهم جيشنا ، وعند ما ذهبت اليه لاهنئه بهذا المنصب قال أنه لا يدرى لماذا وقع عليه الاختيار ، فقلت له أنهم احسنوا الاختيار فلقد كان يعرف أكثر من أى شخص آخر نوع المخابرات التى يحتاجها القائد فى الميدان ، وبالرغم من أنه لم يكن هو نفسه ضابطا للمخابرات الا أنه كان يعرف على وجه التحديد ما يجب أن يقدمه ضابط المخابرات الى القائد فى وقت الحرب وعلى العموم فان التقدير النهائى لعمل المخابرات هو النجاح فى المعركة ، ويمكننى أن أعرف «المخابرات الناجحة» بانها الانتاج المشترك لعدد كبير من الرجال يكون كل منهم قد كرس كل حياته لدراسة كيفية منح بلاده أقصى درجة من درجات الامن فى زمن السلم وأقصى درجة من درجات النجاح فى وقت الحرب ٠

الكتاب الثاني

٤

الى اليـــابان

عندما كنت كبيرا للمفتشين بالنيابة فى معسكر صيفى ٠ بكامب دافيد تلقيت خطابا سريا من وزارة الحرب باعفائى من منصبى كاستاذ للعلوم العسكرية والتكتيك بجامعة سيراكيوز والذهاب الى واشنطون لمقابلة رئيس هيئة أركان الحرب شخصيا على أن أشغل منصبا مؤقتا فى مكتب مساعد رئيس هيئة أركان حرب الجيش (القسم الثانى) مع الاستعداد للسفر الى سان فرانسسكو لركوب السفينة التى ستبحر يوم ٧ من أغسطس سنة ١٩٢٠ فى طريقها الى طوكيو ، وذلك للتخصص لمـــدة أربع ســـنوات فى دراسة اللغة اليابانية ولتأدية أى واجبات أخرى تطلب منى ٠

عند ما وصلت واشنطون قابلت زميلى الميجر ادورد ويتسل Edward F. Witsell الذى تلقى نفس الامر بعد أن وقع عليه الاختيار مثلى ، فقضينا شهرا فى واشنطون لتلقى كل التعليمات المتصلة بمهمتنا ، وقد تأثر كلانا بقول رئيس هيئة أركان الحرب لنا « لقد وقع عليكما الاختيار من بين مئات المتقدمين من الجيش للقيام بهذه المهمة ومن المؤكد أنه سيكون لكما شأن فى الحرب القادمة » ٠

لم يكن قد تيسر لكلينا السفر للخارج أثناء الحرب العالمية الاولى وكنا نشعر بأنه لابد لنا من الاستعداد للحرب الثانية حتى نرتقى فى الجيش ، ولم يخالجنا الشك فى أن هذه الحرب ستكون مع اليابان على ذلك صممت على التفكير فى الوسائل التى تساعدنى على اقتناص بعض المعلومات عن اليابان ٠

كانت السفينة مداواسكا Madawoska سفينة لنقـل الماشيـــة اشتريت من الحكومة البريطانية من مدة طويلة ثم تمت بعض التعـــديلات والترميمات فيها بحيث تصبح مقبولة لنقل الضباط والجنود عبر المحيط الهادى ، وقد شعرنا بميل نحو بعض المسافرين معنا وهم الميجر لورانس

هورسفول والميجر جوزيف سنلويل والكابتن رونالد فسكن والملازم باركر تيني وكانوا في بعثة مسافرة للصين لدراسة اللغة الصينية لمدة أربع سنوات ، وانضم الينا في مانيلا ادوارد سيربل واين السكرتير الثاني للسفارة الذي أصبح صديق العمر لي بعد ذلك ، وكان الكوماندور لويس ريتشاردسون في طريقه الى فلاديفستوك ليتولى قيادة السفينة « الباني » Albany ، ونظرا لان بوادر الحرب كانت تبدو في الافق فقد كنا نتشاور في كيفية اجلائه لنا من اليابان •

وصلنا هونولولو دون حادث يذكر رغم دوار البحر الذي انتابني منذ ركبت الباخرة في سان فرنسسكو وقد أحببت هونولولو منذ وصولي اليها ثم كانت جنتي المختارة منذ ذلك الحين ، وبعد ذلك وصلنا مانيلا وسط عاصفة قالت عنها الصحف أنها أخطر عاصفة شهدتها البلاد في الثلاثين سنة الاخيرة ومكثنا بها أسبوعين لاعادة طلاء الباخرة ، وزرنا القنصل الياباني العام حسب التعليمات في مبنى القنصلية في مانيلا ، وقد شهدت هذا المبنى مرة ثانية سنة ١٩٤٥ عند ما كانت مانيلا تحترق وكانت مدفعيتنا تشق ثغرات في جدرانها •

ولما دخلنا المبنى مكثنا مع الرجل وكان اسمه سابور كورسو Sabura Kurusu لمدة نصف ساعة ، ولم أكن أدري أن هذا الرجل المؤدب العالم اللبق سيلعب دورا هاما في تاريخ العالم كما سيكون له أبلغ الاثر في عمل كل منا •

ثم حان يوم رحيلنا وودعنا على رصيف الميناء الكولونيل Alvirn C. Gillem وكان عائدا لتوه من سيبيريا حيث كان رئيسا لهيئة أركان حرب الكولونيل مورو Morrow قائد البعثة ، وأكد لنا أن اليابانيين راغبين في الحرب لانه رأى ضابطا يابانيا ثملا يلوح بيده ويقول للكولونيل مورو Morrow « أيها الامريكيون لقد حان دوركم » •

عند وصولنا لليابان استقبلنا بعض الضباط الذين سبقونا لدراسة اللغة اليابانية وحدث عند التفتيش الجمركي أن اشتبه ضباط الجمرك اليابانيين في مضارب الجولف وظنوها سلاحا أجنبيا لا يعرفونه ، ولكنهم تركونا بعد أن احتجزونا لمدة ربع ساعة وبعد أن لوحنا بجوازات سفرنا الدبلوماسية وقدموا لنا الاعتذار •

فذهبنا الى محطة سكوراجيشو لنسافر الى طوكيو بالقطار وفى اليوم التالى قدمنا أنفسنا الى الكولونيل تشارلز بورنت Charles Burnett الملحق العسكرى فطلب منا القيام بالزيارات الدبلوماسية المعتادة ، وفى طوال الاسبوعين من التجوال لزيارة مشاهد طوكيو لم نقابل أحدا على انفراد وبعد ذلك زرنا كل أعضاء السلك السياسى الامريكى وقوبلنا بترحاب من الجميع ٠

ونظرا للشعور المعادى لامريكا فى اليابان لم نستطع الحصول على مساكن مستقلة لنا وعلى ذلك نزلنا بفندق Bosui - Ro فى أومورى Omori ، وكانت الحكومة تلهب هذا الشعور المعادى لامريكا ووصلت الكراهية الى ذروتها عقب قصة « الخرائط السرية » التى حاول الملازم أوياما K. Oyama حفيد الفيلد مارشال المشهور أن يبيعها الى ملحقنا العسكرى الذى كان متغيبا فى ذلك الوقت ، وسمح مساعده للملازم أوياما Oyama بترك الخرائط فى مكتب الملحق العسكرى ليلة واحدة حتى يستطيع فحصها ، وبعد ذلك أبلغ أوياما البوليس الذى وصل فى الحال وطالب بالخرائط المسروقة ، ووصلت العلاقات الدبلوماسية فى هذه اللحظة الى حد القطيعة وكان من الممكن أن يؤدى هذا الحادث الى الحرب ٠

ومع ذلك فقد خفت حدة الحملة ضدنا وأوقفت النشرات الملتهبة والمقالات العدائية ، واستطعت أن أجد أنا وايد ويتسل مسكنين متفرقين لنا فى المدينة ، وانكببنا بعد ذلك على دراسة اللغة اليابانية بصفة جدية ٠

كانت السفارة عند وصولنا فى حالة انقسام ، وقد اتصلوا بكل منا على انفراد لمعرفة الى أى من الجانبين يمكن أن ننضم ، وكانت اجاباتنا متماثلة تماما ومبسطة ، وقد قلت : « لو وصل الامر فى يوم ما الى أن أجد أننى لا أستطيع الاخلاص **لرئيسى فان الشىء الوحيد** الذى أفعله هو أن أطلب تغييرى من هذا العمل » ٠

ويبدو أن هذا قد وضعنى فى الجانب الخاسر ، وليس من الغريب فحسب بل ومن المحزن أن تكون الحوادث التى لم يكن لى يد فيها ولا مصلحة قد أثرت فى حياتى العملية لسنوات طويلة تالية ٠

وكان علينا أن نتعلم واجبات أخرى ، فقد كان من الضرورى أن يكون لكل منا فى السفارة اربعمائة بطاقة باسمه ومائتى بطاقة باسم زوجته ، وكان واجب السكرتير الثالث أن يوزعها فى بعض المناسبات ، فمثلا فى

يوم عيد ميلاد ملك سيام كان كل من أعضاء السفارة يتلقى بطاقة تحمل اسمه بالفرنسية ، وكان من الضرورى أن يرسل بطاقة للرد عليها وهذا عمل يقوم به السكرتير الثالث ، وفى بعض الشهور كنت أجد أكثر من خمسمائة بطاقة محفوظة لى تحمل بحروف بارزة كلمتى « النقيب ماشبير » أو « مدام ماشبير » وقام بارسالها السكرتيرون من الدرجة الثالثة فى السفارات الاخرى ٠

وعمل آخر يتولاه السكرتير الثالث هو أن يرتب المقاعد فى الدعوات ، وهذا عمل يحطم الاعصاب بل وله خطره ذلك لان بعض الدبلوماسيون قد يتركون مكان الدعوة عند ما يجدون أن البطاقات التى تحمل أسماءهم قد وضعت فى غير المكان الذى يجب أن تكون فيه بحكم مكانتهم ، ومثل هذا لا يثير الدهشة من أن سحب الحرب تتجمع سنة بعد أخرى دون أن يحذرها أولئك الدبلوماسيون الذين يعنون فقط بموائد الشاى ٠

والمدهش أنه بعد خمس وعشرين سنة فى ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٥ عند ما كان الجنرال ماك ارثر يتناول أول وجبة طعام فى غرفة الطعام الخاصة فى الطابق العلوى من مبنى السفارة الامريكية التى كنا قد انتقلنا اليها فى هذا اليوم قال ماك ارثر موجها الحديث للجنرال بونر فيلرز ولى :

« لقد جلس جرو على هذا المقعد الكبير لعشر سنوات فماذا فعل هو وكل بطانته من الدبلوماسيين الذين عملوا طوال هذه السنوات العشر لمنع هذه الحرب ؟ ! !

وبعد ثلاثة أشهر تقريبا فى اليابان تعلمت بعض الكلمات التى شجعتنى على الخروج وزيارة المقاهى ، وقد لاحظت كثرة الاسئلة التى تسأل عن الزوار الاجانب من جميع طبقات الشعب اليابانى ٠

كان أول الاسئلة التى وجهت اليه من خادمة فى مقهى « هل أنت أمريكى أم انجليزى ؟ » ونظرا لتشابه اللفظين Beikoku و Ei-Koku قلت Eikoko أى « انجليزيا » فقالت سوف تساعدنا أيها الانجليزى على هزيمة أمريكا عند ما تأتى الحرب ، فلم أتأثر لاننى استطلعت أن أعرف أشياء لم يكن من الميسور معرفتها لو أظهرت حقيقة أمرى ، وقد تأكدت من تصميم الشعب اليابانى الذى لا يتزعزع عن محاربة أمريكا ومن أنهم يستندون على تحالفهم من بريطانيا فى كسب الحرب المتوقعة ضدنا ٠

وعلمتنى هذه التجربة بأننى لابد من أن أوسع برنامجى حتى أستطيع دراسة سيكلوجية الشعب اليابانى ، لان دراسة اللغة وحدها لا تكفى ٠

وحصلت بعد ذلك بعامين على موافقة الكولونيل Burnett على تعيينى مشرفا على بناء كنيستين ومدرسة وبضعة منازل كان يقوم بها المهندس الامريكى المشهور أنطون ريموند Antoine Raymond وهيأ ذلك الفرصة لى للاختلاط عن كثب بالعمال اليابانيين ، ودراسة نفسية العمال اليابانيين المهرة وغير المهرة ٠

وكانت النتائج مذهلة فقد اكتشفت موجة من السخط بين صفوف العمال بسبب الخدمة العسكرية الاجبارية ، وأن النظام التعليمى لايتناسب مع النظام الاقتصادى ، لان المدارس كانت تخرج عددا من المهندسين والفنيين ومساعدى العمل أكثر من قدرة الصناعة اليابانية على التشغيل والامتصاص ، الامر الذى دفع بعض هؤلاء الخريجين على العمل فى مجالات بعيدة عن تخصصهم واعدادهم ٠

وقد دأبت على دراسة هذه الاوضاع وبعد سنوات من الدراسة والبحث أصبحت مقتنعا تماما بأن العسكريين اليابانيين كانوا يجلسون على قمة مد هائل من القلق الاجتماعى ، قد يطيح بهم فى يوم من الايام ، مالم يستطيعوا توجيه هذا المد الى حرب خارجية ، وبذا يمكنهم التخلص من جمهرة الساخطين ، وقد تم هذا بالفعل فى الحملة على الصين ٠

ومع ذلك فقد بدا لى بأنه يوجد بديل واحد للحرب ، رغم أننى كنت أعتقد أن العسكريين فى اليابان ليسوا من الذكاء بحيث يدركون هذا البديل ، وليسوا كذلك من الغباء حتى أنهم اذا أدركوه قاموا بتنفيذه لان تنفيذه سوف يحررهم من سلطاتهم التى سعوا اليها ردحا طويلا من الزمان ٠

هذا البديل هو « التوسع الرأسى » Vertical Expansion فالانتاج الزراعى اليابانى لا يكفى السكان واقنعهم ذلك بأن الحل هو التوسع الافقى الاقليمى الذى سيقيهم من الفناء ، وهكذا هيمنت على عقولهم فكرة

الاستعمار يستوى فىذلك المتعصبون والمثقفون مثل Baron S. Shebce البارون شسيبا الذى كان مديرا فى ذلك الوقت للجامعة الامبراطورية وكذلك البارون توجو Baron Y. Togo والفيكونت انويى T. Iuouye اللذين أصبحا بعد ذلك أعضاء معى فى نادى اتحاد الباسفيك فى طوكيو ، وهذه المنطقة التى كونتها فى البداية الكسندر هيوم فورد مع البرنس توكوجاوا Tokugawa كرئيس لها فى اليابان والرئيس هاردنج رئيسا فى الولايات المتحدة · كانت تضم الاعضاء اليابانيين الذين كان من الممكن أن يحولوا دون وقوع الحرب سنة ١٩٤١ ، وهم الجماعة التى على الاحياء منهم اليوم واجب الاستناد الى المبادىء التى حاربت من أجلها الولايات المتحدة فى الحرب العالمية الثانية لو كان من الضرورى أن تظل هذه المبادىء قائمة مرعية الجانب ·

٥

مغامرات فى فلاديفوستك

كلفت فى سنة ١٩٢٢ بمهمة من أعظم المهام انتهت بصداقة راسـخة ، ففى ذلك الوقت كان مؤتمر واشنطون البحرية ينتهى جلساته وقبل نهايته قال تشارلس ايفانز هوجز Charles Euvs Hughes : « ياسادة لم ينته المؤتمر بعد ، لاننا لم نسوى بعد مشكلة الجلاء عن سيبيريا فـرد المندوب اليابانى قائلا : « ليست عندنا النية للجلاء عن سيبيريا » •

وقبل ذلك كان ميركوليف Merknleff رئيس جمهورية الشرق الاقصى وهى حكومية فى سيبريا خاضعة لليابان قد نجح فى ايصال رسالة عن طريق السفارة الامريكية يقول فيها بأن لديه وثائق تثبت أن الاحتلال الاصلى لسيبيريا كان نموذج دقيق للاعتداء رغم أنه كان من المعلوم أن ذلك تم بسبب مذبحة Nikolaevsk نيكوليفيسك التى تآمر فيها العسكريون اليابانيون مع الصينى هونج تزى أو على قطاع الطرق على ذبح جنود الحامية (اليابانيين) ليكون ذلك تكأة للقيام بعمل عسكرى هناك ، وطلب ارسال بعثة موثوق بها ليعطيها محتويات هذه الوثائق •

وفى يناير ذهبت مع الكولونيل بورنت Burnett الى السفارة لمقابلة تشارلز بيتشر وارن Charles Beecher Warren السفير الذى قال أن الاختيار قد وقع علينا للذهاب الى فلاديفستوك لاحضار تلك المعلومات او الوثائق نفسها اذا أمكن ، وتقرر أن أسافر على أننى كمبعوث خـاص يحمل الحقيبة الدبلوماسية شهريا الى القنصلية العـامة فى فلاديفستوك ويعود بها الى السفارة فى طوكيو •

ركبت القطار يوم ١٣ من يناير ودخلت عمدا ديوانا غير ديوانى وبعد برهة دخل على يابانيا يسير فى مشية عسكرية وكان هو الرجل الذى عين لمراقبتى فخرجت ودخلت ديوانا آخرا فتبعنى الرجل وجلس •

وبعد قيام القطار حضر الكمسارى ونقلنى الى مكانى الصحيح فتبعنى الرجل لثالث مرة وجلس فى مواجهتى فتظاهرت بقراءة مجلة ولكننى كنت أنظر اليه فاحصا ٠

وبعد نصف ساعة من الصمت قال بالانجليزية ـ أذاهب أنت الى فلاديفستوك ؟

فاجبت : ـ هل أنت ذاهب كذلك الى فلاديفستوك ؟

فتساءل ـ كيف عرفت اننى مسافرا الى فلاديفستوك ؟

قلت ـ لاننى ذاهب الى هناك ، وبالطبع ستذهب أنت الى حيث أذهب أنا ٠

فاغتاظ وقال : هل تحمل مسدسا ؟ فأجبت بالنفى ، فانفرجت أسارير وجهه لان خوف اليابانيين من المسدس يشبه خوفنا من السلاح الابيض الذى يحبونه لأن « السيف روح المقاتل » ٠

وبعد برهة قال : « اننى مصارع من الدرجة الرابعة ومصارع من الدرجة الرابعة يساوى أربعة رجال من المسلحين بالمسدسات ٠

فلوحت فى وجهه بمقص وقلت : هذا يساوى أربعة مصارعين من الدرجة الرابعة ٠

فقال ـ « ماذا تستطيع أن تصنع بهذا ؟ فربت على كتفه بالطرف الثقيل للمقص فشعر بالالم وسألته فى غلظة ـ لماذا لم تلبس حلتك الرسمية ؟ »

فقال ـ ولماذا البس حلة رسمية ؟

ـ لانك ضابط ٠

فسكت برهة مفكرا وقال : « اننى ضابط احتياطى فقط » ٠

فقلت : « هذه كذبة » هل أنت من المشاة أو الفرسان ٠

فأجاب « الفرسان » ٠

وبعد ذلك سألني عن سبب سفرى الى فلاديفستوك فذكرت له قصة كنت قد حفظتها عن ظهر قلب وهى اننى كنت أحلم بزيارة سيبيريا منذ وصولى الى اليابان ، فأدرجت اسمى فى كشوف السفر ورتبت سفرى اليها فى الصيف ، ولكن كان من حظى أن أزورها فى منتصف الشتاء ، ولا أظن أنه صدقنى أو أننى قد خدعته ولكن لا شك أن قصتى قد أعطتنى سبقا سيكلوجيا له أثره عليه • وفى المساء أعد خادم العربة فراشينا وقلت له اذا كنت تريد الذهاب الى « البنجو » Benjo فيحسن أن تذهب الان لاننى سأغلق الباب عند نومى مباشرة فوافق وعند ما عاد أغلقت الباب وحذرته من أن نومى خفيف للغاية فلا يقترب منى أثناء النوم اذ قد أضربه بهذا المقص دون أن أدرى ، ودلف كل منا فى فراشه بكامل ثيابه وتظاهرت بالنوم لمدة ساعة ثم سمعت صوت حركة فنظرت ورأيت فى الضوء الخافت يده تمتد الى مقبض الباب فهويت بالمقص على رسغه فصرخ من الالم وعاد الى حيث كان ، وبعد ذلك رأيت أنه ليس من الضرورى أن أتظاهر بالنوم ، وبقيت من وقت الى آخر أنظر عمدا الى فراشه لاجده فيه ، وفى الصباح خرج ولم يعد وكنا قد وصلنا الى ميناء « تسوروجا » Tsuruga ، فركبت سفينة يابانية وذهبت الى غرفتى Cabın وأغلقتها وبقيت فيها يوما وليلة بدون طعام أو شراب ، وقبيل طلوع النهار وصلنا ميناء فلاديفستوك ، وكان الجليد يغطى كل شىء وبقيت كاسحات الجليد تعمل لمدة أربع ساعات حتى يتسنى للباخرة أن ترسو على الرصيف ، وهناك قابلت الكوماندر لويس ريتشاردسون Louis C. Richardson قبطان الباخرة الامريكية البانى Albany والملازم البحرى لانجدون Langdon وكان مع الكوماندر ريتشاردسون Richardsen القبطان البحرى موريارتى James F. Moriarty الذى كان من أعز أصدقائى فيما بعد فذهبنا جميعا الى حيث كانت ترسو الباخرة Albany وكانت غرفتى هى غرفة الضابط التنفيذى لانه كان فى اجازة الولايات المتحدة ، وبعد ذلك ذهبت لزيارة للاميرال الصينى ثم الاميرال اليابانى وبعد ذلك الاميرال الروسى وتناولنا عند كل منهما الشراب الوطنى وأخيرا المستر ماك جوان Mc. Gowan قنصلنا العام الذى أعطيته الحقيبة •

كانت القنصلية تحتل الطابق الاسفل من مبنى من طابقين أما الطابق الاعلى فكان مقر قيادة الجنرال Oi القائد العام للحملة اليابانية •

ولشعورى بوجود ميكروفون فى المبنى مخفيا فى مكان ما اقترحت انتقالنا الى الباخرة Albany ووصلناها وقت تناول طعام الغذاء •

وما أن جلسنا حول المائدة حتى حضر الاميرال الصينى دون سابق ميعاد لرد الزيارة ، وبعد برهة تبعه الاميرال الروسى ورئيس هيئة أركان حربه، وبعد الغذاء رحل الروسى وحضر القنصل العام الصينى ومساعده ، وقد عقد الصينيان مع الاميرال الصينى مؤتمرا تحدثوا فيه باللغة الصينية ويبدو انهم انتهوا الى عرض الامر كاملا علينا وقالوا أنه فى ظل الحكم القيصرى كان للصينيين الحق فى الاستقلال الذاتى فىمستعمرتهم ، بموجب قانون قائم لغرفة التجارة الصينية كان لها سجنها الخاص ، وكانت تحاكم المذنبين وتفرض عليهم الغرامات والسجن لمدد قصيرة أما الجرائم الباقية فقد كانت ترسل مرتكبيها لمحاكمتهم فى الصين .

وفى صباح يوم حضر عدد من الجنود الروس الى السجن واطلقوا سراح المسجونين والقوا القبض على بعض موظفى غرفة التجارة وعذبوا واحدا منهم وتملك الجميع الرعب والخوف من أن يلجأ الروس الى افناء المستعمرة الصينية بأكملها بتحريض من اليابانيين .

فكرنا فى طريقة ما لحل هذه المشكلة وتمخض تفكيرى عن خطة وهى أن يزور الاميرال الصينى ومع القنصل العام المستر ميركوليف Merkuleff رئيس جمهورية الشرق الاقصى Far Eastern Republic ويطلب رسميا تدخله للاعتراف بالكتاب الابيض الخاص بحق القضاء المحلى .

وفى حالة رفض هذا الطلب وهو الامر المتوسط ، عليه أن الاميرال الصينى أن يقول أنه سيطلب من حكومته السماح باجلاء كل الصينيين من سيبيريا على أن تقدم قائمة بممتلكاتهم الى القنصل الامريكى العام مع التوصية بأخذ ما يساوى هذه الممتلكات ومصاريف الترحيل من ممتلكات الروسيين فى الصين والخطوة الثانية هى ارسال أى رسالة روتينية بالشفرة وسيظن أنها خطة اجلاء الصينيين ، وستلتقطها محطة المراقبة اللاسلكية الروسية فى جزيرة Wrangil رانجل ، واستعد الجميع للخطة وكنا جميعا نعلم أن اليابانيين وراء كل هذه المشاكل وعلى أى حال ذهب الاميرال الصينى والقنصل العام الى مكتب Merkuleff وهناك قال لهم أنه لا يستطيع منح مثل هذه الامتيازات فارسلوا رسالة لاسلكية الى بكين حسب الاتفاق وجاء الرد فى اليوم التالى ، وجلس الرجلان ينتظران الاثر السيكلوجى لهذا العمل ، ثم ذهبا ثانية الى Merkuleff وقدما له انذارا فمنحهم الرجل حق الاستمرار فى الاستمتاع بامتيازاتهم

التى وردت فى الكتاب الابيض ، وأعيد المسجونون الصينيون الذى أخذوا من سجن الغرفة التجارية لا فى حراسة الروس الذين القوا القبض عليهم بل فى حراسة الجنود اليابانيين .

ولقد منح الكابتن ريتشاردسون وساما بسبب ذلك وطلبنا عدم منحى أى شيء حتى أستطيع أن أعمل فى اليابان بعد ذلك دون أن يتنبه الى أحد.

ذهبت بعد زيارة الصينيين أنا والكابتن ريتشاردسون الى مكتب ماركوليف Merkuleff فى مقره الرسمى حتى أقوم بمهمتى الخاصة وكان الرجل نموذجا للشخص الروسى السريع الغضب ، بدأ يقرأ الوثائق صفحة صفحة مترجما اياها الى الانجليزية وكانت بيانات لـ هنج‌تزو Hung - Tze الصينى ، وتبين أن قطاع الطرق الصينيين قد تلقوا أمولا طائلة من اليابانيين لمفاجأة وذبح جنود حامية نيكولافيسك Nikolaevsk البالغ عددهم مائتان وخمسين وطلبت أن يسمح لى بأخذ الوثائق الى طوكيو لنقلها الى واشنطون ، فرفض فى الحال فرجوته أن يعطينى ولو واحدة حتى أثبت صحة ما سمعت فرفض ولم أكن أدرى أن هذه هى طريقة الروس فى المساومة .

فغيرت تكتيكى ودعوته لتناول طعام العشاء معى على ظهر الباخرة Albany فرفض لخوفه من أن يكتشف اليابانيون أمر هذه الزيارة ، واقترح أن تكون المقابلة فى عرفة الكولونيل John F. Stevens فوافقت .

وفى الساعة المحددة حضر Merkuleff يحمل ربطة فهمت أنها الوثائق وكان معه مهندس سكك حديد سيبيريا وحاول الرجل أن يناقش موضوع الوثائق فكنا نغير الحديث فنفذ صبره وقال : « الان نناقش موضوع الوثائق » فقلت : « أرجو أن لا تفعل ذلك » فقال « لماذا ؟ » لقد كنت تتلهف على وثيقة واحدة والان لا تريد حتى مناقشة الموضوع رغم أنك حضرت من طوكيو خصيصا لهذا الامر .

قلت ــ « لقد غيرت رأيى ياصاحب السعادة » اننى أعتقد أن هذه الوثائق مزورة ولا أحب أن أسيىء الى شهرتى بنقل وثائق مزورة الى حكومة بلادى فانفجر Merkuleff غاضبا وأكد صحتها وبدأ يعطينى الوثائق واحدة تلو الاخرى فتظاهرت بقبولها على مضض فانفجرت أساريره وشعر

بالسرور وعدنا الى الباخرة Albany وجلست مع زملائى نرسم خطة مهمتى الثانية وهى مقابلة الجنرال ايساموورا Ioamura رئيس هيئة أركان حرب الحملة اليابانية فى سيبيريا ٠

كانت زيارتي منارا للقيل والقال فى طوكيو وسيبيريا وطالبت الجرائد الصينية بمعرفة سبب زيارتى بل وظهرت فى احدى صحف China Free Press مقالات عنيفة «التدخل الامريكى فى الشرق الاقصى»٠

وانتهينا فى مؤتمرنا على ظهر السفينة « البانى » الى عدة قرارات ، كان أهمها فصلى عن الحقيبة الدبلوماسية بسبب أو بآخر حتى تعرض لهم فرصة تفتيشها ، مع ملاحظة أنه لا يكون فيها أى شىء له قيمة ، والامر الثانى هو محاولة توجيه تهمة الى فيخلق هذا موقفا دوليا خطرا وتواجه حكومتى بحرج ، بل قد يؤدى الامر الى الحرب التى كانوا يتحرقون شوقا اليها يوم ذاك ٠

وكانت الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذين الامرين هو اظهارى بمظهر من يسرق خريطة ، وبذلك يستطيعون فصلى عن الحقيبة سيما وانه من السهل شق واعادة حياكة الحقيبة وان تكون الخريطة من الخرائط السرية وكانت الفرصة مواتية فقد كانت مشكلة محاولة بيع بعض الخرائط الى ملحقنا العسكرى فى طوكيو لاتزال قائمة ، وكان هذا يتمشى مع العقلية اليابانية والتى أكدتها الحرب العالمية الثانية فاليابانيون لا يملون من تكرار تخطيطهم للعمل المرة بعد الاخرى ٠

وقد وضعنا تخطيطنا للعملية على أساس أن يقابلنى موريارتى Moriarty العائد لتوه من رحلة تفتيشية أن يقابلنى صدفة ساعة خروجى من السفينة أو عند ما نتصافح الح عليه بان يصحبنى ، فيقول لتوه :

ـ بلا شك ، لقد مر وقت طويل منذ آخر زيارة لى للجنرال وانه ليسعدنى أن أنتهز الفرصة فأذهب معك ٠

وبهذا يتوافر معى من يشهد على كل ما يكون قد حدث ٠

وكان الشىء الثانى أن وضعنا على ورقة كبيرة مجملا عاما لما يمكن أن يدور من محادثات فى مقابلة تستمر لساعتين وقدرنا أنه ستحدث محاولة لمعرفة ما أقوم به هناك واى اهداف سياسية أو دولية أسعى لبحثها أو تحقيقها ، وقدرنا كذلك أن كل المحادثة ستسجل لاعادة تحليلها فيما بعد٠

وهكذا وضعنا على الورق ما يمكن أن يبدأ به الجنرال بعد تبادل التحية، وماذا يمكن أن يكون سؤاله الاول ... وماذا يمكن أن تكون اجابتى عليه، ثم ماذا يمكن أن يكون سؤاله الثانى ... واجابنى على هذا السؤال الثانى ، وهكذا وضعنا فى خمس أو ست ساعات كل ما يحتمل أن يقدم لى من أسئلة ووضعنا ماذا يمكن أن تكون اجابتى على كل هذه الاسئلة .

ولما كان موريارتى لا يتحدث اليابانية ، كان على أن أدخل فى الحديث بعض الكلمات الانجليزية لاعطائه تلميحا لا تصريحا فكرة عن الموضوع واتفقنا على أنه لو سالت المحادثة فى غير الاتجاه الذى وضعناه معا فاننى أشعل لفافة تبغ ليفهم موريارتى هذا وعندئذ أزعم بأننى أخشى أن لاتكون لغتى اليابانية مفهومة بالقدر الكافى ومن ثم اطلب من الميجر ايسوب Isobe أن يكرر السؤال والاجابة بكلا اللغتين .

وفى اليوم الثانى قابلنى أيسوب Isobe ثم قابلنا Moriarty وطلبت منه الحضور معنا وتظاهرنا بعدم ملاحظة غضب أيسوب ، وعند وصولنا تركنا أيوب برهة ولاحظنا أن أكواما من الخرائط موجودة على مكتب فى وسط الغرفة وعليها كلمة Top Secret وبشكل واضح لكل ذى عينين ، فطلبت من موريارتى أن نذهب الى النافذة ووقفنا قبالتها ورحنا ننظر الى الخارج حتى يطلبوننا ، فتركونا ننتظر مدة ٤٥ دقيقة قضيناها فى حديث عن المناظر ، وأخيرا عاد ايسوب معتذرا عن تأخره وقادنا الى مكتب الجنرال فحيانا التحية التقليدية وبدأ الحديث بالكلام عن فرقتيه فى سيبيريا (وكانت بالفعل خمس) وبعد ذلك تحدث عن اختفاء حمولة عشرين عربة من الاسلحة فى فلاديفستوك ثم ظهورها بعد ذلك فى أيدى الروس البيض وبعد بعض المحادثات العامة التى سارت تقريبا فى ذات الاتجاه الذى رسمناه سألنى الجنرال عما اذا كنت أرغب الاستفسار عن شىء ، فطلبت من ايسوب بأن يترجم الى اليابانية وكنت أتكلم باللغتين حتى يستطيع موريارتى أن يفهم ، وهنا قلت للجنرال أننى كنت جنديا ولم أكن مهتما بالسياسة العالمية ، وليس عندى ما أسأله واذا كانت حكومتى تسعى الى الحصول على أية معلومات فانها تستطيع ذلك عن طريق وزارة الخارجية فى واشنطون أو عن طريق سفارتنا فى طوكيو .

وعند انتهائى من الحديث قدم لى الجنرال خريطة رسم عليها بقلمه عن مواقع القوات اليابانية ، وكانت هذه طريقة لوضع خريطة فى يدى مسألة لم نتنبأ بها ، فخفت فى البداية ثم طرأت فكرة على ذهنى قلت الى ايسوب

بالانجليزية اشكر الجنرال نيابة عني لتضيعة ساعتين من وقته الثمين مع ضابط صغير مثلى كما اشكره لشرحه الواضح لى عن الموقف فى سيبيريا ، وشكرا للخريطة التى أعطاها الى الجنرال فهى هدية ممتازة ولكنى أرجو أن يوقع عليها بامضائه .

فوقعها الجنرال بعد تردد كما وقعها ايسوب كذلك ثم موريارتى وأخيرا أنا .

وانتهت المقابلة وتركنا ايسوب لمدة ثلاثين دقيقة ربما على أمل أن نسرق خريطة أخرى ثم عاد وقال انه سيصحبنا فى العودة الى الباخرة البانى وفى الطريق دعانى للعشاء فطلبت أن يكون معى موريارتى وبعض الضباط لانهم يحبون الاطعمة اليابانية ، فصمم على أن أكون الوحيد فوافقت وعلى الباخرة ناقشنا الموضوع بعد فشل خطتهم فى اغرائى على سرقة خريطة ، وكان ظنهم أن شيئا سيحدث فى العشاء يديننى بارتكاب جريمة .

وكان موريارتى كضابط مخابرات السفينة (البانى) قد نظم اتصالات جديدة على الساحل ومن ثم ذهبت مع سائق عربة ممن يعرفهم ، وكان الاتفاق أن ينتظرنى مهما طالت السهرة ، ووصلت قبل الموعد بعشرة دقائق حتى تكون لى ميزة سيكلوجية ، لانه لا يمكن أن يضايق من يدعوك أكثر من ذهابك قبل الميعاد بعشرة أو خمس عشرة دقيقة فدققت الناقوس وبعد برهة استقبلنى ايسوب بشخصه ودخلنا حجرة المائدة وكانت مليئة بالويسكى الاسكتلندى وبأنواع أخرى من الخمور اليابانية وبدأ الحديث قائلا :

كما تعرف توجد محالفة انجليزية / يابانية وبعد مؤتمر واشنطون ستكون هناك محالفة ثلاثية بيننا وبينكم والانجليز ، وعند عقد هذه المحالفة سيطلب الجنرال من حكومتك أن تجعلك مراقبا مع القوات اليابانية لاجادتك اللغة اليابانية فشكرته على هذه الثقة وهنا استطرد يقول : نحن حلفاء وشرابك الوطنى هو الويسكى وشرابى الوطنى هو الساكى Sake فاشرب أنت الويسكى وأشرب أنا الساكى فقلت له العكس هو الاوقع تشرب أنت مشروبى الوطنى وأشرب أنا مشروبكم الوطنى فرفض ، وهنا اقترحت أن نشرب أولا نخب امبراطور اليابان من الويسكى ، ثم نشرب

ثانيا نخب رئيس جمهورية أمريكا من الساكى ، وان نتابع الشراب بعد هذا بالترتيب نفسه دورا من الويسكى وآخر من الساكى فرضخ وشربنا أربعة أنخاب فبدأ يترنح ويفقد تحكمه على نفسه وكان أول سؤال له :

ـ هل تعرف أسرارا ؟ ، فقلت : نعم ، فقال وانا أعرف أسرارا كذلك لاننى ضابط مخابرات قواتنا ٠

ـ وقلت أنا متأكد بأنك تعرف بعض الاسرار ولا شك تبعا لعملك ٠

قال ـ ماذا لو قلت لك سرا وقلت لى آخر ـ فقلت « هذا عظيم » هيا ابدأ ٠

قال ـ لا فلتبدأ أنت ٠

وأخيرا قبلت على مضض وطلبت منه أن يعدنى بشرفه أن لا يفشى هذا السر لاحد لان حكومتى ستطردنى من الجيش اذا علمت ذلك ٠

فوعد وبدأت أخفض من صوتى وفى الحال تحرك شبحان خلف الستارة فقلت : سمعت أن قائدكم الجنرال أوى Oi كان يعاشر امرأة روسية لمدة ستة أشهر فشهق ايسوب قائلا: «لستأعنى هذا النوع من الاسرار»٠

أجبت « هذه هى الاسرار التى أعرفها » فامتقع وجه ايسوب فنظرت اليه برهة ثم اتجهت بسرعة الى ما وراء الستار ، والقيت بالتحية على الشخصين المختفيين وراءها وكانت المفاجئة قوية وبسرعة وضعت معطفى على كتفى ثم انصرفت عائدا الى السفينة (البانى) ٠

* * *

وبعد ظهر اليوم التالى حينما كنت سائرا مع مورياتى فى الشارع الرئيسى المسمى سفتلموسكايا Svetlomskey مرت فتاة ونظرت الى مورياتى نظرة فاحصة فقلت : « لابد وأن هذه الفتاة تعرفك » فالتفت مورياتى اليها فتبعتنا الفتاة فى الحال فقلت « بالله : لا تنظر الى الفتيات هنا لانهن يمتن من الجوع وعلى استعداد لبيع أنفسهن حتى بفنجال من القهوة ، ولا أعنى بهذا النساء اللائى يبعن أجسادهن بل فضليات النساء فهن يقدمن على معاشرة اليابانيين علنا بسبب الجوع ٠

وقد تعلمت فى ذلك الوقت أن أرخص ثلاثة أشياء فى سيبيريا هى بالترتيب : النساء ثم الحياة الانسانية ثم الميداليات وقد تكلمت عن النساء أما عن الحياة الانسانية فمن الممكن قتل انسان بروبل واحد ، وحدث أن عرض على جنرال من أيام القياصرة شراء وسام سانت ميخائيل ووسام سانت جورج بقيمتها الفعلية وكانت هذه الاوسمة تمنح للشجاعة فى ميدان القتال ولا تقدر بقيمة فأعطيته ما كان معى من نقود وتركت له أوسمته ٠

وكانت « بركة السمك » من الاماكن التى يتردد عليها الضباط اليابانيون وكانت مليئة بالنساء يستطيع الزائر أن ينتقى منهن ما يريد لاشباع شهواته أما النادى الرياضى فكان على النقيض من ذلك ولا يؤمه غير القليلين من الناس، فذهبنا اليه حيث كانت هناك حفلة رقص استمرت حتى الصباح ذهبنا بعدها ببعض الفتيات من أسرة روسية الى دارهن ٠

وعند ما احتل الحمر فلاديفستوك اطلق الروس نيران رشاشاتهم على كل أفراد هذه الاسرة عدا طفلة صغيرة فى السادسة من عمرها أنقذها موريارتى من الموت بنفسه وبعث بها الى الولايات المتحدة حيث عاشت مع بعض أقاربه ثم تزوجت بعد ذلك ٠

وكان من المقرر أن أسافر عند الظهر ولكن موريارتى جاء فى الساعة الحادية عشر وأخبرنى بان اليابانيين قد الغوا صعود كل المسافرين الى السفينة عداى وحدى ، وأمروا الباقين الصعود الى السفينة فى اليوم التالى ، واتفقنا أن أؤجل أنا كذلك ذهابى الى السفينة حتى اليوم التالى ، وهكذا لم يحقق اليابانيون ما يريدونه من تواجدى وحدى على السفينة ولم يكن فى استطاعتهم تأجيل الرحلة ثانية ، وهكذا ابحرت السفينة ظهر اليوم التالى تحمل كل المسافرين وانا من بينهم ٠

وقضيت اليوم السابق للرحلة راقدا فى فراشى فقد كنت أعلم أننى لن أغمض عينى حتى أصل طوكيو ٠

والواقع أننى منذ أن جئت فلاديفوستك وانا أعيش فيما يشبه الدوامة، نوع من الخوف النفسى ، فانت لاترى شيئا ولا تسمع شيئا ومع هذا تحس بانك تعيش فى واقع مخيف ، وكانت المرة الثانية التى شعرت فيها بمثل هذا عند ما كنت فى طوكيو أثناء الزلزال سنة ١٩٢٣ ٠

واخذت الحقيبة من القنصل العام ، واجتزت باب دخول المسافرين فى الساعة الحادية عشر ، وقبيل بدء الرحلة بعشرين دقيقة ، ظهرت فى طرف الميناء عربة يجرها جوادان يعدوان بسرعة ويجرى حول العربة فارسان من القوزاق يقسمان بها الطريق ، وعند ما وقفت العربة تجاه السفينة وثب منها مركوليف Merkuleff ، وراح الرجل يثب درجات السلم الى السفينة ثم تحدث الى قبطان السفينة الذى استدعانى لمقابلته ·

وانتحى بى مركوليف جانبا من القاعدة ثم قال بصوت مضطرب :

ـ يجب أن تعيد الى الاوراق والا ارتكبوا جريمة قتل ·

وقلت ـ من هم الذين سيقومون بالقتل ياصاحب السعادة ·

ـ اليابانيون ·

وقلت ـ هل سيقتلوننى أنا ·

قال : ـ بل أنا ·

قلت : من هم الذين سيقتلونك يا صاحب السعادة ؟

قال : اليابانيون سيقتلوننى ··· سأموت ·

فأجبت : لو حدث هذا فسوف يكون مثارا للحزن العميق لدى حكومتى ، لاننى آسف اذ لا أستطيع اعطاءك الاوراق لانها فى الحقيبة ، والحقيبة مغلقة الآن ولست أملك مفتاحا لفتحها ولن تفتح الا فى السفارة فى طوكيو ·

وبالطبع كنت أكذب لان الاوراق كانت فى جيب قميصى الداخلى ولم أكن أدرى ماذا سيكون المصير لو أن صفارة الباخرة لم تنطلق ايذانا بالرحيل وطلب البحارة اليابانيون من الزائر وزملائه النزول فورا فاتجهت الى مقصورتى ومعى خادم المقصورة الذى بدأ يرتب فراشى فنظرت الى المرآة متظاهرا بتمشيط شعرى ولكن فى الواقع لانظر الى الخادم نظرة فاحصة دون أن يشعر بذلك ، فلاحظت أنه حليق الرأس كالجنود وأن مشيته تشبه مشية الضباط البحريين وأسقط قصاصة ورق متعمدا على الارض وكانت مذكرة لا قيمة لها فرأيته فى المرآة وهو يلتقطها ويدسها فى جيبه فالتفت اليه وطلبت منه فى لهجة عسكرية الخروج ونبهت عليه بعدم المجىء الا اذا طلبت منه ذلك وأغلقت الباب بعد خروجه وفتحت النافذة الصغيرة حتى لا يحاول أحد قتلى بواسطة الغاز ·

وكانت درجة الحرارة تحت الصفر وفي صبيحة اليوم التالى وصلنا تسولوجا Tsuruge فحملت الحقيبة على كتفى واتجهت الى محطة السكة الحديد وخضت حتى وسطى فى الجليد ، وحينما وصل القطار طلبت من ناظر المحطة ارشادى الى عربة الدرجة الاولى ، فاجابنى بالاسف لانه لاتوجد عربة درجة أولى بالقطار ٠

فقلت : بل لقد رأيت العمال يفصلونها الآن ٠

وفي الحال لوحت في وجهه بجواز سفرى الدبلوماسي وطلبت منه أن يلحق بالقطار عربة تليق بموظف دبلوماسي والا فستكون هذه اهانة كبرى لن تسكت عليها حكومتى ٠

وعندئذ تجمع عدد من ضباط البوليس وسرعان ما انضم اليهم عدد آخر من الافراد عرفت أنهم من البوليس العسكرى السرى اليابانى Kempei ثم انسحب الجميع الى ركن من فناء المحطة يتشاورون وبعد ذلك اعتذروا لى وقالوا ان عربة الدرجة الاولى فصلت عن طريق الخطأ ولم يقصد احد الاهانة أبدا ، ثم أعادوا العربة الى مكانها ، وامضيت وقتى بالقطار متيقظا حتى وصلت الى طوكيو ٠

وعند وصولى ذهبت في الحال الى مكتب الكولونيل بورنيت Burnett الذى قابلنى بترحاب ثم أمر مساعده بالخروج حتى يوفر لى الحرية الكاملة فى الكلام ورفع تقريرى وبعد ذلك انتقلنا الى السفارة لمقابلة السفير واطلاعه على نتائج مهمتى ٠ ولقد كانت رغبة اليابانيين هى معرفة ما اذا كانت مهمتى فى سيبيريا تتعلق بموضوع هيتمان جرجورى سيمينوف Hetman Grigori Semenov الزعيم القوزاقى الذى حوكم وأعدم فى روسيا سنة ١٩٤٦ بعد اعترافه بنشاطه المناهض للشيوعية ٠ فقد كان آخر أمل للروس البيض وكان قد عاش فى ظل حماية اليابانيين لفترة طويلة ، وكان اليابانيون يحاولون اقناعى بوجود سيمينوف فى فلاديفستوك ٠

ولكن بالرغم من أن مهمتى كانت معروفة فقط للسفير شارل بيتشر وارن ، وهيو ولسون ، والكولونيل بيرنت وشخصى ، ولكن الفضول كان يدفع الكثيرين للاستفسار عنها ، فكانت اجابتى اننى كنت هناك لرؤية مستعمرة العراة وبخاصة فى موسم الاستحمام ، والواقع أن الرجال بالنسبة للشائعات لا يقلون ثرثرة عن النساء ٠

وبعد أيام سمعت بقصة غبائى ، لاننى سافرت الى سيبيريا لمعرفة مكان سيمينوف Semenov وانتشرت القصة فى طوكيو وقيل أننى رفعت فى تقريرى انه يوجد فى فلاديفستوك بينما كان المعروف أنه يوجد فى شنجهاى وفى الواقع كانت هذه القصص أعظم غطاء لستر مهمتى • ذهبت والكولونيل بيرنت للسفارة وأطلعت السفير والمستر ولسون الذى أصبح سفيرا فى ألمانيا بعد ذلك على كل شيء وأطلعته على الاوراق بالطبع وأعددت رسالته لنقلها بالشفرة الى وزارة الخارجية فى واشنطون ولكن عند اتمامها أضاف المستر وارن الكلمات الآتية :

« لست مستعدا للقول بأن هذه الحقائق مكذوبة • »

وكان المستر وارن يمثل عقلية من العقليات المعطلة للاعمال ولا سيما أعمال الاشخاص الذين وهبوا حياتهم للعمل فى المخابرات ، فهو لا يفهم أن المخابرات مهنة بل مهنة تحتاج الى أرفع مراتب المهارة والمران مدى الحياة •

ماذا يجب أن يعمل للمخابرات مستقبلا ؟ ليس من حقى تقرير شيء ولكننى أعرف أنه مالم نتخلص من سيطرة السياسة ، ومالم يوضع الامر فى أيدى رجال أكفاء بعيدى النظر وعلى جانب كبير جدا من المران فنستيقظ يوما لنجد أنفسنا اما على حافة فوهة بركان ، واما اننا ننحدر نحو البركان نفسه هذا اذا قدر لنا أن نستيقظ على الاطلاق •

وقد غضب مستر ويلسون لهذا التعصب من السفير ، وهمس للكولونيل بورنت : شارلى ابعث ببرقية لزملائك فى الطابق الثالث (كانت المخابرات فى الطابق الثالث من مبنى وزارة الخارجية والحرب والاسطول) بأن يدوروا حول المنحنى ويقولوا لرجالنا فى وزارة الخارجية بان يهملوا الحملة الاخيرة من التقرير المرسل لهم •

وبالرغم من تأكيد اليابانيين فى مؤتمر تحديد القوات البحرية بأنهم لن ينسحبوا من سيبيريا فقد انسحبوا بالفعل ، وكنتيجة لهذا فقدت الزمرة العسكرية ماء وجهها وتأخر وصولها الى السلطان لسنوات طوال • وأود أن يساء فهمى ويظن بأن رحلتى الى سيبيريا كانت العامل الذى ارغم اليابانيين على الانسحاب ، ولكنى أعتقد أن رحلتى لعبت دورا فى هذا

لعدة أسباب فعقب عودتى للولايات المتحدة قابلت الميجر كارل ف• بلدوين Karl F. Baldwin الذى كان معينا كضابط اتصال للوفد اليابانى فى وقت انعقاد مؤتمر واشنطون وقد أخبرنى بأنه عند ما قرئت الرسالة التلغرافية أمام المندوبين لم يضع المستر هوز Huyhes أصبعه على اسم أحد الضباط اليابانيين الذين ورد ذكرهم فيها ولكن قبل مرور ثمانى وأربعين ساعة كان هذا الضابط قد انتحر •

ثم انه قبل مرور وقت طويل على عودتى من سيبيريا حدثت فضيحة هزت الدوائر العسكرية هزة عنيفة تكشف عن خطأ فهم عامل له أهميته فى سيكلوجية اليابانيين فقد كان ضابط شاب قد أعطى فتاة من فتيات الجيشا لفافة تبغ عليها الشارة الامبراطورية ، وظهر أن الامبراطور كان قد أرسل كمية محدودة من اللفائف الى سيبيريا لتوزيعها على الضباط ، فاعطاها الضابط احدى هذه اللفافات ، وعند ما اكتشف أمره انتحر وعزل رئيسه من منصبه •

وقد يبدو هذا تافها بالنسبة للغربيين ولايجب أن يتمخض عن كل هذه النتائج ، ولكن لا سبيل للدهشة اذا ما عرف أن كل ما يمت الى الامبراطور بصلة يعتبر مقدسا كما أن الرؤساء مسئولون عن أعمال مرؤسيهم •

وفى الفلبين أعدم ياماشيتا Uamashita للفظائع التى ارتكبها جنوده ضد العزل من أبناء الفلبين من النساء والشيوخ والاطفال ، وقد أعدم شنقا بأمر الجنرال ماك ارثر على أساس أنه لا يستحق أن يموت كجندى رميا بالرصاص ، وكان هذا امتهانا لا مثيل له •

على أنه بعد عودتى من سيبيريا ببضعة أسابيع استدعانى السفير وارن الى السفارة فوجد هناك الكولونيل بيرنت وسيربل واين السكرتير الثانى ثم شخص غريب فى ملابس مدنية قدم الى على أنه الكولونيل بيير ايليس من السلاح البحرى •

قال بيرنت ان ايليس بعد سنوات من الدراسة يرغب رغبة قوية فى دراسة حال النباتات والحيوان فى جزيرة جاليوت Jaliut ، وقد خدع

السفير بهذا الطلب وخدعت أنا أيضا ولكن السؤال الآن : هل سيخدع هذا اليابانيين كذلك ؟

قلت : لا ياسيدى ٠

فقال : هل تعتقد أن هناك فرصة للعودة من الجزيرة على قيد الحياة ؟ أو هل يمكن أن يتوافر النجاح لهذه المهمة ؟

فقلت : من المؤكد أنه لا يستطيع ذلك وحـده ٠ وأنى على استعـداد للسفر معه ٠

فرفض ايليس وأصر علىأن يقوم بذلك وحده ولم تمض مدة طويلة حتى طلبنى سيريل واين وقال : « هل تتذكر ايليس » فقلت « نعم » ٠

قال : « لقد أخطرتنا وزارة الخارجية اليابانية بأنه قد مات » ، وقيل أنه سقط من فوق ربوة عالية أثناء قيـامه بدراسـة الاحوال النبـاتية والحيوانية فى جزيرة جاليوت ٠

وهذا ضوء جانبى على القصة التى يرويها الاميرال Zacharias زاخـارياس فى كتابه Secret Missions وفى الفصـل الذى وسم بعنوان « قضية الكولونيل × العجيب » ذلك الفصل الذى يصور فيـه مصير زمباخ Zembach والواقع أن عمل زخارياس Zacharias وموريارتى Moriarty وأنا ، كان عمـلا واحـدا لا انفصـال له فى السنوات السبع والعشرين الماضية لدرجة أنه من المستحيل فعلا لاحدنا أن يقص قصته دون أن يذكر دورى زميليه فيها ٠

وعلى ذلك كانت لحلتى الى سيبيريا نتيجة وهى المساعدة فى انسحاب الجيش اليابانى من سيبيريا وبشكلكان له أسوأ الاثر على طبقة العسكرين لانه أخر وصولهم الى السلطة وحط من قدرهم وجعلهم يحاولون استرداد مراكزهم بمحاولة التوسع أفقيا وهى سياسة انتهت بالحرب كما نعلم ٠

٦

الاستراتيجية تفتح الباب

بالرغم من انشغالى الكامل بدراسة اللغة اليابانية وسيكلوجية الشعب اليابانى الا اننى لم أنسى اطلاقا مهمتى الاولى ، **فأنا جندى محترف ، وضابط فى الجيش العامل وواجبى هو أن أصل بمعرفتى فى التكتيك والاستراتيجية الى أعلى مراتب الكمال حتى أصل الى مراكز القيادة العليا ، ومع ذلك فقد كانت مهمتى المباشرة هى الحصول على أوسع معلومات ممكنة عن اليابان ولغتها حتى أكون فى مركز أفضل لخدمة بلادى اذا نشبت الحرب .**

كانت هناك عادة مألوفة بين الاجانب فى اليابان وهى رحلة نهاية الاسبوع على القدم ، فكنت أسافر بالقطار الى مكان لا يبعد كثيرا عن طوكيو ثم أعود الى طوكيو ماشيا معظم الطريق ، وكان يصحبنى روبرت ف. موس Robert Moss وهو من الامريكيين المرموقين فى مدينة طوكيو اذ كان رئيسا للجمعية الامريكية فى اليابان ، ورئيس مجلس ادارة المدرسة الامريكية فى طوكيو ، وكانت أغلب الاماكن التى أسير فيها جبلية تدعو للتأمل العميق ، وأوحت الى ببعض الافكار الغامضة التى تساعدنى على منع الحرب وتبلورت فى ذهنى فكرة تستند فى أساسها على الاستراتيجية العسكرية .

وكنت قد قرأت منذ سنة ١٩١٢ كتبا كثيرة عن الاستراتيجية والتكتيك فأقوال نابليون العسكرية كانت بمثابة انجيل ثان لى وكذلك دراسات الجنرال فون كلاوزيفتز Von Clauseivtz **، وكنت فى سيرى أو سفرى أتصور نفسى مهاجما على أو مدافعا عن منطقة محدودة من الارض وأحاول أن ابتدع التحركات التكتيكية ، وقد أصبحت هذه العادة طبيعية ثابتة فى نفسى .**

وفي أثناء وجودى في جامعة سيراكيوز كان منضمن الكتب التى كتبت مجملا عنها كتاب عنوانه « مع كيروكى في منشوريا • » بقلم السير ايان هاميلتون Sir Jan Hamilton ، قال فيه أنه لا يفهم لماذا يضحي اليابانيون باستمرار بفرص مؤكدة فى سبيل القدرة على الحرية ، فالرغبة الشديدة فى توفير أسباب السلامة قد تكون سببا فى هلاك جيش ، اذا واجه قائدا ممتازا فى الميـدان ولم أدرك فى ذلك الوقت أثر الصعوبات اللغوية فى هذا المجال •

ففى سنة ١٩٢٢ تلقيت ترجمة لكتاب « تطور التكتيك » بقلم الجنرال الالمانى بلاك Balcke ، وفتحت الكتاب ووقع نظرى على العبارة التالية « مع ذلك يمكن للمشاة الالمان النظر الى الوراء بعين الرضى على أحـداث الحرب فى شرق آسيه ـ ألم يحارب اليـابانيون المدربون على الاسـاليب الحربية الالمانية وينتصرون فى ظل ظروف غاية فى الصعوبة ؟ فقد قضت الحرب اليابانية ـ الروسية على النسك الذى تمخضت عنه حرب البوير من ناحيه الآراء التكتيكية ولا سيما ما يتعلق منها بامكانية تنفيـذ عمليـات هجوم المشاة » •

وحتى يمكن فهم هذا جيدا لابد من أن نعرض عرضا مقتضبا لتـطور نظريات التكتيك ابان القرن التاسع عشر • كان من نتائج تجارب النمسا طوال حربها فى شمال ايطاليا سنة ١٨٥٩ أن شرعت تكتيك الصـدمات الوحشيـة Brutal shock tactcs فالبريطانيون الذين اشتبكوا مع تفوقهم فى البنادق والمدافع والتدريب مع البوير فى حرب كانوا يتوقعون الانتصار السريع السهل منوا بنكبات عديدة فهل كان سبب هذا شجاعه البوير أم رداءة الاستراتيجيـة البريطانيـة ؟ ففى الشهور الستة الاولى استسلم ١٨٢ ضابطا و ٤٩٨٤ جنديا مع أن جمـلة القتـلى والجرحى كان ١٦٨ ضابطا و ٢١٢٤ جنديا •

ولو تركنا جانبا مسـألة تنكب الانجليز فى خطـأ الدرس الاول الذى يعرفه كل ضابط من الملازم الى الجنرال فى أى جيش من جيوش العالم ، خطأ سوء تقدير العدو ، لو تركنا هذا جانبا فان هذه الحملة بالاضافة الى حرب القرم والى الحرب الروسية الفرنسية قد أقنعت كل هيئات أركان الحرب فى كل جيوش العالم بأن المبادىء التى ينادى بهـا الجـنرال فون درجولتز Von Der Coltz كانت صحيحة ، وهى أنه فى حالة قتال المشاة يمكن تمزيق صـفوف الرماة المشـاة الذين تتبعهم قوات الامداد مباشرة اذا ما ووجهوا نيران مركزة سريعة من القوات المحتشدة للدفاع •

وقد عارض هذا الرأى فى ذلك الوقت بلاك Balack وفون مولتكه Von Motlke اللذان قالا أن الهجوم بكتل بشرية هو السبيل الوحيد لكسب المعارك وأخيرا رؤى تجربة هذا فى الميدان حتى تستعد ألمانيا لثأرها من فرنسا فاختار الالمان الروس واليابانيين لاجراء هذه التجربة فأخذوا ينفخون فى أوداج اليابانيين وتأكيد النصر لهم ٠

ولتنفيذ ذلك، ألحق بعض المراقبين العسكريين اليابانيين بفرقتين المانيتين من الفرق التى تتدرب على تكتيك البوير ، وألحق الروس بالفرق التى تتدرب على تشكيلات الدفاع الكثيفة ، وقد استعمل الروس هذه الطريقة فى حربهم مع اليابان وفشلوا بسبب نقص الذخيرة واختلاف أعيرتها ، وكل الذين حضروا حملة سيبيريا يذكرون مئات صناديق الذخيرة التى كانت على أرصفة ميناء فلاديفوستك ولم يستخدمها الروس لانها من عيار خاطىء ٠

وفى سنة ١٩٣٧ أدركنا كيف أن الالمان والايطاليين والروس استغلوا الحرب الاهلية فى أسبانيا لاختبار قصف المدنيين بالقنابل من الجو وتشكيلات الدبابات والتكتيكات الجديدة استعدادا للحرب العالمية الثانية٠

* * *

وعلى ذلك أدركت من دراستى للاستراتيجية سر صداقة الالمان لليابانيين فقد كانوا لهم بمثابة المعمل الذى يجرون فيه تجاربهم التكتيكية وصممت على محاولة الوصول الى كبار العسكريين اليابانيين واقناعهم برأيى وبذلك أساهم فى منع الحرب فذهبت الى الكولونيل بورنت Burnett وقلت : لو وقفت غدا فى حفل عشاء الجمعية الامريكية اليابانية بجوار الامير توكوجاوا Tokugawa فسأتقدم نحوك لاقدم فروض الاحترام واذ ذاك أرجو أن توجه الى هذا السؤال : « ما رأيك ياماشبير فى تأثير الاتفاقية التجارية مع روسيا على اليابان وكانت المفاوضات دائرة حولها فى ذلك الوقت ؟ »

فصاح بورنت : ياللهول انك لن تستطيع هذا ٠٠٠ ولو ظن الامير فى الامر سوءا فان اخراجك من اليابان سيتم فولا وشرحت له وجهة نظرى واخيرا وافق ٠٠٠ ، وفى الليلة التالية بقيت انتظر حتى رأيت برونت يقف فى جوار الامير واسرعت نحوه ٠٠٠ وفعلا وجه الى السؤال الذى طلبه

وهنا قلت : « اذا وقعت اليابان الاتفاقية فسوف تفتح الباب لعملاء روسيا لدخول اليابان تحت قناع منـدوبين تجـاريين أو ممثـلين قنصليـين أو دبلوماسيين وهذا يعنى نهاية الامبراطورية اليابانية » ·

والتفت الامير نحوى فى هدوء ثم قال بالانجليزية : « كابتن ماشـابير هل تتكرم بقبول دعوتى لتناول الغذاء معى باكر على أن تكون وحدك » ·

* * *

وهكذا كسبت المحاولة الاولى وفى هذا الوقت لم تكن دولة كبرى قد اعترفت بعد بروسيا دبلوماسيا ولكن الاتفاقية التجارية كانت تمهد لهذا الاعتراف من جانب اليابان ، كما أن الصحافة اليابانية كانت قد بدأت فى تهيىء الرأى العام لذلك ·

وذهبت ظهر اليوم التالى لمسكن الامير وفى أثناء تناولنا طعام الغذاء دار الحديث بيننا حول مواضيع عادية وبعد ذلك قادنى الى مكتب صغير وبعـد برهة قال « ماذا كنت تعنى بالضبط بعبارتك بالامس ؟ »

قلت « ياصاحب السمو ان فلسفة حكومتك ودينك وطريقـة حيـاتك تستند بكلياتها على نظام الاسرة ، والروس يحاولون اليوم تدمير كل ذلك دون علمك ، فهم لا يؤمنون بالاسرة وروابطها بل يعتبرون الاطفال ملكا للدولة ، ولو ذهبت معى الى مكتبة ماروزين فستجـد كتبا بالالمانيـة عن النظريات الماركسية وغيرها ، والشبـان فى اليـابان يقبلون فى نهم على قراءة كل ما هو ألمانى ويهضمون النظريات التى ستقضى فى النهاية على اليابان نفسها ·

وفى الحال ذهبنا الى مكتبة Maruzen's ووجدناها مليئة بطلبة الجامعات وفحص الامير بعض الكتب ثم عدنا ثانية الى قصره وجلسنا والتفت الامير نحوى قائلا : وماذا نقترح ؟ » ·

قلت : أولا وقبل كل شيء يجب أن تفتح اليابان عينيها فقد استغفلتكم ألمانيا لسنوات طويلة ، فالعسكريون عندكم يكنون اعجابا شديدا بالالمان، ولكن هذا الاعجاب من جانبكم وحدكم وسأثبت لك ذلك ·

ثم شرحت له الدرس الذى استفدته من دراسته الاستراتيجية ، فأرسل فى احضار الجنرال بارون تاناكا Baron Tanaka وزير الحرب والجنرال بارون أوى Oi Baron من المجلس العسكرى الاعلى وقد أعدت القول على كل منهما ٠

ووجه الرجلان الى أسئلة لا حصر لها ، وفى النهاية عقب الجنرال أوى Oi على الحديث قائلا « هل تريد القول ان الالمان عندما كانوا يدربوننا لم يكن يعنيهم نصرنا أو هزيمتنا ؟ »

وقلت : « بالعكس ياسيدى الجنرال » لقد كانوا يتوقعون لكم الهزيمة ، لانهم دربوكم لتخسروا الحرب فقد كان القصد من التجربة أن تخسروا الحرب ولا تنسى أن القيصر والامبراطور أبناء عم ، وأحب أن أذكركم أن الامبراطور نفسه هو الذى صاغ عبارة « الخطر الاصفر » مشيرا الى اليابان والصين ٠

وصرف الامير الجنرالين بعد سماع حديثى وانتقل الامير بعد ذلك الى الموضوع الثانى وهو حاجة اليابان للتوسع الاقليمى لايجاد متنفس لسكان البلاد الكثيرين ٠

فقلت : لك كل الحق والتوسع ضرورى ولكنه يجب أن يكون رأسيا بتحويل الفلاحين الى صناع ، لأن اليابان يمكن أن تولد قوة ٨ بليون حصان من القوة الكهربائية المائية وتستطيع اليابان بوساطة أسطولها الضخم من استيراد المواد الاولية من خارج البلاد وتصنيعها ، وحذرته من مغبة الاجور المنخفضة للعمال التى ستجعل منتجاتها رخيصة ولكنها فى نفس الوقت ستثير عداء الدول المنتجة الاخرى ٠

وفى الواقع تشبه الجزر البريطانية اليابان فى الحجم والسكان ، والقوى المائية فى اليابان تساوى الفحم فى انجلترا ، ويمكن بالتصنيع أن نستغنى عن الغزو والتوسع الاقليمى ، واستجلاب مدربين فى الصناعات المختلفة من العالم الخارجى سوف يقوى الصلات بين اليابان وبقية أنحاء العالم ٠

وطالت المناقشة وحل ميعاد العشاء فانضم الينا ياهاشى كواى Uahachi Kawai مستشار الامير وبعد العشاء انصرف الامير لحضور اجتماع وزارى وطلب منى انتظاره ، وعند منتصف الليل عاد الامير وقال : « لن يوقع اتفاق تجارى مع روسيا » ٠

وبعد ذلك خرجت متوجها الى منزلى بعد أن استطعت أنا الغربى البسيط أن أكون عاملا مؤثرا فى العلاقات الدولية ·

* * *

وفى اليوم التالى ظهرت الصحف تحمل عناوين ضخمة عن توقف المفاوضات، فأخذت جريدة واتجهت فورا لمكتب الملحق العسكرى وقصصت عليه ما حدث فسر للنتيجة وبعد أسبوعين دعيت للعشاء فى النادى وحضر الاجتماع علية القوم من الممثلين للجماعات المختلفة والذين لهم أثر بالغ على مجريات الامور فى اليابان من بينهم البارون توجو ، والكونت انويى Inouye والبارون شيبا Baron Shebo وكواى Kawai وأدركت حينئذ أننى عند ما أتكلم هؤلاء الاربعة فاننى أتكلم مع أكثر اليابانيين علما ببواطن الامور ، وأدركت كذلك أن الفرصة سانحة لى للحديث عن آرائى فى الحكومة والمناجم والزراعة والصناعة والامور الاخرى ، وشعرت بأن كلامى له بعض الاثر على هؤلاء الرجال ·

واتفقنا بعد العشاء على اللقاء مرات أخرى وحدث هذا بالفعل فى منزل البارون توجو Baron Togo ، ومع تكرر هذه الاجتماعات وما كان يدور فيها من مناقشات بدأت آرائى تتبلور فى أذهان هؤلاء الناس وأيقنت أنه اذا تسنى لهم تولى السلطة وتنحية العسكريين فلن تدخل اليابان الحرب ·

وبمرور الزمن زالت الكلفة بينى وبينهم وبدءوا ينادوننى بألفاظ غير رسمية ، وقد مكننا هذا فى النهاية من مصارحة بعضنا بعضا بكل شىء ، فقد وثقوا باخلاصى وصدقى ، فاتخذونى زميلا لهم وقد تأثرت بصراحتهم كذلك فى الاجابة على كل أسئلتى ، وذات مرة كنا نناقش مسألة الحضارة فقال أحدهم وهو الفيكونت انويى Vis Count Inouye : « نحن لاننتوى اعتناق الحضارة الغربية بكل ما فيها ، فسوف نتقبل منها ما يناسب شعبنا وما يتفق مع أساليب حياتنا ، فهل تريد معرفة لماذا لا نقبل حضارتكم ككل ؟

أجبت : « بكل تأكيد » ·

قال : « ماهى جريدتكم المحافظة ؟ »

قلت : النيويورك تايمز ·

فقال : يقابلها عندنا صحيفة Tokyo Nich Nichi اقرأ الصحيفتين وستجد السبب لماذا لا نقبل حضارتكم ·

وقد فهمت قصده ، فالجرائد اليابانية لاتنشر أخبار الجريمة أو الجنس كما تفعل الجرائد الامريكية ، وأضاف قائلا اذا كانت الصحف الامريكية مرآة للحياة الامريكية فان حضارتكم لا تناسبنا ، وبالفعل أثبتت الاحصائيات أن حوادث الاغتصاب للعرض لم تتعد أربع حوادث من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٤ فى كل الامبراطورية ، التى كان يبلغ تعداد سكانها ستين مليونا كما أن جرائم العنف نادرة ، ولا يمكن أن يسمح شخص عن جريمة تزوير ، ونظرا لانفصال البلاد عن القارة نجد أن التهريب لا وجود له ٠

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم اكتشف سبب تقديس اليابانيين للقانون واطاعتهم له ، وقد ظننت فى البداية أن السبب هو التلقين والتعليم ، وسأصف هذا التلقين فى ايضاحى ووصفى لنظام « الهوكو » الـ Hoko ٠

ومرة ثانية سألت عن سبب عدم تقدم المسيحية فى اليابان فقد علمت من المبشرين أن دعوتهم لا تلقى تقديرا أو نجاحا ، وقد ألقى البارون شيبا Baron Sheba ضوءا على هذا الموضوع عند ما قال :

« وصلت المسيحية الى اليابان لاول مرة منذ ثلثمائة سنة ، عند ما وصل البلاد بعض المبشرين البرتغاليين من الكاثوليك ، فانتشرت المسيحية لدرجة جعلت الشوجان Shogun يخشون قوتها فما كان من ايبساو توكوكاوا Iyeyasu Tokugawa الا أن أغلق أبواب البلاد فى وجهها ٠ وقتل بعض المسيحيين ، ونفى البعض الآخر فذهب المنفيون منهم الى الفليبين ٠

وبعد ذلك سمح للمسيحية بالعودة وبعد ذلك واجهتنا نظريتان متعارضتان ، أولهما أن المسيح هو « المحبة » والثانية هى أن الله اله غيور وأن اسلافنا الذين لم يسبق لهم سماع شىء عن المسيح يصلون بنيران حامية فى مكان يسمى جهنم ، ويبدو أن النظرية الثانية لا تتفق مع الاولى، وعند ما تملكنا الخوف من جهنم التمسنا الارشاد والتوجيه حتى دون الطريق الذى يسير بنا الى الجنة ، وهنا وجدنا أنه لا يوجد باب واحد بل ستة وسبعين بابا (بعدد طوائف المبشرين المسيحيين فى البلاد فى ذلك الوقت) وعند ما اكتشفنا ذلك قررنا كافة أن نصلى بنيران جهنم مع أسلافنا ٠

والحقيقة أن ملاحظة أعمال المبشرين فى اليـابان جعلتنى أؤمن بالغـاء الطائفية ، وارسال مبشرين مستنيرين ليعلموا الناس أن المسيح صلب ثم صعد من بين الموتى وكفى فلن يقتنع اليابانيون باخلاص الحركات التبشيرية مالم يقضى قضاء مبرما على هذا الاضطراب ، وهذا الصراع الطـائفى بين طوائف المبشرين ، وأن يقوم التبشير على تدريس المسيحية الحقة .

ومع ذلك فسوف يتعلم اليابانيون الديمقراطية والمسيحية ، ولو لمجرد ثبوت صلاحيتها بمقارنتها بما هو قائم فى بلادهم .

* * *

بعد مدة توثقت الصداقة بينى وبين الرجال الاربعة ، وفى صبيحة يوم من الايام قرأت فى صحيفة عن خبر وصول الكسندر هوم فورد Alexander Hume Ford رئيس اتحاد الباسيفيك من جزيرة هونولولو لينظم منتديا فى طوكيو لتقوية أواصر الصداقة بين الشعوب المطلة على المحيط الهادى كان وارن هاردنج Waren G. Harding هو الرئيس الشرفى عن الولايات المتحـــدة ، ورئيس الوزراء بروث S. M. Bruce نائبـا عن استراليا ، ورئيس الوزراء ماسيتى W. F. Massey نائبا عن نيوزيلند ، وون هانج hy Won Hang ممثلا للصـين ، ورئيس الوزراء ماكنزى كينج W. L. Me Kenzie King نائبا عن كندا ثم صاحب الجلالة الملك راما Rama السادس مندوبا عن سيام ، وكان من المتوقع أن يمثل الامير توكوجاوا To Kugawa اليابان ، وكان هناك وكلاء شرفيون كذلك ولم أهتم كثيرا بذلك حتى دعانى الامير فى مقره الرسمى لتناول الغذاء .

وعند وصولى قدمنى الامير للمستر فورد ، وفى أثناء تناول طعام الغذاء قال الامير : « لقد أخبرنى المستر فورد أن الاتحاد يمكنه أن يفعل الـكثير للمحافظة على السلام فى منطقة الباسفيك ، وقد وافقت أن أكون رئيسا لفرع اليابان ، ولكنك يجب أن تكون عضوا عاملا فيه حتى تضمن نجاح هذا النادى فى طوكيو ، وهنا همس فورد فى أذنى وقال : « هل أستطيع أن أتكلم بصراحة مع الامير . »

قلت : « بكل تأكيد » .

وهنا التفت الى الامير وقال : « تقولون أيها اليابانيون أنكم تودون حماية السلام فى الباسفيك وبصراحة ان العالم الخارجى يشك فى قولكم والافضل عندى أن يجعلوا العالم يؤمن حقا بما يزعمون عن أن ينجح هذا النادى وفعلا نجح النادى وأخذ يؤمه كبار اليابانيين من عسكريين ومدنيين .

وبعد تكوين هذه الهيئة وأصبح الامير رئيسا شرفيا ، عقدت اجتماعات أسبوعية ولم يحدث أن فشل شىء من البداية ، وأصبح الاعتقاد أننى الوحيد الذى أستطيع مقابلة الشخصيات اليابانية فى وقت كان يعجز فيه كبار الدبلوماسيين عن مقابلتهم ، وبدأت تنهال على عروض للعمل فى السلك المدنى على أن أقدم استقالتى من الجيش ، ولكننى لم أتقبل هذه العروض بل أعرضت عنها كلها ، لاننى لم أكن أتصور اطلاقا استقالتى من جيش الولايات المتحدة فصناعة الجندى هى الحرفة التى اخترتها لنفسى ، والتى تستهوينى وتتفق مع ميولى واستعداداتى ومع ذلك فقد قدمت استقالتى فى النهاية والاسباب التى دعتنى لتقديم هذه الاستقالة هى رغبتى فى اتمام مهمتى فى اليابان ، وكنت أمل أن تكون استقالتى لفترة موقوتة وان أعود بعدها الى العمل فى المخابرات التى أحبها .

٧

الخطـــة « م »

فى صبيحة يوم من أيام شهر يونيو سنة ١٩٢٢ زارنى الكابتن ادوارد والسون Edward F. Watson الملحق البحرى على غير ميعـاد فى المنزل الصيفى الذى كنت قد استأجرته فى كارويزايا وقال :

« لقد طلبت فى وزارة البحرية اعداد خطة للحصول على معلومات من اليابان فى مدة الحرب فهل تظن أنك تستطيع اعداد هذه الخطة » وهكذا أخيرا جاء الامر ولكن من مصـــدر لم اتوقعــه اطلاقا ، فعنـــد ما كنت فى واشنطون فى طريقى الى طوكيو طلبت فى المكتب الثانى حيث القيت على التعليمات الشفوية الاتية : « تعلم ياماشبير أنك كنت من أسباب كشف جهاز الجاسوسية الالمانى فى أثناء الحرب العالمية الاخيرة ، ولكن من العسير ارسال رسائل خارج اليابان فى حالة قيــام حرب ، والاصعــب من ذلك وضع جواسيس فى تلك البـــلاد من الجنس الاصــفر لانه من السهــل على اليابانيين اكتشافهم لو كانوا من الصينيين أو الــكوريين أو السيــاميين وأسهل من ذلك اكتشاف أمر البيض ، وفضـــلا عن أن البوليس السرى يهيمن تماما على البلاد ، ويعرف كل فرد من أفراد الشعب ويمكنه اكتشاف أى أجنبى منذ وصوله ، فهل يمكنك وضع خطة للعمل تتغلب بها على هذه المشكلة » ٠

وبعد عامين كنت قريبا من ايجاد حل للموقف عنـــد زيارة الــكابتن واطسون لى ٠

وقلت دون تردد : « أستطيع ولكن بشرطين : الاول موافقـــة رئيسى الكولونيل بورنت Burnett ، ثانيا عرض الخطة على وزيرى البحرية والحربية » ، ووافق الكابتن على الشرطين فوعدته بالانتهـــاء من وضعهـــا فى مدى أسبوعين ٠

وهنا يجدر بى العودة الى الوراء حتى يناير سنة ١٩١٨ عند ما كنت ضابطا فى المخابرات فى جزيرة « جفرنر ايلاند » وكان مساعدى الكابتن هاملتون سميث الذى حضر فى صبيحة يوم الى مكتبى وهو مضطرب : وقال « أعتقد ياسيدى أنك تسير على الطريق الصحيح » ووضع أمامى ورقتين مكتوبتين بالآلة الكاتبة فيهما رسائل الى عملاء من الالمان فى هذه البلاد وكانت الورقتان مخفيتين فى الاعلانات المنشورة فى الصحف عن شركة كيميائية تنتشر منتجاتها فى الولايات المتحدة ولكن يسيطر عليهما رأس مال ألمانى ، وقد لاحظت فيها لهجات أمريكية غريبة ونظرا لخبرة سميث بأساليب الالمان فى الكتابة المستورة كلفته بفك رموزها وبعد فترة قصيرة وصلنا الى حلها وصدرت الاوامر بالاستيلاء على الشركة حتى نهاية الحرب ٠

وكانت الكتابة تتضمن تعليمات للجواسيس والمخربين وحدثت بعض الحوادث فعلا عقب صدور بعض الاعلانات ٠

وبعد أسبوعين قدمت الخطة فى سبع صفحات فقرأها الكابتن واطسون فاقتنع بها وعند عرضها على Burnett وافق عليها وكانت على أساس الخطة الالمانية السابقة مع تفادى ما فيها من أخطاء ٠

وكان لابد لضمان نجاح الخطة من أمرين الاول اقامة جمعية للتغطية توحى لليابانيين بانها الوحيدة فيركزون عليها انتباههم وتسمى Red Heving وتستند على بعض اليابانيين ولا سيما الذين لهم صلة فعلا بالسفارة الامريكية وكان هؤلاء بالفعل جواسيس للبوليس السرى اليابانى، ومن المؤكد أنهم كانوا يرسلون تقاريرهم لحكومتهم ويقولون فيها اننا اتصلنا بهم وأنهم تظاهروا بمسايرتنا ٠

والامر الثانى والاهم والذى كان له أعمق الاثر فى نفسى هو أن يعتمد تمويل الجهاز على اعانات فرد أو اثنين من المواطنين الاغنياء لا من الحكومة الامريكية لان الرسميات الحكومية قد تكشف أمورنا وقد يتركنا اليابانيون نعمل حتى تنشب الحرب ثم يحطمون الجهاز بأكمله دون ترك فرصة واحدة لاعادة تنظيمه ٠

والسبب الثانى لذلك هو أن اليابان لها عملاء فى وزارة الحرب الامريكية، وقد كانوا من حلفائنا قبل وابان الحرب العالمية الاولى ، وعلى حين كان الالمان يستخدمون الالمان أو الامريكيين من أصل ألمانى فى تجسسهم

استخدم اليابانيون مأجورين وذلك بسبب اللون ووضعوهم فى المراكز الحساسة فى الحكومة ولا سيما وزارة الحرب • وقد أكد لى تلك الحقيقة الكولونيل بورنت Burnett ، ولم نكن ندرى مدى سيطرة اليابانيين عليهم ، ولكن المعتاد هو اغراء الجاسوس أو الجاسوسة بالمال حتى يرتكب عملا من أعمال الخيانة وبعد ذلك يتسنى السيطرة عليه أو عليها بالتهديد بفضح الامر وذلك زيادة على ما يعطى من أموال •

والترجمة التى تمت للوثائق اليابانية التى استولينا عليها بعد الحرب تثبت أنهم استعملوا تلك الوسيلة فى تجسسهم لضمان تعاون الجواسيس الاجانب معهم ، هؤلاء الجواسيس الذين كانوا يتجسسون ضد بلادهم ، وكانوا يحتفظون ببعض أعضاء عائلات الجواسيس فى اليابان كرهائن •

ومع ذلك فقد كنا فى سنة ١٩٢١ فى مركز لا نحسد عليه فى اليابان لاننا لم نكن نستطيع ارسال خطاب الى بلادنا لان هذا كان من شأنه أن يسلط الاضواء على ما نكتب اليهم فيوضعون تحت المراقبة من جانب أعدائنا •

وقد ظهر عند نشوب الحرب العالمية الاولى أنه يوجد كثيرون ينحدرون من أصل ألمانى ممن كانوا يعلمون أسرار شفرتنا ، وهكذا كان لابد من تغييرها بشفرة جديدة •

* * *

وقد ناقشت مدى معرفة الميجر واتارى Watari بتفاصيل مهمتنا ، وناقشت الامر مع كثير من الاشخاص ، وكان الايضاح الوحيد المحتمل هو طريقة استخراج جواز السفر الدبلوماسى ، فالحكومة تستقصى كثيرا عن صاحب جواز السفر ، وتحاول أن تعرف ما اذا كان Persona grata شخصا مرغوبا فيه أم لا ، ولكن لو جاز هذا بالنسبة لدبلوماسى كبير فانه لا يجوز بالنسبة لضابط صغير ، ففى يوليو ذهبنا لاستخراج جواز السفر ورفضت وزارة الخارجية فى بادىء الامر دون ابداء الاسباب ، وقد أكد لى سيريل واين فيما بعد أنه لم تجرى أى مباحثات ولا مراسلات بشأننا ، وحتى لو كانت هناك أى مراسلات فمن غير الممكن أن تعرف وزارة الحربية اليابانية التفاصيل مالم تكن هذه التفاصيل قد ارسلت للسفارة اليابانية من عميل لها ثم ارسلت بالراديو من السفارة اليابانية فى واشنطون الى طوكيو •

وكانت « الخطة م » جاهزة في يوليو سنة ١٩٢١ ، ومنذ خروجها مني لم أعد أعرف عنها شيئا ولكنني أدركت من الحاح الكابتن واطسون في طلبها بأنها في طريق التنفيذ بواسطة السلطات المعنية ٠

وكما قلت سابقا كانت علاقتي قد توثقت في بداية سنة ١٩٢٢ بأكبر أربعة رجال في اليابان في المجال السياسي بشكل لم يتيسر لاعظم سياسي غربي من قبل ، وقد كان هؤلاء هم العقول الموجهة للأمور في اليابان والمسيطرة على الحكومات المتتالية ماعدا الجيش والاسطول ، وجعلتني معرفتي بهم بصفتي مديرا للاتحاد الباسفيكي مفيدا منحيث توافر أسباب الاتصال بالشخصيات المختلفة والعمل لصالح بلادي ، ولذلك اتصل بي الكثيرون وطلبوا مني تقديم استقالتي من الجيش وبدء العمل في المجال الاقتصادي ولكني رفضتكل هذه الطلبات وأعرضتعن كل هذه العروض رغم أنها كانت عروضا يسيل لها لعاب محبو المال ولكنني كنت أحب مهنتي ٠

جعلتني المهمة التي كلفت بها في سيبيريا مدركا تماما بأن ما يجري في الظاهر في الشرق الاقصى يختلفتماما عما كان يدور في الباطن فالدستور الياباني كان قناعا يخفي وراءه سلطات العسكريين ومدافعهم ولكن ماذا حدث لخطتي « خطة م » هل نفذت أو أخذت طريقها الى زوايا النسيان ؟ فقد سألت زاخارياس Zaharias عنها مرارا وتكرارا ولكنه لم يكن يعرف شيئا ٠ وينطبق نفس الشيء على الكابتن واطسون حتى وقت رحيلي ٠

وأخيرا ذهبت الى الكولونيل بورنت Burnett وجلست معه أراجع تفاصيل الخطة من بدايتها الى نهايتها عدة مرات ، وأخيرا قال لي أنه يحس بأن شيئا لم ولن يعمل بصددها وقال أنها هي فعلا الخطة الالمانية القديمة ولكنها تجيء في طابع عملي ٠

وعند ما ظهر تحمسه لها تبلورت فكرة في ذهني ، لماذا لا أقبل عرضا من تلك العروض المدنية التي عرضت علي ؟ فان قبولي لاي عرض سوف يوفر لي المال الكافي لتمويل خطتي « خطة م » وسألت الكولونيل بورنت Burnett عما اذا كان من المستطاع الحصول على اجازة لمدة عام أو عامين من الجيش ، حتى أستطيع أن أعد العدة لهذه الخطة ولتمويلها ٠

وأشار بورنت الى نقطتين ، أولهما : **أننى لن أستطيع الحصول على أجازة لاكثر من ستة أشهر ، والثانية هى أننى لو منحت تلك الاجازة فسوف يعرف اليابانيون ذلك** ومن ثم فسوف تتجه شكوكهم نحوى ، الامر الذى سيجعلهم يضعوننى تحت المراقبة الدقيقة لدرجة قد تصيب نشاطى بالشلل التام ، وزيادة على ذلك فهناك الخطر المستمر وهو التفسير الكتابى لسبب طلبى للاجازة الذى قد يقع فى أيدى الجواسيس الذين يعملون لحساب اليابانيين فى واشنطون .

وأخيرا حدث فى ذات يوم بينما كنا نناقش ذلك أن أخرج الكولونيل بورنت Burnett من أحد أدراج مكتبه قوانين الدفاع القومى ١٩١٦ — ١٩٢٣ وكان أحدها خاصا بتعيين الضباط وقد جاء فى القسم ٢٤ هـ ما يلى : « يجوز اعادة تعيين الضباط السابقين والمتقاعدين للخدمة بالجيش العامل اذا ثبتت صلاحيتهم للخدمة ، ويوضعون فى الاقدمية التى تحدد لهم فى قائمة ضباط الجيش طبقا لما جاء فى مواد القسم ٢٤ أ بعاليه » .

وقال بورنت Burnett : « هذه هى الاجابة ، عليك بتوقيع عقد طويل المدى مع شركة من الشركات ولنقل لخمس عشرة سنة يضمن لك الامن ضد المفاجئات ، وبعد ذلك يمكنك العودة للجيش عند ما تريد هذه العودة فى بساطة بتقديم طلب لهذا ، صحيح أنك ستوضع فى آخر كشف الرتبة التى تحملها ، ولكن هذا يكون وقتيا ذلك لانه بمجرد اعلان الحرب سيمكن معرفة كل شىء وتعود لمكانك ولربما لرتبة أكبر .

ناقشنا بعد ذلك صيغة الاستقالة التى سأتقدم بها ، حتى أحصل على موافقة وزارة الحرب واتفقنا على أن تكون مسببة بأسباب المال الذى سأحصل عليه من عملى الجديد ، وعند ما يعود للولايات المتحدة فانه سيشرح السبب الحقيقى للقسم الثانى من هيئة أركان الحرب ، وقد وقعت على العقد وأرسلت صورة منه مع طلب استقالتى ومدته ١٥ سنة بمرتب ١٥٫٠٠٠ دولار فى العام بالاضافة الى أسهم قيمتها ١٥٠٫٠٠٠ دولار فضلا عن ٢٠٪ من أرباح القسم الهندسى الذى سأنشئه ومعنى ذلك حصولى على دخل صافى قدره ٨٥٫٠٠٠ دولار فى العام ، وهو مبلغ يمكننى من تنفيذ خطتى وعلى حسابى الخاص .

لقد كانت هذه أشد فترات حياتى ايلاما لنفسى ، وقد تم كل شىء فى ١٥ أبريل سنة ١٩٢٣ ووافق بورنت Burnett على الاستقالة بعد أن ألمح فيها الى السبب الحقيقى للاستقالة طبقا لاتفاق سابق . وشط فى

بعض أجزاء تقريره وذهب الى حد القول بأن ماشبير تنقصه الخبرة كضابط فى الجيش وأن من السهل ايجاد من يحل محله ، وأضاف قائلا انه من الممكن أن يكون أكثر نفعا للمخابرات وهو بعيد عن الجيش فوظيفته الجديدة لن تحتاج الى استعمال اللغة اليابانية التى أتقنها فحسب ، بل أنه سوف يحصل على معلومات بالغة الاهمية للملحقين العسكريين فى المستقبل وعلى العموم فاستقالة ماشبير تعتبر حظا سعيدا لادارة المخابرات ٠

وكنت أتوقع أن أحول الى مانيلا لاجراء الكشف الطبى النهائى بسبب اصابة فى الظهر كنت قد اصبت بها أثناء تدريبى على المصارعة اليابانية ٠

لم أكن أفضى الى زوجتى بأسرار عملى ، ولم يكن يعرف السر وراء استقالتى عدا الكولونيل بورنت وزاخارياس Zacharias غير الميجر واتسل Witsell والكابتن واين كلير Warren J. Clear وكانت معرفتها بالامر بطريق غير مباشر وقد دهشت لقبول وزارة الحرب لاستقالتى وصل الرد بالقبول بالاسلكى ، فانكببت على عملى بالشركة وحصلت على عدة عقود سخية وبدأت اتصالاتى بالناس تستمر فقد استطعت أن أكتب خطاب تهنئة للاميرال لتعيينه رئيسا لمكتب أبحاث خاص بالغواصات وعرضت عليه بعض المعدات العلمية التى من المؤكد أنه سيكون فى حاجة اليها ، فزارنى الاميرال فى مكتبى وشكرنى مؤكدا أنه سيتقدم اليه بطلبيات ضخمة فى الوقت المناسب ، ودارت مفاوضات حول توريد معدات مختلفة مع شركات ومؤسسات عدة ٠ وتوثقت العلاقات بينى وبين مديرى الشركات اليابانية ومن الواضح أن مثل هذه الاتصالات من شأنها أن تطلع أى شخص يعمل فى المخابرات على التطور الصناعى فى اليابان ولا سيما فى المجال العسكرى ٠

وحدث أمران آخران أثناء تلك الفترة كانت لهما أهميتهما من وجهة نظر المخابرات أولهما أننى وجدت بانه من الضرورى بالنسبة لانواع خاصة من المهمات أن يضاف للسعر كل ضريبة الاستيراد ، الا أنه كان هناك قانون خاص مر من دوائر التشريع بصفة سرية بقصد تشجيع صناعة الصلب ٠٠ وقد جاء فى احدى مواد القانون أن كل المواد والادوات التى تصحب بشهادة تثبت أنها ستستخدم لصالح صناعة الصلب ــ تعفى من ضرائب الاستيراد ٠٠ ، وهكذا فاننى لمعرفتى لهذا القانون السرى وبالوسيلة التى أحصل بها على الشهادات المطلوبة كنت أقدم دائما فى المناقصات اسعارا تقل عن الاسعار التى يتقدم بها الاخرون الذين لايعرفون القانون ٠

وجاء الامر الثانى كذلك بعد أن وضعت مشروعا كبيرا لادخال الآلات الزراعية الى اليابان ، وكان هذا أيضا له صلة بقانون صدر سرا هو الاخر يفرض تشجيع الزراعة ٠

وكان مشروعي يستهدف استيراد عينة من كل من الادوات التى يمكن استخدامها فى التطوير الزراعى ، وتعرض هذه على لجنة من اساتذة كلية الزراعة الامبراطورية في (هوكايدو) ، وقد سر البارون شينا والفيكونت اينويى من الفكرة ووعدا بتعيين أكفأ الاساتذة فى هذه اللجنة ، وعينت أنا من جانبى مستر ماياساوا يابانى خريج جامعة كورنيل الامريكية ومن أكفأ المهندسين الزراعيين ٠

وتضمن المشروع أيضا أنه بعد أن تتخير اللجنة ما ترضاه تجرى تجربة فى موسم زراعى كامل على الاقل وتعاد عرض النتائج على اللجنة ، فتأمر باستخدام كل ما تتحقق من نفعه ٠

وكانت الخطوة التالية من عملى تنظيم قطار للعرض من المعدات الزراعية ومعدات مكافحة النيران وهذه من الزم الضروريات فى اليابان ، وتكونت الهيئات الزراعية فى أماكن عدة لشراء المعدات تعاونيا وبيعها للافراد ، وكانت الهيئات تدفع اثمان المعدات على أقساط سنوية ٠

وقد علمت قبل أن تعلم المخابرات (وذلك بسبب الاتفاقات التجارية) بانشاء خط السكة الحديد كارين ـ راشيد كجزء ومن شبكة للخطوط الحديدية العسكرية وعلمت نتيجة استفسارى بمجرد أن وصلنى نبأ صغير عن الامر بأن الخط الحديد قد امتد من Chanchung الى Kirir وبعد ذلك الى Tunhwa ، ولابد أن القصد كان وصلة بالساحل وظهر بعد ذلك أنه كان يعد للنقل العسكرى والغزو الذى حدث بعد سنوات ٠

وفى مستهل الحقبة الثالثة وضعت خطة أخرى كان من المتوقع أن تكون ذات أثر عميق على اليابان لولا حدوث الزلزال ، ففى التقرير السنوى عن التعليم لسنة ١٩٢٢ كان من الواضح أن من الـ ٧½ مليون طفل فى التعليم الابتدائى لم ينتقل الى المدارس الوسطى سوى ½ مليون مع ٣٠٠٠٠ فقط الى الجامعات وذلك لأن الجزء الاكبر من الميزانية كان يصرف على الجيش والبحرية ٠

وحتى تصل الى هذه الملايين فكرت فى شىء لم يسمع به من قبل فى اليابان وهذا الشىء هو مدارس التعليم بالمراسلات ، وقد تأثر الامير توكوجاوا Tokugawa بالفكرة لانه كان يعتقد أن هذا سوف يكون له قيمته بالنسبة لمستقبل اليابان وعرض ، أنويى Viscount Inouye أن تقوم شركته باعداد تصميمات المبانى بدون أجر كما أن شيبا Baron Sheba قال بأن أساتذة الجامعة الامبراطورية على استعداد لاعداد ووضع خطط ومناهج التدريس بالمدارس الوسطى والكليات كواجب وطنى ٠

كان الاستعداد لافتتاح هذه المدارس ومدارس المراسلات Nippon Tsu - Shin Gakkai قد بدأ عند ما حدث الزلزال فى سبتمبر فأوقف كل شىء ولو قدر لهذه المدارس أن تفتتح لامكن تحقيق أهدافنا وهى المساعدة فى التوسع الرأسى وحماية السلام وكذلك تهيىء الفرصة لى لاستغلال اتصالاتى وعلاقاتى وتنفيذ خطتى حال قيام الحرب ٠

منحت كل جهدى لعملى وسعدت بثمرة هذا الجهد وتم كذلك تكوين هيئة اتحاد الباسفيكى وأصبحت أجد مديرى نادى هذا الاتحاد فى طوكيو وزاد هذا من توثق علاقاتى بأصحاب السلطان فى اليابان ٠

وحوالى هذا الوقت حدثت حادثة فتحت عينى على أمر هام وهو ضرورة دراسة وجهة النظر اليابانية فى كل شىء ، ففى حفل عشاء أقيم بمناسبة يوم Balboa × كان ضيف الشرف هو الامير توكوجاوا Tokugawa ، وعند ما هممت بتقديمه للضيوف أصر على أن يكون تقديمى له باللغة اليابانية ٠

وبعد أن قدمته للحاضرين باللغة اليابانية بدأ الرجل يلقى كلمة الافتتاح ، وكانت شيئا مثل هذا ٠

« سادتى انه ليسرنى تواجدى بينكم فى هذا اليوم للاحتفال بذكرى الثلاثماية أو الاربعمائة السنة للمغامر الاسبانى بالباؤ الذى اعتدى على قدسية المحيط الذى كان جدودى يصطادون فيه السمك ٠

× بلباؤ BALBOA هو اسم المغامر الاسبانى الذى اعتدى على المياه الاقليمية اليابانية .

وخطر لى عند ما حصل توكوجاوا الى هذه المرحلة من الحديث أن اليابانيين ــ على مثال اعتقادنا فيهم بانهم شعب غير متحضر تماما ــ فانهم يعتقدون أننا متوحشون ، وانه كانت لهم حضارة وثقافة عند ما كان جدودنا يعيشون فى الكهوف وبين أغصان الاشجار ٠

وتابع توكوجاوا حدينه قائلا :

« وفى ايجاز ليتصور كل منكم نفسه على أنه يابانى يعيش فى هذه الجزيرة الصغيرة وعلى مئات السنين بدأ مد من البرابرة البيض ، بدأ المد يتجه شرقا عبر قارة أوروبا رأسية غازيا الشعب تلو الشعب ومحتلا البلد اثر البلد ، واتجه نفس الشعب الابيض غربا ايضا عبر الماء والبر الى قارة اخرى هى قارة أمريكا ، ويكتسح البيض أرض القارة الجديدة ، وتقوم حكومة جديدة تثير الحرب على الوطنيين ومن لم يقتل من الوطنيين احتجزته حكومة البيض فى أماكن معينة ولا زال الوطنيون هذه حالهم الى اليوم ومن ثم يبدو بوضوح أنكم ايها البيض شعب لا يعرف الرحمة » ٠

« ويزداد امتداد البيض الى امريكا الجنوبية ثم يسير غربا الى جزيرة هاواى والى الفليبين والى جزر الهند الشرقية واستراليا ونجد نحن اليابانيون أنفسنا وقد أحاط بنا احاطة السوار بالمعصم ستار حديدى من الجنس القوقازى ، ومن ثم كان من حقنا أن نشعر بالخوف ، فنحن نجد أنفسنا فى جزر صغيرة ولكنا نريد أن نوسع من رقعة بلادنا واذ ذاك يقال لنا أن هذه رغبة خاطئة ، وعلى حين يترك لفرنسا أن تقتطع جزءا من الصين تقول عنه « الهند الصينية » ومن حق انجلترا وهولندا وايطاليا أن تأخذ اجزاء من العالم يقال لنا بان أى محاولة منا لضم اراض جديدة بأنها اراء خطرة واننا يجب أن ننفض ايدينا من هذه السياسة الامبريالية » ٠

« ان لحكومتكم الامريكية قوات فى هايتى ونيكارجوا حاليا تهاجم السكان الوطنيين ، وقد قمتم بمهاجمة المكسيكيين واغتصبتم جزءا كبيرا من أراضيهم ٠

« والان وفجأة بدأت بلادكم تكون مصدر تهديد لنا ، فان مواطنكم مستر هاريمان يحاول أن يشترى سكة حديد منشوريا الجنوبية ومن الواضح أنه يعمل باسم حكومتكم ومع هذا فانكم ترفضون السماح لنا بالامتداد فى قارتكم أو فى قارة آسية ، فماذا علينا أن نفعل ؟ ضعوا أنفسكم فى مكاننا ؟

ومع أنني حاولت أن أوضح له بأن عمل مستر هاريمان انما هو عمل شخص لا علاقة له بالحكومة الا أنني لم أنجح في هذا ففي اليابان تمتلك الحكومة وسائل المواصلات كلها ولا تقبل العقلية اليابانية تملك فرد لخط مواصلات هام كهذا ، ووجدتني أواجه جدارا صلبا من سوء الظن وعدم الثقة ٠

على أنه لو كان جزء من سياستنا الخارجية ان نرغم اليابان على محاربتنا فانه كلما جاءت هذه الحرب في تاريخ مبكر كلما كان هذا لصالحنا ٠٠ولكن ان لم تكن الحرب جزءا رئيسيا في سياستنا فان كل ما تعمله وزارة الخارجية الامريكية يكون على النقيض تماما من حقيقة الواقع ٠

وعند ما اقترب موسم الصيف الحار في سنة ١٩٢٣ ذهبت زوجتي وابني الى الولايات المتحدة لزيارة ، وبدأت أقضي نهاية الاسبوع في مكان يبعد ٤٥ ميلا عن طوكيو يقال له (أويسو) Oiso ، وهي مدينة ساحلية ، وكانت عادتي أن أذهب اليها في مساء الجمعة واعود منها في مساء الاحد على أن أقضي كل تلك الساعات في لباس البحر ٠

وجاء أول سبتمبر وكان البحر في الليلة السابقة عنيفا جدا حتى لم يسمح لاى فرد بالنزول الى الماء ، وكان البحر في الصباح التالي على حالة من العنف ولكنني قررت السباحة واندفعت الى الماء وكان في جوار الساحل أربعة من الطلبة كنت قد تعرفت اليهم من قبل ، وعلى مسافة عشرين من ياردة من الساحل القينا نحن الخمسة أنفسنا في خضم موجة عاتية وكافحنا لثلاثة أرباع الساعة حتى نعود للساحل ثانية ٠

وبعد أن القيت بنفسي على الساحل مجهدا شعرت وكأن العالم كله ينتفض وحدقت في ساعتي فوجدتها الدقيقة التاسعة والخمسين بعد الحادية عشرة ، وسقطت على الارض ولم استطع الوقوف ، ولخمسة عشر دقيقة كنت أهتز بقسوة واسناني تصطك كمن يصاب ببرد شديد ٠

٨

كارثة — وعودة

بعد أن أفقت من الصدمة نظرت حولى لأرى ما حل باصدقائى الأربعة فرأيتهم يجرون فوق الشاطىء الصخرى بعيدا عن مكانى بقرابة نصف الميل ، ومن الغريب أن ذلك المكان كان مغمورا بالمياه من خمس عشرة دقيقة فقط ، واكتشفت بعد برهة أن الزلزال الكبير رفع هذه الكتلة الصخرية بمقدار أربعين قدما ، وبعد ذلك قمت لاساعد فى تخفيف نكبات الزلزال وعملت خمسة أيام ليل نهار وبعد ذلك عدت الى طوكيو سيرا على الاقدام ، وبعد اثنين وعشرين سنة كنت أول ضابط أمريكى يدخل طوكيو بأمر الجنرال ماك آرثر ، وأقرر أن الخراب الذى سببته الزلزال كان أفظع من التدمير الذى نتج عن قنابل الامريكان فى سنة ١٩٤٥ ·

وعند ما وصلت طوكيو وجدت أن كل ما أملكه قد ضاع فذهبت الى الفندق الامبراطورى منهك القوى وكان الكولونيل بورنت Burnett يستعد للبحث عنى ولما وجدنى أنفرجت أسارير وجهه وصحبنى الى مكتبه وطلب منى أن أطلب اجازة لاشرف على رعاية اللاجئين مع ايدى واتسل Eddie Witsell ، وكان معسكر اللاجئين قد أنشأه الامريكان لاغاثة الامريكيين والبريطانيين الذين نكبوا بالزلازل ، فتعاونا فى العمل دون توقف وعلى أكمل وجه طوال هذه الكارثة وقمنا بامداد الحكومة اليابانية ببعض البنزين الذى أخذناه من سفننا الحربية لكى يتسنى حرق أجسام الموتى ، وقد تم بالفعل حرق ٨٦٫٠٠٠ جثة فى طوكيو وحدها ، وقد القت الحكومة القبض على الفوضويين والشيوعيين حتى لا ينتهزوا الفرصة لاثارة الشغب والفوضى أثر النكبة التى حلت بالناس نتيجة للزلزال ، وقد وصلت سفينة اغاثة روسية الا أن كان كل طرد منها كان ملفوفا بأوراق عليها دعاية شيوعية ثورية تدعو كل عامل الى الثورة فرفضت الاعانة وأمرت الباخرة الروسية بالعودة فورا ·

لم يتحول الشيوعيون عن أساليبهم فى الانتفاع من الاضطرابات والفوضى كلما حلت كارثة أو مصيبة ببلد من البلاد أو شعب من الشعوب ، ويوجد متخصصون فى القيام بهذا اللون من النشاط فى كل ركن من أركان الدنيا بما فى ذلك الولايات المتحدة وبخاصة فى مثل هذه الظروف ٠

وبعد الكارثة بعشرة أيام تلقيت رسالة من هنــتر ماستون Hunter S. Maston وهو شريك فى شركة « بلير وشركاه » Blair & Company ورئيسى فى الحرب العالميــة الاولى عنــد ما كنت فى جزيرة جوفرنر ايلاند كضابط مخابرات ونصها كما يأتى : « نحن على استعداد لتكوين منظمــة لصرف قرض للحكومة اليابانية لاعادة بناء وتعمير ما دمرته الكارثة وبأفضل شروط ممكنة أرجو تقديم العرض للحكومة اليابانية ٠ »

فتقدمت بالعرض ومقــداره ١٠٠ مليون دولار أمريكى الى وزير المــالية المستر « انويى » T. Inowye وذهبت لمقابلة الامير توكوجاوا Tokugawa فبكى عند ما علم بعرضنا واستدعى الامير شيبوساوا Vis count Shbusawa « أب المال » فى اليابان الذى سبق أن أرســل الى الخــارج لدراســة النظم المصرفية فى العالم ، ومحاولة استنباط ما يصلح منها للتطبيق فى اليابان ، وشرح له العرض الذى تقدمنا به وأعطاه خطابنا واتجه الى مجلس الوزراء لمناقشة الموضوع ثم عاد الى وزير المالية ومعه كل السلطات للرد على، ثم قال: « **منذ بضع سنوات مضت وضعنا أنفسنا فى أيدى بعض اليهود من أصحاب المصارف الالمانية وكانوا من المناهضين لبروسيا وقد علمونا أن لا نسارع بقبول مثل هذه القروض** » وبالفعل وضع اليابانيون بعض العقبــات حتى رفضت الشركة وتخلت عن عرضها وفشلت ٠

وفى أثنــاء الشــهور القليــلة التى تلت كارثة الزلزال عرض على بعض أصدقائى من اليابانيين بعض الاعمال التجارية كرد اعتبار لى ، ولكننى لم أقبل ومع ذلك فكنت أشعر بمزيد من التقدير لشعورهم نحوى ٠ لان مجرد العرض لم يكن سوى تعبير عن نجاحى فى خلق جو من الود والصداقة بين الامريكيين واليابانيين ، ولا سيما صداقتى مع انويى Viscount Inowye والامير توكوجاوا Tokugawa وقد كانا يتمتعــان بسلطــات تلى سلطة الامبراطور مباشرة ٠

وبمرور الايام طلب منى أن أقوم بتنفيذ مشروعات عـدة منها اضـافة جناح جديد في فندق الامبراطور فى طوكيو ، كانت تكاليفها تبلغ أكثر من سبعة ملايين ين ياباني ، ومن المؤكد أن مثل هذه العمليات كان من شأنها أن تعوضنى تماما عما فقدته ابان كارثة الزلزال ، وكل مال يدخل جيبى كان معناه الاسراع بتنفيذ خطتى المعروفة « بالخطـة م » ولـكن الشركات الامريكية لم تمد لى يد المساعدة بالقدر الكافى رغم أننى كنت سببا فى فتح أبواب كثيرة لها كانت كلها مغلقة من قبل ، وذلك بسبب علاقات الصداقة التى كانت تربطنى بأصحاب السلطان فى اليابان .

وأخيرا طرأت على ذهنى فكرة أخذت تشتد يوما بعد يوم ، وكانت هـذه الفكرة هي العودة الى الولايات المتحدة وتقديم طلب للانخراط فى سـلك الجيش مرة أخرى وبمجرد أن يتم ذلك أسير كلما دعت الضرورة وأختـار الرجال الثلاثة اللازمين لتنفيذ خطتى « الخطة م » أو خطة « ماشبير » .

وفعلا سافرت ومعى خطابات توصية من الكولونيل Burnet بورنت الى وزارة الحرب وكذلك من الجنرال ماكوى ، ولاول وهلة اتجه الرأى هناك الى اعادتى لليابان كما كنت ذلك لان علاقاتى فى الحيـاة المدنيـة مع كبار المدنيين تجعلنى مفيدا فى السعى من أجل السلام كما أنها ستكون مفيـدة فى حالة قيام الحرب كذلك .

٩

فى مهب الريح ADRIFT

أبحرت الباخرة « الرئيس بيرث » President Perce الى الولايات المتحدة فى٦ منديسمبر عام ١٩٢٣ وانا على ظهرها وكانت هذه ثانى سفرة طويلة لى بالبحر ، بسبب اهمال البحارة عبرت السفينة المحيط فى ستة أسابيع بدلا من عشرة أيام ، وكانت الرحلة فترة استرخاء واستجمام وراحة بعد المتاعب النفسية والعقلية والبدنية التى عانيتها أثر كارثة الزلزال ، ولقد أمضيت الساعات الطوال على سطح الباخرة محاولا تنسيق أفكارى وخططى فقد كنت مقتنعا بأن مستقبلى سوف يكون مشرقا لاننى أنجزت أمورا هامة عظيمة ، وكنت على يقين بأننى سأنجز أمورا أهم وأعظم ، والشىء الذى كنت أود انهاءه بسرعة عقب عودتى هو رجوعى الى الجيش العامل ، وكنت أعتقد أن هذا الرجوع ـ بفضل ما معى من خطابات الى رئيس هيئة أركان حرب الجيش ووزير الدفاع سوف يكون آليا دون ما تعطيل وأننى بعد ذلك سأقفل راجعا الى اليابان فورا ٠

ونظرا لطول الرحلة فقد توافر لى الوقت الكافى للتفكير فى الخطة بكل تفاصيلها الدقيقة وفى احتمالات اكتشافها لانها كانت كما أعتقد حيوية اذا لم يتسنى تجنب نشوب الحرب ٠

وكان زميلى فى الغرفة الدكتور ميريل مديرا للتعليم فى مانيلا ، وكان فى طريق العودة الى الوطن لتقليد منصب الاستاذية فى احدى جامعات « الميد ويست » الغرب الاوسط وكان شقيقا للكولونيل داناميريل Dana T. Merril أحد ضباط هيئة الاركان العامة ، وقد أمضيت معه وقتا طيبا على ظهر الباخرة حتى وصلنا سان فرنسسكو ، ومنها توجهت فورا الى واشنطون ووصلتها ممتلئا حيوية ونشاطا ، وبعد أن اشتريت ملابس جديدة مناسبة وذهبت الى وزارة الحرب ، وقدمت طلب عودتى الى السلك العسكرى فدعيت لمقابلة المسئولين وأمضيت معهم وقتا طويلا شارحا لهم لماذا ومتى ستنشب الحرب مع اليابان وقد سارت اجراءات عودتى للخدمة فى يسر ٠

وفجأة استدعانى المستر ويكس Weeks وزير الحربية وأخبرنى بأنه قد اكتشف أن القانون الذى كان يبيح لى العودة الى الخدمة عند ما قدمت استقالتى أصبح لاغيا ، وهكذا وجدت نفسى أمام حقيقة مرة مدمرة وهى أن حياتى العسكرية قد انتهت ·

وكانت هذه هى أسوأ فترة فى حياتى ولكننى استطعت بعد ذلك أن أواجه الواقع الاليم وأستعد لبدء حياتى من جديد ، وكنت فى ذلك الوقت فى الثانية والثلاثين من عمرى ، ولا أملك من حطام الدنيا شيئا سوى الملابس التى استر بها جسدى ·

اقترضت بعض المال من صديق وذهبت الى نيويورك وعملت فى سوق الاوراق المالية وبعد ستة أشهر تركتها لاعمل فى عمل آخر يدر على ربحا أكثر حتى أستطيع اقتصاد المال الذى يكفينى للعودة الى اليابان لتنفيذ خطتى تلك الخطة التى ملكت على كل حواسى ·

وقد حاولت الذهاب الى اليابان عن طريق بيع السندات ولكنى فشلت فاتجهت بعد ذلك الى بيع « آلات تسجيل النقود » واستطعت أن أكسب منها ما يكفينى لا ما يكفى لتمويل خطتى ، وظللت فى هذا العمل لفترة دامت ثلاث سنوات كانت من أسعد فترات حياتى وأهمها ·



الكتاب الثالث

١٠

بخـــوة زمنيـــة INTERIM

وقبل نهاية فترة الثلاث سنوات تلقيت عدة عروض للعمل وذلك بسبب اتصالاتي الكثيرة ، ولكنى لم أجد بينها العرض الذىترتاح اليه نفسى ، وعلى هذا فقبل نهاية تلك المدة تقدمت بطلب للعمل كضابط احتياط فىواشنطون وكان القانون يسمح باستخدامي لمدة ستة أشهر يمكن مدها الى ستة أشهر أخرى اذا رأت وزارة الحرب ذلك ، فضممت الى المجموعة الثانية فى هيئـة أركان الحرب وهناك أعددت كتيبا عن « تنظيم المعركة للجيش اليـابانى » قدمت فيه أحدث المعلومات عن تلك البلاد وكتبت كذلك عن مصادر الحديد والصلب فى اليابان ، وعرضت دراسة عن القوى البشرية فى العالم للقوى الفعلية والمحتملة ٠

والواقع أنى فكرت فى عـدة خـطط أستطيع بموجبهـا العودة لليابان كمندوب تجارى ولـكننى لم أصـل الى شىء ، عرضت على شركة توليـدو للموازين أن أكون ممثلا لها فى اليابان ولكننى رفضتالعرض لان اليابانيين استطاعوا تقليد هذه الموازين حتى بما فيها من أخطاء ، ولم يعد لمثل هذه الموازين سوقا رابحة فى اليابان ، ولكن بعد ذلك تلقيت عرضـا من نفس الشركة على أن أكون فى هذه المرة ممثلا للحـكومة فحول ذلك تفـكيرى الى مسالك جديدة ، وأصبحت على استعداد لتنفيذ خطة أخرى جديدة تمـاما فضلت العرض وطلبت اعفائى من الخدمة العسكرية فى نهاية شهور ثمانية وكنت اذ ذاك قد رقيت الى رتبة (المقدم) ووضعت فى قائمة هيئة أركان الحرب وكنت مستعدا للمراهنة على أن الحرب لا يمكن أن تتأخر عن خمس عشرة سنة وأن الرؤساء المسئولين فى البلاد غير مبالين بهذه الحقيقة وعلمت من صديق هو الميجر ادوين سكوت من ادارة الامدادات ان الانتاج متخلف عن حاجة البلاد للطوارىء ، ففكرت فى انشاء مكتب للمبيعات الهندسية ، فى واشنطون يعنى بالاتصال بالوزارات المختلفة ، وبذا يمكننى معرفة ما

عندها وما ليس عندها وبخاصة تلك الاشياء التى نحن فى حاجة ماسة اليها ولا وجود لها، وغرضي من ذلك هو الاتصال باصحاب المصانع ومطالبتهم بتطوير هذه الاشياء •

وقد نجحت هذه الخطة والدليل على ذلك هو أن أكثر من خمسين قطعة استعملت بعد تطويرها فى الحرب العالمية الثانية ، وكان الفضل فى ذلك لهذا المكتب الذى قام بالاتصالات بالمصانع وطلب منها تحسين انتاجها ، أو للمصانع التى كنت أمتلكها أنا بعد ذلك، وقد أمكننا توفير ملايين الدولارات على الحكومة كانت ستنفقها على تطوير هذه السلع فضلا عن الوقت الذى كان سيضيع فى ذلك ، ولكننا اقتصدنا الوقت والمال نتيجة لتنبأنا بحاجياتنا منها قبل الحرب •

كان الكفاح مريرا ولكننى نجحت فى ضم بعض الشركات الى مجموعتنا ، وتضخم العمل واتسع تدريجيا والشىء الذى كان يضايقنا هو المواصفات العنيفة التى كانت تضعها لجنة المواصفات فى الحكومة الاتحادية ، وكان صديقى الميجر سكوت عضوا فى ١٧ لجنة حكومية ممثلا للحكومة فيها وقد أخبرنى بانه فى سنة ١٩٢٩ كانت الحكومة تفكر لاول مرة منذ ١٥ سنة فى تعديل مستويات الزيوت والوقود ولا شك أن الحكومة لم تقدر مدى التطور فى الوقود والزيوت طول ١٥ سنة مما يدل على مدى تخلفها جدا عن الزمان ، ولم تكن تلك اللجنة تدرى شيئا عن المدى الواسع الذى تقدمت فيه الصناعة والعلوم كذلك ، وبعد دراسة مستفيضة للموقف قابلت عالما من علماء الطبيعة يعمل فى اللجنة القومية للمستويات اسمه ملفيل بيترز Melville F Peters وكان ذكيا لماحا وبعد مناقشات حول موضوع الدفاع الوطنى **أكد لى أن التصوير بالاشعة فوق الحمراء** Infrared photography **الذى كان شائع الاستعمال يمكنه تصوير القوات السائرة اذا كانت معداتها تستجيب لضوء الأشعة •**

وقد طبقنا ذلك تطبيقا عمليا ، فظهر جليا أن الطلاء المستعمل فى الخوذات والمعدات الامريكية يجب تغييره فورا حتى لا يتأثر بتلك الاشعة ولا يظهر فى الصور ، واستطاع المسئولون طلب الاعتمادات المناسبة للدكتور بيترز Peters **حتى يستمر فى ابحاثه السرية هذه •**

وفى يوم من الايام استدعانى بيترز Peters لمقابلته وكان تواقا لسرعة اللقاء وقال لى أنه قد قابل روسيا ذكر أمامه دون قصد أنه كوفىء من **حكومته بأربعين الف روبل لقيامه بعملية اسقاط طائرة على بعد كيلومترين،**

وقد اكتشف هذا العالم الروسى الطريقة التى يستطيع بها عمل ذلك ، وكان رأى بيترز Peters أن اسقاط الطائرة لا يمكن أن يكون بسبب اكتشاف أشعة الموت **ولكن من الممكن ارسال أشعة بالاسلكي لتعطيل أى موتور ،** فتقف الطائرة وتسقط ، وفى الحال انشىء معمل لدراسة هذه المشكلة بواسطة بيترز Peters وبمساعدة آلن ف· استين Allen V. Astin وبعد فترة من الدراسة قال أنه من الممكن استنباط هذه الاشعة وان الصعوبة الوحيدة هى معرفة الذبذبة الحقيقية لها وقد نصل اليها بمحض الصدفة

فى ذلك الوقت كانت **تتوقف المحركات فجأة عند اقلاع الطائرات ولاسيما فى المطارات التى كانت قريبة من الابراج الكهربائية مثل مطار واشنطون** وراجت أفكار تغرى توقفها الى ذلك السبب وقد اكتشفنا احتمالات عديدة عند مناقشة هذه المشكلة وتذكرت حينئذ حادثة طريفة حدثت قبل اعلان الهدنة فى فرنسا بيوم واحد ، حيث توقفت كل العربات فى قطاع من القطاعات المعينة ولم نستطع تحريكها اطلاقا ، **وقصصت كذلك قصة أخرى أكثر طرافة كان قد حكاها لى أحد ركاب الموتوسيكلات فى بافاريا بعد الحرب مباشرة ، فبينما كان بعض الركاب فى رحلتهم واذا بضابط المانى يوقفهم ويأمرهم بالنزول وأخبرهم بأنهم لن يستطيعوا تحريك موتوسيكلاتهم الا بعد ساعة من لحظة محدودة ستبدأ بعد بضع دقائق ، فلم يصدقوا فى البداية ولكنهم عجزوا عن ادارة محركاتهم ودراجاتهم البخارية عندما حاولوا ذلك ·** وبعد ساعة دارت المحركات واستطاعوا استئناف رحلتهم ·

وأخيرا بعد بحوث مضنية جاءنى Peters باجابة على ذلك · قال : **ليس من الضرورى اختراع هذا الجهاز فالاسهل هو استنباط وسيلة تجعل الطائرات لا تتأثر به ، كانت تدور فى ذهنه فكرة قفص فاراداى** Faraday Cage **الذى تمخض عن اختراع الدرع الذى يوجد الان فى كل طائرة** ويخدم غرضين أولهما : حماية معدات اللاسلكى من جهاز الاحتراق فى الطائرة ، وثانيهما : أنه يقى فى نفس الوقت المحرك من الاشعاعات اللاسلكية الصادرة من مصادر أخرى ، وكانت هذه خطوة جبارة الى الامام ·

وفى قرابة ذلك الوقت أرسل الدكتور بريجز Briggs مدير مكتب المستويات القومى يطلبنى لمقابلته ليطلب منى تنظيم المكتب حتى يحقق ما تعلقه عليه البلاد من آمال ولا يكون مكروها من الوزارات الاخرى والمصانع·

كانت اجابتى معدة وهى تغيير المواصفات وجعلها معقولة بحيث لا تكون صورة لقصر النظر والجهل وقد سقت له بعض الامثلة على قصر نظر أعضاء لجنة المواصفات كما طلبت منه توثيق العلاقة بين هذا المكتب والبيوت الصناعية فى أمريكا ، وجعل أعضاءه يتابعون التطور العلمى فى الصناعة وفنونها ، ولا يقفون جامدين ازاء هذا التطور السريع فى هذا المضمار ، وعليه كمدير لهذا المكتب أن يتصل بوزارات الحربية والبحرية وينسق العمل معها ويعطى آراءها وتعليقاتها الاحترام الواجب ، أما الخطوة التالية فتكون وضع المواصفات على أساس التجربة أو تجربة المعدات ، فوعد الدكتور بريجز Briggs بالسير على هذا المنوال ٠

وطبق هذا الاسلوب أول ما طبق على معدات الترقيم التى طلبتها وزارة البريد فقدمت الاجهزة لمكتب المشتريات حيث جربت تم بعد ذلك وضعت المواصفات وتم الشراء على أساس من التجربة والاختيار وعلى أساس انخفاض الاسعار ٠

لقد ذكرت الكثير عن أعمالى هنا لسببين الاول أنها لعبت دورا هاما فى الحرب العالمية الثانية الامر الذى جعلنى أشعر بأننى لا زلت فى الخدمة ، والثانى أننى كنت آمل أن تساعدنى على كسب الاموال الكافية لتمويل خطتى « خطة م » ٠

طلب الدكتور بريجز Briggs منى ايجاد فرص العمل لبعض العلماء الصغار من علماء اللاسلكى فى بعض المصانع التى كانت على صلة بى ، ولكن نظرا لفترة الانكماش الاقتصادى التى كانت تمر بها البلاد لم يتيسر لى ذلك ، فقال لى انهم سوف يجدون أعمالا فى انجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان وعند ذكر اليابان طلبت منه أن يمهلنى يومين ، وقابلت رئيس مكتب الملاحة الجوية وكلمته فى الموضوع فطلب منى اعداد اجتماع بين هؤلاء العلماء وخبراء الملاحة الجوية وقد تم ذلك بالفعل ٠

وقد نالوا اعجاب خبراء الملاحة الجوية ولكن ظهرت عقبة فى سبيل استخدامهم وهى أنهم من السلك المدنى ولا يمكن استخدامهم وانتهى الرأى الى تكليفى أنا بأعمال يقومون هم بها ، وكانت هذه الاعمال **نواة لمعهد التكنولوجيا بواشنطون الذى كان الغرض منه لا التعليم كما كان يظن الناس بل اجراء التجارب السرية على الاجهزة الالكترونية للملاحة الجوية ، وقمنا بتجاربنا فى معمل صغير بكلية بارك Park يحرسه جنود من البحرية فى ملابس مدنية ، وأمكننا اختراع جهاز الهبوط الاعمى دون حدوث حوادث٠**

كما أمكن الوصول الى اختراعات سرية أخرى ، وجمع جماعة معروفة بولائها واخلاصها للبلاد لممارسة هذا النوع من الخبرة فى معمل البحوث البحرية ، وأمكن اختراع مكتشف الاتجاه بالاسلكى وحاولنا الاحتفاظ بهذه الانباء سرا ولكن للاسف يوجد فى بلادنا من يضعون الكسب فوق الوطنية فذهبت جهودنا أدراج الرياح ، ومن المؤسف أننا وجدنا أن الطائرات التى أمكن اسقاطها بعد غاراتها على بيرل هاربر Pearl Harbour مجهزة بجهاز اكتشاف الاتجاه الامريكى الذى لولاه ما استطاع اليابانيون الوصول الى هونولولو · والقاء قنابلهم على أسطولنا ، ووجدت نفس الشىء بالنسبة لجهاز الهبوط الاعمى ، وبالطبع لا يمكن أن تكون هذه التصرفات تصرفات وطنية فهى لاتقل عن الخيانة فى شىء رغم أنها تتم فى ظل القانون ، وقد حذرنا كثيرا من تصدير مثل هذه الاجهزة الى اليابان ، **وأعتقد أن أهم واجبات رجال المخابرات هو معرفة التطور العلمى فى البلاد الاجنبية واسداء النصح لبلادهم فيما يتصل بما يجب تصديره الى تلك البلاد وما لا يجوز تصديره اطلاقاً ، اذ يجب عدم تصدير شىء الى بلاد قد تستعمله فى تعريض دفاعنا للخطر · يتطلب هذا عقولا مدربة فى الصناعة والفنون والمخابرات العسكرية ـ والاستراتيجية وفوق كل شىء عقولا مؤمنة ومخلصة لها لا يستهويها أى ثمن ·**

هناك كلمة أخيرة يجدر بنا ذكرها عن معهد التكنولوجيا بواشنطون ، فبعد عام ونصف من البحوث التجريبية للبحرية الامريكية توقفت البحوث واتجه العمل الى انتاج المعدات السرية للحكومة ، منها ، Stainless Steel High Tension Ignution Cable أى « سلك احتراق الصلب الذى لا يصدأ ويقاوم الضغط » ، وقد اخترعه الدكتور Peters ، واستعمل فى كل طائرة وقد بقى هذا السر غير معروف لاحد لمدة سبع سنوات ، وكذلك تم اختراع أشياء أخرى متصلة بصناعات المطاط منها أجزاء فى البوارج الحربية ، وأنبوبة كمامة الغاز ، وقد أضيفت اليها مواد خاصة جعلت تكاليفها تنخفض بنسبة ٥٠٪ برغم ان الصناعة قد تطورت بنسبة ٥٠٠٪

ونظرا للضغط على السفن توقف استيراد مادة « الميكا » Mica من جزيرة مدغشقر تلك المادة التى يصنع منها « شموع الشرارة » Spark Plugs فى الطائرات بشكل هدد بتوقف تلك الصناعة فى أيام الحرب لولا أنه تم اختراع مادة السيراميك Ceramic لتحل محلها فى تلك الصناعة ، وبسعر يقل كثيرا عن ثمن المادة الخام ، وبذلك أمكننا توفير ملايين الدولارات وأدينا خدمة ممتازة لجيشنا وبحريتنا وسلاحنا الجوى ·

وفى ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٤٢ وهو اليوم السابق لسفرى عبر البحار أخذنى زاخارياس Zacharias لنودع الاميرال كنج King ، وناقشنا الخطة المشتركة للمخابرات المذكورة ، فى مكان آخر ، وقال كنج : « أيها الكولونيل أننى أدرك عمق ما تشعر به من ألم بسبب بعدك عن الجيش العامل كل هذه السنوات ، ولكننى أود أن أخبرك أنه ما كان يتسنى لك اسداء تلك الخدمات العظيمة لبلادك لو كنت لا زلت فى خدمة الجيش ، ففى الواقع لقد أديت للوطن خدمات تجل عن الوصف بسبب وجودك فى السلك المدنى .

قلت : « سيدى أننى أطلب طلبا واحدا فى مقابل ذلك الان بعد أن أصبح المال ينساب بين يديك أتعشم بأنك سوف تبذل كل جهد ممكن حتى تنشىء وكالة دائمة للمخابرات تقينا من الهجوم المفاجىء مرة أخرى » .

وقد وعدنى أعظم من يفهم فى الاستراتيجية البحرية فى بلادنا ، بأن يبذل أقصى جهده ليحقق لى هذه الامنية .

١١

تجاهل الخطة م٠ مرة أخرى

كنت واحدا من الذين اختيروا لحضور فرقة من فرق اعداد ضباط المخابرات لفرق الجيش بواشنطون وكان ذلك فى اليوم السابق ليوم اعلان الهدنة التى تلت الحرب العالمية الاولى وقد شعرت بغير قليل من التيه والفخر فقد كنت واحدا من ضابطين برتبة الرائد (الميجور) اختيرا لحضور هذه البرامج ، اذ أن الباقين كانوا برتبة عقيد أو عميد ، كان أحد المتكلمين الكاتب المعروف روبرت هيوز Rupert Hughes فأخذ يتحدث عن شعوب كثيرة فى الارض ثم وصل به الحديث الى الايرلنديين وقص علينا ما عاناه هذا الشعب من محن وآلام تساوى ما عانيته أنا فى حياتى الخاصة ، وكان عزائى الوحيد فى خضم هذه المحن والالام هو احساس الايجابى بأننى أقاسى فى سبيل وطنى ٠

وفى الفترة ما بين١٩٢٦ ، ١٩٣٧ كنت على صلة دائمة ووثيقة بالكابتن زاخارياس Zacharias ولم أحس بأى تعاون من جانب الجيش بصفتى ضابط مخابرات وقنعت من كل ذلك بمساعدة زاخارياسZacharias كلما طلب منى المساعدة ، وبرزت فى تلك الايام مسألتان لهما طرافتهما وهما : « مسألة الهجرة » ــ « ورحلة آلوشيان » ٠

وفى يوم من الايام قال لى الجنرال واشيزو Washizu الملحق العسكرى اليابانى فى واشنطون أن توكوجاوا الامير Tokugawa سيصل الى الولايات المتحدة فى طريق عودته الى اليابان من مؤتمر الصليب الاحمر الدولى فى جنيف ، وكان زاخارياس Zacharias يعلم ذلك بالطبع وبالفعل وصل الامير ونقل الى الملحق العسكرى رغبة الامير فى أن أقوم بزيارته فى فندق « مايفلاور » Mayflower ، وتمت الزيارة وتحدثنا حديثا قصيرا ، سألنى عن العلاقة بين بلدى وبلده فيما يتعلق بموضوع الهجرة وفيما اذا كان الوقت مناسبا لبدء المفاوضات رسميا فى هذه المشكلة ، فنصحته بعدم ملاءمة الوقت لذلك ، وسقت له الاسباب وهى أن

حدة حكم الرئيس هوفر قد وصلت الى منتصفها ، وانه فقد السيطرة على الكونجرس الذي سوف يعارض أي شيء تتقدم به الحكومة سواء كان ذلك للصالح أو للطالح .

وحولنا الحديث الى مواضيع أخرى ثم عدت لمكتبي وبمجرد أن جلست دق جرس التليفون واذا بالمتكلم زاخارياس Zucharias وهنأني على توفيقي في محادثتي مع الامير ، والغريب أنه بعد قرابة الاسبوع نشرت جريدة نيشى نيشى Nichi Nichi التي تصدر في طوكيو موضوعا عن الهجرة اليابانية لامريكا وقدمت وجهات نظري كاملة .

والموضوع الثاني موضوع حملة آلوشيون وكانت أعظم ما قام به زاخارياس Zacharias في حياته كضابط مخابرات فقد طلبت الحكومة اليابانية عن طريق وزارة الخارجية اليابانية من وزارة الخارجية اعطاء حملة استكشاف علمية تصريحا بالدخول والخروج في مياه جزر آلوشيان لاغراض علمية بحتة ، فحولت وزارة الخارجية هذا الطلب لوزارة البحرية للفحص فحولته الى زاخارياس Zacharias وكان رده رائعا ، وحتى يمكن فهم ما كان يدور بذهنه يجدر بنا ذكر قصة قصيرة فقد سبق أن قام اسطولنا بجولة حول العالم ، وافقت عليها اليابان على مضض وبشروط منها أن يصحب كل قطعة بحرية من قطعنا في المياه الاقليمية اليابانية قطعتان يابانيتان وأن يكون فوق كل قطعة بحرية أمريكية ضابط ياباني ، وذلك كاجراء مضاد للتجسس ، فكان رد زاخارياس Zacharias هو المعاملة بالمثل ولكن الاسباب ظاهرها مختلف وجوهرها متفق ، وصيغ الرد في أسلوب مؤدب ودي والذي حدث هو أن هذه الحملة لم تتم على الاطلاق .

وفي سنة ١٩٣٦ بدأت وزاخارياس مناقشة « الخطة م » من جديد ، وقد بحثنا عنها في ملفات مخابرات البحرية فلم نجدها ، فخطرت لي فكرة هي أنها ربما تكون مرفقة بتقارير الملحق العسكري في ذلك الوقت، وكان هذا هو الذي حدث بالفعل وبالبحث عثرنا عليها ، وهكذا بعد خمس عشرة سنة من اعدادها بطلب ملح من الجيش والاسطول تخرج الى الحياة مرة أخرى ، وكانت خاصة بحصولنا على معلومات من اليابان في حالة نشوب الحرب وبانقاذ الارواح الامريكية ، ثم هي خطة أنفقت في اعدادها وقتا طويلا مضنيا والاكثر من هذا كلفتني التضحية بوظيفتي العسكرية ، وقد آلمني رغم كل هذه التضحيات أن أرى هذه الخطة مهملة هذا الاهمال ، وكم كانت مرارتي شديدة كلما فكرت في حلول الكارثة دون أن تكون

بلادى مستعدة لها من جانب المخابرات فقد كنت على يقين من أن هجوما مفاجئا سوف يشن علينا ٠

كنا نعلم ، عدم جدوى الاعتماد على ملحقينا العسكريين فى طوكيو مهما كانت درجة كفاءتهم ، فلم يكن مسموحا لهم بالتواجد فى الموانى والمراكز العسكرية ٠

شعرت بأن هناك فرصة ضعيفة فى تنفيذ خطتى ٠ فأعدنا دراسة الخطة من كل زواياها وبجميع تفاصيلها واتفقنا على أن يعرضها زاخارياس Zacharias على القبطان ولتر بوليستون Walter h. Puleston مدير المخابرات البحرية لانه كان أحد المدركين للاخطار المحدقة ببلادنا وأنه سوف ينظر اليها نظرة جد واهتمام ٠

أمضينا الاسابيع الطويلة فى التفكير والتدبير وأخيرا توصلنا الى مايمكن أن نسميه بجهاز كامل ، ولكن كان لابد من القيام بأمرين ، الاول : اعداد المال اللازم للتنفيذ ، والثانى العودة الى اليابان لاعادة تقدير الموقف ومراجعة واعادة النظر فى الخطة فى ضوء التغييرات الدولية من ناحية المحالفات اليابانية السياسية التى تمت بعد اعدادى الاول للخطة فى سنة ١٩٢١ ٠

كان القبطان بوليستون Puleston متحمسا للغاية وعرض على دفع مصاريف السفر الى اليابان من اعتمادات مخابرات الاسطول ولكن صممت على عدم استعمال سنت واحد من الاموال الحكومية لان ذلك ربما يعرض كل الخطة للخطر ٠ وفجأة واتانا الحظ فقد نجح جهاز الهبوط الاعمى بالطائرات وأصبح من الممكن تسجيل هذا الاختراع ، والحصول على مال وفير يمكننى من السير قدما فى مشروعى ٠

وتمت تجربة الهبوط الاعمى بنجاح ومنحت شهادة بذلك بصفتى أحد المساهمين فى هذا الاختراع لخدمة الطيران البخارى وكانت التجربة أول تجربة علنية بعد ٢٥٠٠ تجربة أخرى ناجحة غير علنية ٠ وتمت فى حضور الاميرال كنج ٠

عند ما استعد Zacharias لعرض الخطة « م » على القبطان بوليستون Puleston كان يراوده الاعتقاد بأنه لو عرف الكابتن ما كنت أقوم به من أعمال علمية لحساب الاميرال كنج فانه لن تزيد ثقته بى فحسب بل

وثقته في الاختراعات الخاصة للمواصلات التي قام بصنعها العلماء الذين يتعاونون معى ومنها جهاز ارساللاسلكى لم يكن معروفا حتى ذلك الوقت، ولا يمكن لاى وسيلة معروفة أن تكتشفه ، وعلى ذلك دعى زاخارياس Zacharias الاميرال كنج والقبطان بوليستون وأنا لتناول طعام الغذاء فى نادى الجيش والبحريه ، على أمل أن يتكلم أحدهما ولكن كان كل من الجهازين لازال يعتبر من الاسرار ·

افترقنا بعد أن تناولنا طعام الغذاء ولم يعرف الاميرال كنج شيئا عن عملى من أجل مخابرات الاسطول الا بعد مرور سنوات عديدة ·

وبعد هذا الاختراع سالت الاموال بين يدى وشعرت بأننى أستطيع السير قدما فى تنفيذ « الخطة م » فسافرت الى اليابان فى فبراير سنة ١٩٣٧ على أمل أن أستطيع تنفيذ خطتى قبل نشوب الحرب ·

واتفقت مع القبطان بوليستون Puleston ، وزاخارياس Zacharias على أن أتفادى الاتصال بالسفارة ولا سيما بالملحق العسكرى والبحرى ، فأخذت سفينة يابانية لسببين أولهما التدريب من جديد على اللغة اليابانية وثانيهما رغبتى فى أن يكون وصولى لليابان معروفا مقدما · وأكثر من ذلك ناقشت موضوع الرحلة مع زميلى الكولونيل ثيودور جولسون الذى كان اذ ذاك فى هيئة أركان الحرب ومع موريارتى Moriarty وقد كتب كل منهما خطابا لى يقولون فيها أنهما علما بغيتى فى العودة لليابان للعمل من أجل قضية السلام ، وقد أعدتالخطابات وعولجت بوسائل مختلفة حتى تظهر وكأنها قديمة ثم وزعتها فى حقائب ثيابى ، وقد تيقنت قبيل وصول السفينة الى اليابان أن حقائبى قد فتحت وان الرسائل قد قرأت بل أن صورا بالفوتوستات قد التقطت لها ·

وعند وصولى يوكوهاما سرنى أن حيانى الجنرال متسوماتو Matsumato الذى حجز لى حجرة فى « الجراند أوتيل » ، وفى اليوم التالى ذهبت الى طوكيو وقابلنى أصدقائى القدامى وظهر لى أن اتصالاتى القديمة قد أثمرت، وأن علاقاتى لا تزال طيبة باصدقائى وطبقا للخطة المتفق عليها لم أتصل بالسفارة ولم أقم بأية زيارة للملحقين العسكرى والبحرى ولكننى قابلت أحدهما بالصدفة فى ردهة الفندق فدهش لوجودى ، وسألنى السبب فقلت : « لاسباب تجارية » ولقد كان ايجاد صلات تجارية من أى نوع كان باليابان تكون جزءا هاما من خطتى لان من شأن ذلك أن يهيىء لى الاسباب

المشروعة للتردد على تلك البلاد • ، وقابلت صديقى روبرت فولكنر Robert Faulkner مدير شركة الصلب فى اليابان وناقشت معه امكانية تكوين منظمة تسمى « اتحاد التجارة بين القارات » ومثل هذه المشروعات يمكن أن تكون تكأة لى أتعلل بها لتكرار زياراتى لليابان •

والامر الوحيد الذى كان يتلهف عليه اليابانيون هو معرفة أية معلومات يمكنهم الحصول عليها عن الطيران ، وكنت دائما أقول اننى لا أعرف شيئا عنه ولو قدر لى معرفة شىء فلن أتردد فى نقله اليهم • وفى نفس الوقت كنت أسعى لمعرفة المركز الصناعى والتجارى والاتجاهات الدوليه الحديثة واقتضى ذلك منى ثلاثة شهور لتجهيز كل شىء لتنفيذ خطتى « الخطة م » وأخيرا قررت العودة عن طريق هاواى وبعد رحلة ممتعة وصلت هونولولو حيث بدأت مأساة الاخطاء التى حطمت محاولتى الثانية لتنفيذ «الخطة م» •

أولا : تعسف رجال الجمارك معى وفتشوا أمتعتى وحقائبى تفتيشا دقيقا دقيقا الامر الذى جعلنى أعتقد أننى من المشتبه فيهم ولم يسمحوا لى بالخروج الا بعد احدىعشرة ساعة ، وفى اليوم التالى زارنى مفتش الجمارك وأعاد تفتيش كل شىء مرة أخرى ، وبعد ذلك طلبت لمقابلة الشخص المسئول عن كل ذلك وكشفت النقاب عن شخصيته وعلمت أنه أحد رجال المخابرات فى هاواى ويعمل تحت امرة الكولونيل سيدنى بنجهام الذى كنت أعرفه لسنوات طوال وفى المساء قابلت بنجهام وطلبت منه تفسيرا لهذا العمل فقال انه تلقى تلغرافا من طوكيو قيل له فيه أنه ربما تكون معى معلومات مفيدة عن الشرق الاقصى أثناء عودتى الى بلادى وعند ما عاد العميل فى اليوم التالى ووجه الى أسئلة عدة أجبت عنها اجابات لا تشفى علته ، وبعد ثلاثة أسابيع عدت الى أمريكا وعلمت بنقل زاخارياس Zacharias والكابتن بوليستون Puleston من مخابرات البحرية وتعيين بديل لكل منهما ، وكان ذلك سببا من أسباب الضعف فى صفوف مخابرات كل من الجيش والاسطول حتى بدأت الحرب •

وقد أدهشنى أن أجد ماكولم Mc Collum لا يعرف شيئا عن الخطة « م » ، أو عن مهمتى فى اليابان فضلا عن ذلك ، فيبدو انه كان قد تلقى تقريرا مغرضا مشوها عنى من هونولولو ، وقد مر هذا التقرير على زاخارياس Zacharisa الذى كان فى ذلك الوقت ضابطا للمخابرات فى سان دياجو San Diego فبادر بكتابة خطاب لوزارة الحرب يشرح فيه الموقف ولكن دون جدوى ، وقد حاول بعض أصدقائى رد الاتهامات عنى ، ولكن ذهبت جهودهم أدراج الرياح •

وقد حدث عقب عودتى بقليل أن انتهت فترة خدمتى للاحتياطى وكان على أن أقدم نفسى لاعادة الكشف الطبى حتى يمكن مدها لفترة أخرى ، ولاسباب شخصية بحتة تأخرت قليلا عن الكشف الطبى فما كان من المسئولين الا أن أرسلوا لى مذكرة بانهاء خدمتى نهائيا من مخابرات الجيش ولم تجدى نفعا أى التماسات أو اتصالات .

يعد اعلان الحرب العالمية الثانية عند ما كنت رئيسا لفرع المخابرات فى سلاح الاشارة وقع نظرى بينما كنت أفحص الملفات على ملف خاص لى ، ولم أستطع مقاومة الرغبة التى تملكتنى فى الاطلاع على كل شىء فيه وكان أول ما فيه تقرير خاطىء من عميل فى هونولولو ، وقد عرفت من التقرير أنهم كانوا يتصنتون على محادثاتى التليفونية ويفضون خطاباتى واننى كنت موضع الشك وتحت رقابة كاملة فطلبت فى الحال التحقيق فى الامر على يد محكمة تحرى واستقصاء ، ولكن قيل لى أنه من المستحيل تحقيق هذه الرغبة الا بعد الحرب ، فضلا عن أن المسئولين لا يقيمون وزنا لمثل هذه الاتهامات لمعرفة كبار الضباط بى شخصيا . وثقتهم بقدرتى وكفاءتى والا لما أسندوا لى ثانية هذا المنصب الجديد ، وهو منصب مدير المخابرات لسلاح الاشارة .

وظهر أمر آخر وهو عدم وجود الخطابات العديدة التى كتبها الكابتن زاخارياس Zacharias عنى وفى أحدها يقول أن مخابرات البحرية استفادت من خبرتى الطويلة فائدة ضخمة فى أمور حيوية تتصل بالدفاع الوطنى ، كما ذكر فى خطابه موضوع انهاء خدمتى بحجة عدم تقدمى للكشف الطبى فى الوقت المناسب ، وعبر عن خشيته فى أن يكون السبب الحقيقى هو ذلك التقرير الذى أرسل من هونولولو ، وطالب بتصحيح الفكرة التى علقت فى أذهان المخابرات المركزية عنى واعطاء كل ذى حق حقه ، والاطلاع على ملفات مخابرات البحرية لمعرفة الاسرار الحقيقية التى تختفى وراء نشاطى المشرف .

ومع ذلك ، فلم يصحح الخطأ ، الا بعد أن أصبح زاخارياس Zacharias المدير المساعد لمخابرات البحرية سنة ١٩٤١ وقد تم رد اعتبارى كفاية ، وسجل هذا فى ملف خدمتى .

* * *

كان هناك عامل آخر من العوامل التى تعمل ضدى وبدأ هذا بخطاب الى سنة ١٩٣٦ من **ادى ويتسل** Eddie Witsell **ضـابط المخـابرات بمنطقة القتال (قناة بنما)** قال فيه ان لليابانيين جهاز منظم للتجسس يهدفون به تخريب القتال يوم أو قبل « يوم الصفر » M. Day ، وقد طالب أكثر من مرة بتكوين جهاز من ذلك النوع دون جدوى ، وتركيب جهاز تصنتعلى تليفون القنصل العام اليابانى ليسجل محادثاته التليفونية وما يدور فى حجرته كذلك من أحاديث ، فطلبت هذا الجهاز تحقيقا لرغبة صديقى فى بنما ، ولكن بعد مداولات طويلة رفض الطلب ، ووضعت فى قائمة المشكوك فيهم · ووضعت هذه الحادثة فى ملف خدمتى ، وفى مقابلة بين ماككلوم Mc Collum والعملاء فى مخابرات الجيش المضادة ، قال أنه يأنف أن يقول بأننى غير موال لبلادى ، ومع ذلك فلا يوجد فى ملف خدمتى ما يثبت بطريقة قاطعة ما يناقض ذلك ويبـدو أن السرية المطلقة التى كانت طابع نشـاطى وعملى طمست مظـاهر ولائى ، وأعطت صورة مهزوزة غامضة عن خدمتى فى المخابرات ، ولو كلف المتشـككون أنفسهم مشقة التحدث مع زاخـارياس Zacharias أو الضبـاط الآخرينالذين كانوا يعرفونطبيعة عملى لاستقامت الامور وعرفوا بالضبط أى نوع من الاشخاص كنت

وقد وضعت الحواجز بينى وبين الادارة العليا بحيث أصبحت عاجزا عن متابعة « الخطة م » أو تقديم أية معلومات أخرى تعن لى وذلك بسبب رفضى الافصاح عن أسرارى لعميل المخابرات فى هونولولو ·

وأخيرا اضطررت للاعـتراف بالحقيقـة المرة وهى أن جهودى فى رسم الخطط وآمالى التى علقتها عليها ابان عشرين عام من المثابرة والكفاح ذهبت كلها هباء منثورا · ، وهكذا فشلت « الخطة م » بسبب الفشل فى الوصول الى مؤيدين لها ·

للمرة الثانية والاخيرة ، وضاعت بذلك فرصتنا فى ايجاد نظام للتحذير ضد الهجوم المفاجىء ، وضاع معها أملنـا فى ايجـاد اتصـال « مع ، و » من اليابان أثناء الحرب ، وأعتقد أن فشلنا فى منح الفرصة لتنفيذ الخطـة « م » يعتبر نقطة سوداء فى تاريخنا العسكرى ·

وأصبح كذلك من المستحيل أن أقدم للمسئولين المعلومات التى حصلت عليها من الجنرال هيسو واتارى Hisao Watari مدير المخابرات فى الجيش اليابانى فى ذلك الوقت عن الهجوم المرتقب على الصين ، والمعلومات

التى سمعتها من الامير توكوجاوا Tokugawa فى مـارس ومفادها أنه لكي يكبح جماح العسكريين فسوف يكون رئيس الوزراء الثـانى هو الامير كونايى Konoye ، وهو رجل على حد قوله يلقى موافقة العسكريين الا أنه فى ذات الوقت من المؤمنين بأن مصالح اليابان تتطلب ايجاد أسس من الود والصداقة بينها وبين الولايات المتحدة الامريكية ، ولم يعين الامير كونوياى Konoye رئيسا للوزراء حتى يونيو سنة ١٩٣٧ ، ولكن بالرغم من أنه كان يحاور ويداور العسكريين ، فقـد كان يضع الخـطط لاحباط ما كانوا يسعون اليه ، الا أن ذلك كله لم يجدى فتيلا ، ولو قدر ونقلت هذه المعلومات بشكل أمين واضح لوزارة الخارجية الامريكية وأمكن استغلالها والاستفادة منها بواسطة رجـال من أمثـال جوزيف بالانتـين Joseph D. Ballantine الذى يعرف سيكلوجية اليابانيين معرفة تامة لنالت التأييد والاحترام الجديرة به • فالاستغلال الدبلوماسى لمثـل تلك المعلومات ربما كان ينجح فى منع الحرب مع اليابان •

لقد وصلت الى نهاية الطريق كما أعتقد وانتهت خدمتى العسكرية نهائيا ولم أعد حتى ولو مجرد ضابط من ضبـاط الاحتيـاط وانقطعت صلتى بالمخابرات انقطاعا نهائيا الى الابد •

الكتاب الرابع

١٢

نشوب الحــرب

كان للصدمة العنيفة التي جاءت على أثر ضرب بيرل هاربر أثرها العميق في جميع الاوساط في الولايات المتحدة ، فعم السخط كل مكان وشعرت شخصيا بدوار شديد وسارعت بالاتصال بأحد أصدقائي بالبحرية تليفونيا وكان مسئولا عن المخابرات الداخلية ، وعرضت عليه عملي في أي فرع من فروع البحرية ، فاقترح على عرض الموضوع على المستر ماك كولوم Mc Collum فاتصلت به ولكنه أعرب عن عدم استعداده لقبول عرضي بسبب عدم موافقة ادارة المخابرات ، فارسلت رسالة تلغرافية لوزير الحربية عارضا عليه خدماتي بأجر أو بدون أجر وفي أي عمل كان ، وبينت له مؤهلاتي وتمكني من اللغة اليابانية ، ولكنني لم أتلقى اجابة مباشرة على خطابي ولكني بعد ذلك تلقيت خطابا من الكولونيل هنري كنج Henry L. King من سلاح الاشارة يقول فيه أنه يبحث عن ضابط مخابرات يجيد اللغة اليابانية ليكون رئيسا لقسم خاص في دور التكوين وطلبمني أن أكون ذلك الضابط ، فقبلت في الحال · في اليوم التالي ذهبت الى مستشفى وولتر ريد Walter Reed للكشف الطبي ، ونجحت وأصبحت ضابطا عاملا مرة أخرى وألقى على عاتقي مسئولية ادارة قسم سمي للتمويه « فرع الاحصاءات والمراجع » بسلاح الاشارة ثم أطلق عليه بعد ذلك قسم المخابرات العسكرية ·

أنشأت علاقات مع الادارة العامة كخطوة أولىوبرزت المضايقات الاولىمن النقص المشين في معلوماتنا عنتكوين وحدات الاشارة اليابانية ، ومعداتها ولم أرى سببا كان يمنع مخابراتنا المركزية من معرفة شيئا عنها من الصينيين أو البريطانيين أو الاستراليين وكذلك معدات الالمان والايطاليين، وحتى الملابس الرسمية للدول المختلفة التي كانت تحارب لم نكن نعرف عنها شيئا ، فأنشأت في الحال قسما من الفنانين والرسامين لاعداد كتيب يحتوي على رسوم لملابس الجنود وشاراتهم الخاصة ، وفي سنة ١٩٤٢ تم طبع الكتاب وجاء آية في الاتقان والدقة ، كانت المهمة الثانية هي استنباط

وسيلة للحصول على نوع وطاقة معدات سلاح الاشارة ، فاقترحت اقتراحا عمليا وهو تكوين فرقة من الجنود تكون مهمتها التسلل والحصول على هذه المعدات وفحصها ، فطلب مني وضع خطة لتنفيذ ذلك وفعلا تم ذلك وشكلت ما عرف بعد ذلك « خدمة المخابرات الخاصة بفحص مهمات العدو » Enemy Equipment Identification Service ، وبالاضافة الى واجباتي الاخرى كلفت بتنظيم وتدريب الضباط التابعين لسلاح الاشارة الذين سيرسلون الى الميدان الاوروبي للحصول على معدات سلاح الاشارة وجمع المعلومات عنها ، كما كونت كذلك أول متحف للمعدات المستولى عليها من سلاح الاشارة بجيوش الاعداء ، وكذلك أصبحت مسئولا عن مكتبة سلاح الاشارة وجمعنا لها هبات مختلفة من كتب وخلافه وأصبحت بعد فترة قصيرة أعظم مكتبة للمراجع الفنية ٠

وحدث مرة أن أشار الميجر هوبرج الى أنه لا يوجد في جيش الولايات المتحدة سوى ١٦ جندى اشارة في كل ألف بينما ترتفع هذه النسبة في الجيش الالماني الى ١٣٢ وفي اليابان الى ١٣٦ ، ومن المعروف أن الالمان خسروا الحرب العالمية الاولى بسبب فشلهم في المواصلات لوحدات الاشارة في جبهة المارن ، ولو قدر وعرف الالمان عن تقهقر الفرنسيين قبل بدئه بساعتين لقطعوا عليهم الطريق ولتغيرت نتيجة الحرب ، ذكرت كل ذلك للجنرال أولمستيد Almstead ، فطلب مني اعداد دراسة عن نسبة سلاح الاشارة في كل جيش سواء كان جيشا من جيوش الاعداء أو جيشا من جيوش الحلفاء حتى تعدل النسبة في جيش الولايات المتحدة تعديلا مناسبا يزيد من فعاليتها ٠

لم يعرف تاريخ المواصلات سجلا أنصع وأعظم من سجل الميجر جنرال سبنسر أركين Spencer B. Arken الذى أصبح مديرا لسلاح الاشارة بالجيش في سنة ١٩٤٨ ، وفي عهده صار من الممكن لجميع وحدات الجيش الاتصال ببعضها البعض في يسر وسهولة ٠

لقد قيل قبل سنة ١٩٤٢ ، أن بعض الصور قد نشرت من سلاح الاشارة متضمنة بعض المعلومات المفيدة للاعداء ، ومن بينها صور لعدد من العربات الحديثة وفي خلف الصورة بدت منشآت الرادار الحديثة السرية في فورت مانموث Fort Monmouth **فأبلغنا الامر الى الكولونيل جروفورد** Colonel Growford **فأمر بتشكيل لجنة للأمن الفوتوغرافي وتعييني رئيسا لها ، وكان أعضاؤها من الفنيين في كل فروع سلاح**

الاشارة ، فطلبنا جهاز عرض وتكبير ، وعرضنا الصور مكبرة الى أقصى حد ممكن فظهرت أمور مدهشة فى الصور بعد عرضها مكبرة على الشاشه لقد تبين وضوح بعض المعدات التى تعتبر سرية للغاية .

وعلى سبيل المثال ، كانت هناك صورة لمنطقة القنال (قنال بنما) فيها صورة لوحدة من وحدات سلاح الاشارة وهى توارى سلك تلغرافى فى باطن الارض ، ولو قدر ووقعت هذه الصورة فى أيدى الاعداء لاصبح من السهل جدا تحديد النقطة التى خبئت فيها الاسلاك وتخريبها بواسطة العملاء وتعطيل كل وسائل المواصلات السلكية فى منطقة القنال قاطبة .

رقى الكولونيل جروفورد Growford فى ذلك رئيسا للجنة المواصلات بالمخابرات ، وعينت عضوا بها ، وحوالى ذلك الوقت كذلك عاد زاخارياس Zacharias الى الولايات المتحدة كمساعد لمدير المخابرات البحرية ، واعاد مناقشة موضوعى مع نائب مدير المخابرات ، فاطلعت على تقريرى رغم أنه كان على أول ورقة فيه « **يجب أن لا يطلع هذا الضابط على هذا الملف تحت أى ظرف من الظروف أو لأى سبب من الاسباب** » وآلمنى أننى لم أتهم بتهمة لم أكن أدرى عنها شيئا على الاطلاق فحسب بل لم تعطى له فرصة الدفاع عن نفسى .

فقدمت بيانا كان من شأنه أن برئت ساحتى ، وأزيل من ملفى التقرير الذى قدم ضدى .

وبعد ذلك طلب منى براتون Bratton مقابلة مدير المخابرات ، فذهبت وعند مثولى بين يديه سألنى عن قدرتى على التحدث وقراءة اللغة اليابانية فقلت انها فى حاجة الى بعض التدريب فسألنى عن اللغة الالمانية والفرنسية فقلت أننى لا أعرفهما ، كان ذلك فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٢ وفى ٢١ سبتمبر طلب منى مرة أخرى الذهاب لمكتب المدير فذهبت فبادرنى الجنرال سترونج Strong قائلا « أهنئك بالسفر الى الخارج سوف تكون عضوا فى هيئة أركان حرب الجنرال ماك آرثر ، وبصفتك هذه ستكون كذلك عضوا فى هيئة أركان حرب الحلفاء المشتركة كما ستكون رئيسا لقسم اللغات بمركز القيادة العامة ، وحالما تصل عليك تقدير الموقف وافادتى عن عدد من تحتاجونهم من الامريكيين المنحدرين من أبوين من المهاجرين اليابانيين Nisei ، على أن تبعث الى بتقاريرك كل ستة أشهر .

تركت واشنطون **بعد أن حضرت فى المخابرات البحرية برنامجا للتدريب على استجواب الاسرى** • وقبل سفرى قابلت الجنرال كينج King وتكلمنا عن كيفية اعداد لجنة مختلطة للمخابرات وطلبت منه أن يرسل الكومادور البريشت Commander Albrecht الخبير فى استجواب أسرى الحرب سام بارتلت Sam Bartlett أعظم أمريكى يجيد اللغة اليابانية ، وعرفنا بأن بارتلت Bartlett كان فى ذلك الوقت فى قسم أسرى الحرب كمدنى الا أن طلبه للالتحاق بالسلك العسكرى كان فى سبيل التنفيذ •

فطالب الاميرال بالاسراع فى اتمام الاجراءات وبعد ذلك سافر البرشت Albrecht الى استراليا ووجه بارتلت Sam Bartlett ليسافر الى الباسفيك على أن يقدم نفسه الى « الكولونيل ماشبير •

تمت كل الاجراءات وسافرت جوا الى سان فرنسسكو وفى نفس الليلة الى استراليا وفى نفس الوقت كانت معى خطابات توصية من كل من الاميرال كنج King وزاخارياس Zacharias الى ضباط الاتصال بالبحرية مطالبا اياهم بالتعاون معى فى كل شىء تعاونا مطلقا شاملا ، وفى هذه الخطابات قال الاميرال كنج King « ان الكولونيل ماشبير Mashbir يحظى بالثقة التامة لمخابرات البحرية ، وفى الوقت المحدد وصلت الى مدينة برسبين ونزلت فى فندق لينون Lenon الذى كان محجوزا ليكون مقرا لمركز القيادة العامة ، لم أستطع كتابة تقريرى تلك الليلة نظرا لتأخر الوقت فخرجت أسير فى الظلام وكان الاظلام هو أول اظلام حقيقى أراه بعد هونولولو •

كانت الشوارع مليئة بالمارة والكل يتكلمون عن الحرب وأخيرا انتابنى التعب من السير فى الظلام فعدت الى الفندق كانت ردهة الفندق خالية الا من ضابط من ضباط مدفعية السواحل قدم نفسه لى فسألنى عن الكولونيل كارل بلدوين Karl F. Baldwin الذى كان أول من اختارنى لاول مهمة لى فى اليابان سنة ١٩٢٠ فقلت « اننى لم أراه منذ زمن بعيد واعتقد أنه مات بعد مرض طويل ، فضحك وقال ان الرجل موجود فى الطابق الأعلى فى الحجرة رقم ٢١ ، كانت الساعة قد أشرفت على العاشرة فصعدت الى الطابق الاعلى وناديت على الكولونيل وكم كان سروره عظيما عند ما سمع صوتى ، وعرفت منه أنه كان ملحقا عسكريا فى استراليا وانه كان فى مهمة مؤقتة فى القيادة العامة حتى يحل محله ضابط

آخر من الولايات المتحدة ، ومن العجيب أن هذه الوظيفة هي نفس الوظيفة التي حضرت من أجلها . وأعجب من ذلك أنه قال لى أننى الشخص المناسب ليحل محله ، ولكن نظرا لسرية المهمة لم يقل واحد منا شيئا للآخر . ومع ذلك فقد عرض على أخذى الى القيادة العامة ليرينى أين أذهب ، وفى اليوم التالى قدمنى الى الجنرال تشارلى ويلوبى Charles Willoughby الذى حولنى للمدير فصحبنى الكولونيل بلدوين Baldwin الى مكتب الميجر جنرال ريتشارد سترلاند Richard K. Sutherland .

وأخيرا حللت محل الكولونيل بلدوين Baldwin كرئيس لمكتب « ATIS » أى « **قسم الترجمة للحلفاء فى مركز القيادة العامة** » . وخرجنا فى عربة الى مكان يبعد على برسبين بثمانى أميال حيث كانت هذه الوحدة ، ولاحظت أن المكان مناسب تماما لهدوئه وبعده عن الضوضاء ، وهناك قابلت اللغوى العظيم الميجر دافيد سويفت David Swift ابن المبشر الدكتور سويفت Swift ، الذى كان فى اليابان من مدة طويلة ، وكان فى المكتب ثمانية من الامريكيين المنحدرين من أبوين يابانيين وكذلك ثلاثة من الكتاب العسكريين وكان الاستراليون قد قدموا عددا من الضباط المتخصصين فى اللغات كما قدموا قوات الحراسة الضرورية ووحدة لصيانة السيارات ، **وفى الواقع كان هناك أربع وحدات منفصلة وحدة القيادة العامة برئاسة الميجر سويفت** Swift **ووحدة القوات الارضية المتحالفة برئاسة الكابتن بينامين ميردث** Benyamin C. J. Meredith **ووحدة القوات البحرية المتحالفة برئاسة مدنى استرالى اسمه جون ويلسون** John M. Wilson **ووحدة القوات الجوية المتحالفة برئاسة قائد الجناح جوردون آلمان** Grdon R. Allman ، ثم أنه لم يتسنى أسر سوى جندى واحد حتى ذلك الوقت ، وكانت حالته يرثى لها لدرجة أنه لم يمكن استجوابه ، كما لم تصل المكتب أية وثائق ، **فضلا عن أن التنافس بين الاسلحة المختلفة هو أسوأ ما فى الموضوع ، فقد كانت كل وحدة من الوحدات الاربع تحاول أن تكون الاولى فى الحصول على المعلومات .**

وعقب وصولى بيوم واحد ، وصلت ضمامة كبيرة مليئة بالوثائق ، وغالبيتها مغطاة بالدماء ، وكانت تشبه تلك الوثائق التى وقعت فى أيدينا فى الوقت الذى كان اليابانيون يطاردوننا فيه قبل أن يتحول المد لصالحنا .

وقرأ جون سكيلتون Jahn Shelton الوثائق علينا ، وكان يتقن اليابانية كأحد أبنائها لانه انحدر من أبوين من روسيا البيضاء هاجرا فى شبابهما الى اليابان وعلموه فى مدارس يابانية ، كانت المعلومات المكتوبة

في الوثائق خاصة بفرقة من المدفعية الجبلية ورأينا أن تبعث لرياسة القوات بسرعة فذهبت بها ولكنني وجدت أن المعلومات كانت قد وصلت بالتليفون ·

وقد أقنعني هذا بضرورة تنسيق العمل بين كل الوحدات وطلبت رؤساء كل الوحدات لوضع خطة العمل والتعاون معا · حتى يمكن أن تعمل الوحدات كلها في انسجام تام كفريق واحد ، فوافق الجميع على ذلك وتلاشت الحزازات **وأصبحت القاعدة تكليف الرجل المناسب بالعمل الذى يناسبه ، بلا اعتبار للجنسية أو الرتبة أو السلاح ، وأن تنقل المعلومات في وقت واحد الى جميع الاسلحة** ، وكان لزاما علينا أن نضع أسسا كثيرة للعمل كانت تتغير كلما تطلب الامة ذلك أو تحكمت الظروف ، ولكن لم يحدث أن تحولنا اطلاقا عن القواعد الاساسية ، وكانت هذه الروح التعاونية التى كنا نتحلى بها هى سبب نجاحنا ·

* * *

وتضخمت ادارتنا وأصبح أفرادها ٧٦٠ عضوا سنة ١٩٤٤ ، وأصبح **لادارة الترجمة فروع حتى في الجبهات الامامية ونجحنا نجاحا أثنى عليه الحلفاء جميعهم ، ولكن يجب أن أعترف بأن حكومتنا كانت قصيرة النظر اذا قورنت بالحكومة الاسترالية أو البريطانية لانهما كانتا تعرفان قيمة مثل هذه المؤسسات الحربية بخلاف حكومتنا التى لم تكن تنظر نظرة تقدير الى هؤلاء الخبراء ، وكانت تضعهم تحت امرة ضباط صغار لا يعرفون الا أقل القليل عن اللغات ·**

بمرور الزمن أصبحت غالبية رجال الوحدة من الامريكيين ، وقد ساعد ذلك على زيادة التفاهم والتعاون والالفة بيننا ، وكان هذا الخليط يلبس الزى الاسترالى العسكرى وقبل الحرب كان أغلبهم من رجال الاعمال في طوكيو وبوكوهاما وأوزاكا ، كما كان البعض الآخر في السلك القنصلى والدبلوماسى ، ومع ذلك لم يصل أحد منهم الى أعلى من رتبة الرقيب مع أن ٨٠ ٪ منهم كانوا من خريجى الجامعات وكانوا متزوجين ·

مع تحول الموقف ضد اليابان بدأت الفوضى تسود صفوفهم وتفككت خطوطهم ابتدأوا يتقهقرون في كل مكان ومع تقهقرهم زادت الوثائق العسكرية التى وقعت في أيدينا فطلبت عددا آخر من اللغويين من الولايات

المتحدة ولكن غالبا ما كانت تقابل طلباتى بالاهمال والتجاهل ، فضلا عن أن الذين كانوا يجيئون من الولايات المتحدة للعمل كانت تنقصهم الخبرة والمعرفة ولا يصلح أغلبهم للمهمة التى استدعوا من أجلها ، فأقمت هيئة لاختبار الوافدين ، وتحديد مستوياتهم وتقدير درجاتهم طبقا لقدراتهم فى اللغة اليابانية واللغة الانجليزية ، والمصطلحات العسكرية ، وأمكن تصنيف المترجمين ومعرفة عدد ممتاز ممن يجيدون اليابانية والانجليزية، وعند ما زادت الوثائق أصبح من الضرورى زيادة عدد المترجمين ، وبنهاية الحرب وصل عدد الذين استجوبناهم الى ١٤٠٠٠ أسير ، وعدد الوثائق التى تمت ترجمتها الى مليونى وثيقة ، ويظهر كل ذلك فىالتقرير الشهرى للجنرال ويلوبى Willoughby عن نشاط ادارة الترجمة الامريكية ATIS ·

* * *

والواقع أن عدد الاسرى كان قليلا جدا فى البداية بسبب المرارة التى يحسها كل من الامريكيين والاستراليين نتيجة لوحشية ولقسوة اليابانيين، فلم يكن أحد منهم يهمه ايقاع أسير من اليابانيين ، ومع مرور الايام ارتفع عدد الاسرى وبدأت الاحوال تتحول الى جانبنا وتظهر تباشير النصر ، والغريب فى هذه الحرب الكبرى أن عدد الاسرى كان قليلا جدا بالنسبة لعدد القتلى ، واستمرت هذه النسبة على ما كانت عليه حتى نهاية حملة الفلبين ، ويعزى ذلك الى شعور اليابانيين بالعار من الوقوع فى الاسر فالموت أفضل لهم منه ، لان الاسر قد يكون سببا فى دمار أهلهم وأقاربهم ، ولذلك كان يحدث عند وقوع أحدهم فى الاسر أن يغير اسمه ويعطى معلومات مزيفة عن نفسه وشخصه وبعكس هذا على ما كنا نكتبه من تقارير ، ومع ذلك فقد استطعنا أن نوقع وحدات بأكملها فى الاسر ونضع أيدينا على ما معها من وثائق رسمية عن أسماء رجالها واليوميات العسكرية ، التى كانت تحتفظ بها كل وحدة ، ومن هذه الوثائق بدأنا ترسم صورة واضحة عن القوات اليابانية وعند ما وصلنا مانيلا كانت معلوماتنا عن الجيش اليابانى أكثر من معلومات أى ضابط يابانى عنه ، وينطبق نفس القول على سلاحهم الجوى وسلاحهم البحرى ·

ولقد قابلنا بعض الصعاب والمتاعب عند استجواب الاسرى لانهم كانوا يلتزمون الصمت بالشهور ، فالحرب عندهم معناها الموت ومن يقبل الحرب يقبل الموت ، وفلسفتهم التى يؤمنون بها هى أنهم يجوز لهم أن يفيدوا العدو طالما كانوا على قيد الحياة ·

ولقد برزت قبيل حملتنا على غينيا الجديدة بعض المشاكل فقد كنا فى حاجة الى معرفة كاملة لنفسية اليابانيين حتى يمكننا معرفة مقاصدهم ونواياهم تماما فكونت لجنة من المتعمقين فى دراسة أحوال اليابانيين وكانوا من الامريكيين الذين ولدوا فى اليابان فاستطاعوا بحكم ذلك اتقان التحدث بلغة أهل البلاد الا أنهم كانوا لا يستطيعون قراءة حرف واحد من تلك اللغة ، وكانت قد وقعت فى ايدينا بعض الخرائط عن سواحل غينيا ، منها خريطة كان قد أعدها مبشر هولندى وظهرت الصعوبات عند ما وجدنا أن بعض الاسماء مكتوبة بالهولندية وبعضها باللغة الوطنية وأسماء أخرى باللغة اليابانية ، وعند فحص الاسماء اكتشفنا أنه بينما أطلق اليابانيون أسماء على بعض التلال مثل تل أ ، تل ب نجد أنهم أطلقوا على أماكن أخرى أسماء تاريخية أو دينية يابانية وبعد البحث **ظهر أن الجندى اليابانى يرحب بالموت فى مكان يحس بأن له قداسة أو أن له معنى دينيا أو عاطفيا بالنسبة اليه ، والخلاصة أنه يجب أن يقاتل حتى الموت لكى ينال شرف الاستشهاد فى هذا المكان الذى يقدسه ، وهذا هو سر تسمية الاماكن باسماء دينية ٠**

وحدث مرة أن عثرنا على وثائق خاصة بفرق المهندسين للنقل البحرى، وكانت وسيلة النقل المستعملة سفن انزال الجنود تحمل كل منها خمسة وسبعين جنديا وتسافر فقط فى أثناء الليل ، وقد بينت الوثائق الطرق التى كانت تسلكها ليلا ومخابئها نهارا ، فنقلنا كل ذلك للقيادة وبعد دقائق قامت قاذفات قنابلنا بغارة على مكانها وأغرقت أكثر من ثلثمائة سفينة منها وقتلت أكثر من ١٢٫٠٠٠ جندى ، ولم نفقد نحن طائرة واحدة أو رجلا واحدا فى هذه الغالة ٠

ومرة أخرى وجدنا وثيقة فى جيب ضابط يابانى من القتلى مبينا بها أن كمينا قد أعد لاصطياد قوات الحلفاء فى أحراش كوانا Kuana ، وكانت بعض القوات من الاستراليين تعمل هناك فى وقت محدد ، فترجمنا الوثيقة وأرسلناها للقائد الاسترالى الذى تفادى المكان فى الوقت المناسب ، ولو **لم نترجم هذه الوثيقة لابيدت القوات الاسترالية عن آخرها ٠**

وفى حادثة ثالثة عثرنا على تقرير طبى خاص بقطاع معين من القوات اليابانية فى مكان كنا قد وضعنا الخطة للاغارة عليه بعد ثمانية عشر يوما ، ويقول التقرير أن الاصابة بالملاريا ارتفعت من ٢٥٪ الى ٨٠٪ بين الجنود اليابانيين ، وكانت نتيجة هذا التقرير وترجمتنا له أن القيادة قامت بالهجوم فى منتصف نفس الليلة وأحرزت القوات الاسترالية التى قامت بهذا الهجوم نصرا ساحقا ٠

والى جانب المعلومات التكتيكية أمكننا كذلك الحصول على معلومات استراتيجية من ترجمتنا للوثائق التى حصلت عليها وحداتنا فى الميادين الاخرى كانت لها الفضل فى نجاح خططنا المستقبلة تلك الخطط التى أدت الى النصر فى النهاية ، كما ساعدتنا هذه الوثائق على كتابة الكتاب الابيض الذى أثبتنا فيه مسئولية اليابان عن الحرب ، **فبعد احتلالنا لليابان واستجوابنا للحكام اليابانيين وجدنا أن اجاباتهم تتفق مع المعلومات التى استقيناها من الوثائق والخرائط واستجوابات الاسرى** • ووضعت كل هذه المعلومات أمام قضاة محكمة مجرمى الحرب فى طوكيو فى يناير سنة ١٩٤٧ وكانت تعرف Ates Research Report N. 131 أى (تقرير ادارة الترجمة الامريكية رقم ١٣١ للتحرى والاستقصاء) وعنوانه « قرار اليابان بالاشتراك فى الحرب » ، كما أمكننا جمع معلومات كثيرة عن وحشية اليابانيين فى الحرب وأعلنت هذه المعلومات أمام محكمة مجرمى الحرب وكانت هذه القسوة ترتكب ضد الاسرى وغير المحاربين ، وأفظع ما عرفناه هو أكلهم لحوم الجنود الامريكيين عند ما عز عليهم ايجاد الطعام ، وتشريح الجرحى وهم أحياء Vivisection •

كانت المعاملة فى جزر الهند الشرقية الهولندية وحشية ، ويقصد بها تحقير الرجل الابيض أمام أهل البلاد منها اكراه الضباط البيض على تنظيف دورات مياه الاسرى من الوطنيين بأيديهم ، وتجويعهم حتى الموت ، وكان الاعتداء على الاعراض من جانب الجنود اليابانيين لا يعتبر جريمة •

وفى الواقع كانت معلوماتنا قيمة من الناحية العسكرية ومن الناحية العقائدية ، فقد كنا نحاضر الجنود الجدد قبل ارسالهم الى ميادين القتال وكان أعضاء مكتبنا يرسلون للجبهات الامامية على فترات دورية كل لفترة لا تزيد على ثلاثة أشهر حتى يمكن ترجمة أى وثيقة أو استجواب أى أسير دون تضييع وقت ، ومن الامور التى تدعو للفخر أنه فى الوقت الذى كان اليابانيون يعرفون فيه كل شىء عن ميادين القتال فانهم كانوا يجهلون تماما وجود وحدة الترجمة واللغات ، وظلوا يعتقدون حتى نهاية الحرب تقريبا أن لغتهم المكتوبة لا يمكن لاجنبى أن يقرأها •

كانت منظمتنا عظيمة الاثر ، وبالرغم أنها من الناحية العسكرية كانت خاضعة لرئيس أركان حرب المخابرات الا أننا كنا نتمتع بقدر كبير من الحرية فى العمل لان الجنرال ويلوبى Willoughby لم يكن يتدخل فى عملنا رغم أننا كنا تابعين له من الناحية التنظيمية ، فقد كان فى وسعى

فصل واستخدام الرجال أو ارسالهم واستدعائهم من والى الوحدات الامامية ، وكل ما على أن أفعله هو احاطة الرئيس علما بذلك فقط ، وكانت لوحداتنا كفاية ذاتية من جميع النواحي ، وقادرة على العمل وهى بعيدة عنا بكفاءة واكتفاء ، دون حاجة الى أى شيء سواء من ناحية العمل نفسه أو التموين أو المواصلات أو الصيانة أو غير ذلك من الامور ٠

لم يكن لدى قسم الترجمة سوابق يسير على هديها أو قواعد أو مبادىء يسترشد بها اللهم الا معلوماتنا العسكرية ، وقدرتنا كضباط للمخابرات ثم عقولنا ، ومن حسن الحظ أن اطلاق ايدينا فى العمل ومنحنا حرية التصرف بالاضافة الى تعاون ضباط الحلفاء كل ذلك سهل علينا أمرنا وهكذا وتحقق حلمى ٠

وبعد احتلالنا لطوكيو قال الجنرال ماك آرثر لصديق له : « انه قرأ كتابى كلمة كلمة ٠ » ، وكان قوله هذا فى معرض الحديث عن عملنا ٠

واعترافا بجهودنا وعظمة ما قمنا به من أعمال منح أربعمائة وثمانون رجلا من رجالى أوسمة الشجاعة حتى يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، وكما أنه صدرت توصيات لكثيرين غيرهم بالترقية ، وكان أول الامريكيين المنحدرين من أبوين يابانيين الذى منحوا نجمة الشجاعة هو أولهم كذلك فى التعيين والعمل فى السلك لعسكرى ، وقد نزل هذا الشاب مع أول جماعة نزلت باليابان وجرح ورغم ذلك بقى ثلاثة أيام وهو لا يهتم بجراحه ويؤدى واجبه حتى خارت قواه ونقل الى المستشفى ٠

١٣

الأمريكيون المنحدرون من أبوين يابانيين

THE NISEI

أحب أن أقول هنا كلمة حق لا موارية فيها وهي أنه لولا وفاء واخلاص المواطنين الامريكيين المنحدرين من أصول يابانية لطالت حرب الباسفيك ، لانهم كانوا عونا هائلا في قراءة وترجمة الوثائق المستولى عليها وفي استجواب الاسرى .

فالولايات المتحدة مدينة لهؤلاء ولعائلاتهم ولن تستطيع أن تفي بهذا الدين تماما ، فقد كانت لمساهمتهم في المجهود الحربي الاثر الكبير في انقاذ أرواح الآلاف وتوفير ملايين الدولارات ، ولو قدر ووقع واحد من هؤلاء في الاسر لتعرض لأبشع أنواع التعذيب وتعرض معه أقاربه في اليابان لنفس المصير ، وكنت أتكلم معهم في صراحة وأؤكد لهم أننا لن نستطيع أن نكافئهم الا بعد انتهاء الحرب ، وقلت لهم أن يتذكروا دائما أنه لن يكون هناك ما يؤثر على وجهة نظر الولايات المتحدة بأسرها نحو الـ ١٧٥٫٠٠٠ أمريكي المنحدرين من أصول يابانية سوى أعمالهم .

ولقد وعدتهم بأنني سأبذل أقصى ما أستطيع حتى نعرض قصة كفاحهم بأمانة وصدق أمام الرأي العام الامريكي ، وفي الواقع أن ما دفعني الى كتابة هذا الكتاب هو رغبتي في اعطاء هؤلاء الناس حقهم ، ولم يحدث أن اقتضت الضرورة طوال سنوات الحرب الاربع اتخاذ أية اجراءات تأديبية ضد أي فرد من هؤلاء الناس ، ولم يحدث كذلك اللهم الا في حالة واحدة أن طلبنا متطوعين من هؤلاء الامريكيين من أبوين يابانيين الا وتقدموا زرافات ووحدانا ، فمثلا طلبنا مرة متطوعين منهما للهبوط في مضيق Corregidor خلف الخطوط الامامية فتطوعوا جميعا رغم عدم خبرتهم بالهبوط بالمظلات ، والمرة الوحيدة التي رفض فيها واحد التطوع

هى عند ما تسلمت خطابا من الجنرال Bonner Fellero يطلب منى اختيار أمريكيين من أصل يابانى تكون لهم دراية بالاذاعة اللاسلكية وأن أرسلهما له فى مانيلا لانه كان على وشك بدء اذاعاته الموجهة الى اليابان ·

فطلبت من الضابط التنفيذى W. Clary Holt أن يحضر متطوعين، ولكنه عاد بدون أى متطوع ويبدو أنهم ظنوا أن خبرتهم أقل من المهمة المطلوبة وعند ما ذهبت بنفسى وشرحت لهم المطلوب تطوع فى الحال خمسة وعشرون منهم ، فبينت لهم خطورة مهمتهم وانهم سوف يسافرون باسماء مستعارة حتى لا يتعرض أقاربهم فى اليابان للهلاك ، وربما يخطىء أهالى الفليبين ويعتقدون أنهم من اليابانيين فيقضون عليهم ، وتركتهم لخمس دقائق حتى يفكروا فى الامر وبعد ذلك اختار رئيسهم عشرة تطوع منهم اثنان وتم نقلهما سرا الى مانيلا وكانا يسيران فى صحبة القوات حتى لا يتعرضا للقتل من جانب رجال العصابات فى الفلبين الذين سبق أن قتلوا أمريكى من أصل صينى وكان المتطوعان هما الفريد كونو Alfford P. Konno ، وجون ناسودا John Nasuda ، وكانت خدماتهم ممتازة ، كانت هناك مضايقات وأخطار أخرى تعرض لها الامريكيون من أصل يابانى فمنذ بداية الحرب كان هؤلاء الشبان موضع شك من جانب رفاقهم بل أكثر من ذلك كان يحدث عند ما يصلون الى جبهات القتال أن يتعرضوا للنيران من الجانبين ، ومما زاد الطين بلة أن اليابانيين كانوا كثيرا ما يلبسون حلل الموتى من الامريكيين وهم بذلك لا يختلفون فى مظهرهم عن الامريكيين من أصول يابانية وكان الاستراليون يرفضون استخدام الـ Nsei فى المخابرات ، فى بداية الامر ولكننى أصررت على استخدامهم ومنحناهم أوراق تثبتأنهم من القواتالاسترالية الاستكشافية وبالفعل لبس أغلبهم لباس الرأس الاسترالى ·

وكان من الممكن أن تحدث مأساة فمن بين أعظم مترجمينا كان هناك شخص يدعى Roy H. Uno وكان له أخ فى الجيش اليابانى برتبة يوزباشى وقام هذا اليوزباشى باستجواب Carl & Shelley My Jans. مراسلى لايف وتايم المشهورين ·

وبعد استيلائنا على مانيلا بقليل وقع شقيق المترجم فى الاسر ، فطلب المترجم أن يكلف هو باستجوابه ، وكان الموضوع حساسا للغاية ولكننى وافقت فى الحال ، ووضعت فى حجرة الاستجواب مكبرا للصوت وعدسة للتصوير ، وذلك لتسجيل كل ما يحدث تسجيلا صوتيا وتصويريا ،

وبالطبع أخفيت المكبر والعدسة حتى لا يراهما أو يحس بوجودهما أحد وأعددت كل شيء قبل الاستجواب بفترة طويلة ولكن حدث أن سقط Roy Uno فى أثناء تفريغ شحنة من فوق ظهر سفينة وكسر ظهره ونقل Buddy Uno شقيقه الى مستشفى للعلاج من السل الرئوى ولم تحدث المقابلة اطلاقا بين الشقيقين ٠

ومرة أخرى طلب منى أمريكى من أصل يابانى أن يرسل الى ميدان القتال وابرز لى وصية والده التى أوصاه فيها أن يكون مخلصا للولايات المتحدة التى ولد وترعرع وتعلم فيها ، وأن يموت فى سبيلها اذا دعى لذلك وفى اليوم التالى كان هذا الشاب فى الميدان وبعد أيام منح وسام الشجاعة ٠

وقبل نهاية الحرب رقينا مائة منهم الى رتبة الملازم ثم ارتفع العدد بعد يومين الى ٦٠٠ ، وتلقى هؤلاء الشبان النبأ بنفس الوقار والاتزان الذى تلقوا به الانباء السيئة فى الماضى ، ويظهر تأثرهم من مذكرات ضابطين منهم عند وصول لجنة التسليم الى مانيلا بعد هزيمة اليابان فقد قال الملازم Thomas T. Imada « لايمكن أن يرقى رجل من أصل يابانى الا فى جيش الولايات المتحدة فقط » ٠

وقال آخر يدعى George Kayano « أننى أشعر شعورا غريبا بعد ترقيتى فقد كنت كالتائه قبل ذلك ومن حسن الحظ أننى سأشهد بعد هذه الترقية مقدم لجنة الاستسلام اليابانية لتلقى الاوامر من القائد الاعلى فى الباسفيك ، وأعتقد أن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تهيىء لمثلى أن يشهد مثل هذا الحدث العالمى » ٠

وقبل ذلك بوقت قصير حضر ثلاثة ضباط من الـ Nisei وطلبوا منى نقلهم الى فرقة مقاتلة فظننت أن شيئا وراء هذا الطلب ، وعلمت بعد ذلك أن تلك الفرقة التى طلبوا النقل منها هى التى كلفت بالهجوم على كيوشو Kyushu ، وأنهم من هذه البلدة أصلا فوافقت وارسلت بتعليماتى الى قواد الفرق بنقل الامريكيين من أصل يابانى الى مراكز أخرى عند ما يشنون هجوما على مقاطعات لهم فيها أهل وأقارب وذكريات ولكن لم يحدث شيء من هذا لان الحرب انتهت قبل أن يتم هذا النقل المقترح ، وقد ظهرت بجلاء قيمة هؤلاء الامريكيين المنحدرين من أصول يابانية فى جيش الاحتلال ، فقد الحقوا بالادارات والوحدات المختلفة ، كما ألحقت أنا شخصيا بمكتب القائد العام لجيش الاحتلال ٠

وكان شعور اليابانيين بالنسبة لهؤلاء غريبا فقد كانوا يحسون بأنهم سوف يقدرون حالتهم ويعطفون عليهم ، وسوف يكون الاحتلال واسم ماك آرثر بالذات حدثا هاما في تاريخ اليابان فقد حذرهم من أشياء كثيرة.

يردد اليابانيون مثلا ترجمته « البرهان خير من الكلام » ، فقد رأوا أمريكيين من أصل ياباني بعد أن تربوا وتعلموا فى أمريكا في ظل حضارة مسيحية ونظم ديمقراطية وأيقنوا أن من الميسور لهم أن يكونوا مثلهم ، ويعيشون فى المجتمع العالمى المتمدين فقد رأوا المثل العليا الامريكية والديمقراطية الامريكية التى يعيش فى ظلها كل الناس متساويين متكافئين فى الفرص دون اعتبار للجنس أو العقيدة أو اللون « كذا ؟ ! » وهذا الاسلوب من أنجح الاساليب فى تعليم العالم الديمقراطية الحقة وياحبذا لو أنفقت الولايات المتحدة جزءا يسيرا مما تخصصه للحرب على استضافة آلاف الطلاب الى الولايات المتحدة ، كى يتعلموا أساليب الحياة الامريكية ، وسوف يكون هذا التعليم مماثلا لما تعلمه الامريكيون من أصل يابانى أن تعليما بضرب القدرة والمثل لا بالنظريات .

ولو قدر لنا أن نحتل مكان الصدارة فى الدعوى الى الديمقراطية لوجب علينا أن نتخذ من قصة الامريكيين المنحدرين من أصل يابانى نموذجا يحتذى فى تعاليمنا الديمقراطية ، وفى نشر مبادئنا وفلسفتنا .

وفى الايام الاولى لاحتلالنا للفلبين احتل قسم الترجمة مضمار سباق Santa anA وكان يتسع لبضعة آلاف وقد ظن أهالى الفلبين عند ما رأوا الامريكيين المنحدرين من أصل يابانى الذين كانوا يعملون بالترجمة أنهم من الاسرى اليابانيين وقد بهتوا عند ما قلت لهم أنهم أمريكيون وأصبح المكان مقصدا لجموع الاهالى من أبناء الفلبين الذين كانوا يأتون بانتظام ليشاهدوا هؤلاء الشبان .

١٤

اللـغة اليابانية

كانت أغلب الاسئلة التى توجه الى بعد الاسئلة المتعلقة بالمخابرات عن اللغة اليابانية فهى لغة صعبة ولا يستطيع اتقانها الى القليل حتى من بين أهل اليابان ذاتها ، ولم يكن يستطيع الترجمة باتقان من بين المتخصصين فى هذه اللغة فى ادارة الترجمة الامريكية Atis أكثر من ١٤٪ من المترجمـين وكذلك لم يكن هنـاك من الخبراء فى شئون اليابان أكثر من خمسة وصعوبتها لها أسباب كثيرة فهى تختلف عن كل اللغات الاجنبية فالمتخصص فى أى لغة يستطيع الترجمـة منها واليهـا أكثر مما يستطيع التحدث بها بينما يمكن التحدث بطلاقة باللغة اليابانية دون أن يستطيع الشخص كتابة أو قراءة جملة واحدة يابانية فحروفها تبلغ ٧٣ ويوجـد مقاطع يبلغ عددها ستة آلاف وهذه المقاطع صينية وتستعمل فى الاشتقاق وتكتب الجرائد والكتب من هذه الحروف الى جانب المقاطع بشـكل يمكن القارىء من الفهم فهما عاما دون التعمق فى التحليل والتفصيل أو اللجوء الى المعاجم والقواميس وهذه المقاطع تعتبر كل منها صورة لفكرة وأخذت هذه من اللغة الصينية وكل مقطع من هذه المقاطع يتغير نطقه طبقا للجملة التى يستعمل فيها وهذه صعوبة اضافية وقد يحـدث أحيـانا أن ينطق المقطع بخمسة وعشرين نطقا مختلفا ٠

ومما يزيد فى صعوبة اللغة أنها تكتب بخمسة أشكال مختلفة منهـا ثلاثة هامة سائدة الاستعمال وتعرف بـ Kaisho و Gyosho و Soho والـ Kaisho هو الشكل الكبير وله صورة للطباعة وأخرى للكتابة والـ Gyosho تكتب باليد وأكثر اختصارا وهى صعبة فى الترجمة ٠ والـ Soho أكثر اختصارا وأكثر صعوبة من السابقتين وهى تقـابل اللغة الامريكية المختزلة Shorthand و ٣٠٪ من الوثائق التى

استولينا عليها مكتوبة باسلوب الـ Kaisho وهى أبسط وأسهل صولة للكتابة و ٥٠٪ باسلوب Gyosho وكانت البقية باسلوب الـ Soho وبالرغم من أن ٢٠٪ من الوثائق المستولى عليها كانت مكتوبة باسلوب الـ Soho الا أنها كانت أكثرها أهمية من وجهة نظر المخابرات اذ تضمنت ٧٪منها أخبارا لها أهمية تكتيكية مباشرة فمثلا كانت الاوامر تقرأ بصوت عال على ممثلى الوحدات المختلفة المتجمعين لتلقى الاوامر ويبادر كل واحد من هؤلاء الممثلين بكتابة الاوامر فى مفكرة خاصة باسلوب الـ Soho ولابراز أهمية ذلك أسوق الحادث الآتى عند استيلائنا على جزيرة Negros قتل قائد فصيلة الاستكشاف اليابانى على بعد خمس وسبعين ياردة من مركز قيادة فرقتنا وبالبحث فى جيوبه وجدنا مفكرته وبترجمتها عرفنا أن قدوم الفصيلة كان مقدمة الهجوم شامل يشن فى الساعة ١٤٠٠ وفى الحال صدرت الاوامر للبحرية باطلاق مدافعها على نقطة تجمع قوات العدو فقضت عليها فى الوقت المناسب وأحبطت الهجوم تماما ٠

سبق أن قلت أن الذين يتكلمون اللغة ولا يستطيعون قراءتها يتسببون أحيانا فى اضرار كبيرة للمخابرات كما تسببوا فى موت كثير من رجالنا لعجزهم عن ترجمة اللغة المكتوبة ٠ فمثلا أرسل ضابط الى ضابط آخر بحرى فى أمريكا وثيقة عن خريطة لجزيرة جوام قال عنها أحد هؤلاء التراجم انها عديمة القيمة ثم ظهر بعد ذلك انها كانت وثيقة غاية فى الاهمية لانها كانت تبين مراكز وتجمعات قوات اليابان فى الجزيرة وقد فصل هذا الضابط لهذا السبب ٠ وأوقفت الرقابة على البريد خطابا كان مرسلا من ضابط الى صديقته فى ولاية أيوا Iowa قام فيه «هل تحبين الكتابة اليابانية انها تبدو كنعكشة الدجاج» ونعكشة الدجاج هذه التى تكلم عنها لم تكن سوى تقرير للمخابرات اليابانية من مركز القيادة مبينا فيه أدق التفاصيل عن طيارات الحلفاء التى أسقطت فى الشهر السابق ومثل آخر كان لطيار أرسل ببلاهة لفتاته وثيقة فيها معلومات كاملة عن مواقع المدفعية المضادة للطائرات التى أسقطت طائرته وقتلته بعد ذلك بأيام قليلة عند قيامه بجولة استكشافية وكان الواجب أن يقدمها لقسم الترجمة ولو قدر له وفعلهذا لتغير الوضع ولربما أمكن انقاذ حياته٠

وفى العمليات الحربيــة يجب أن يكثر المترجمون للـكتابةTranslators ويقل المترجمون للحديث Interpreters وهذا هو ما حدث بالضبط بعد المراحل الاولى للحرب لان كل قصاصة ورق تعتــبر كنزا ذهبيــا من وجهة نظر المخابرات ، وحاولنا جمع تلك القصاصات وأنشأنا قسما خاصا بذلك ٠

ويوجد فى اللغة اليابانية الفاظ تتفق فى النطق وتختلف فى الهجــاء والمعنى وهذه الالفاظ هى التى كانت تحير المترجمين وتعرف بالHomonym وأحيانا بال Homophene ولذلك يجب الاعتماد على اللغة المكتوبة أكثر من الاعتماد على اللغه المقروءة ولا سيما فى الامور العسكرية ٠

ويعتبر استجواب الاسرى فى الخطوط الامامية من الاشياء التى لها قيمة تكتيكية مباشرة مثل اسم ومكان وحدتهم قوتها وتكوينهــا والاوامر التى تعمل بموجبها وأهدافها ٠ ومع ذلك فثمــانين فى المــائة من معلوماتنــا استقيناها من الوثائق الخطية ٠ لان الاسير كثيرا ما يكذب ولا سيما عنــد استجوابه لأول مرة ليحمى وحــدته ويحمى أسرته من الانتقــام اذا باح بأسرار حربية وكثيرا ما يغير اسمه وقد يسمى نفسه باسم أعدى أعدائه ويعطى معلومات عن وحدة عدوه ٠

كان الاستجواب يتم فى الخطوط الامامية بواسطة المترجمين الشفويين Interpreters ، ثم يسلم الى المؤخرة حتى يصل الى مركز القيــادة وقد اكتسب المترجمون خبرة ودراية بعد مرور مدة من بدء الحرب بطريقة استجواب الاسرى وبالطبــع كان كل منهم متخصصــا فى نوع معين من الاستجواب وبعد أن يتم الاستجواب يسجل المترجم نتيجة الاســتجواب ويعطيه لضابط مختص ليلخصه ويرفقه بعد ذلك للجهات المختصة وهى اما مركز قيادة الحلفاء للقوات الجوية أو البحرية أو البرية ٠ حيث يقوم رجال المخابرات بدراستها واذا ظهرت أهميــة لاســتجواب معين يرد الى الضباط الذين رفعوه لزيادة الايضاحوكان المفروض أن تقوم ادارة الترجمة بترجمة كل وثيقة واستجواب كل أسير ولكن عند ما كثرت الوثائق وزاد الاسرى وظهر أن هذه الطريقة لن تكون مجدية فاستقر الرأى على تقــدير قيمة الوثيقة قبل ترجمتها حتى يتسنى اختيار ما يستحق الترجمة منهــا

والا تخلفنا عن الحوادث وسمحنا لها بأن تسبق عملياتنا العسكرية وقد ضم لقسم الترجمة قسما للبحوث من الخبراء العسكريين لتقدير المواقف من الناحية التكتيكية والاستراتيجية وكان على هذا القسم أن يرد على استفسارات القيادات المختلفة عن أساليب اليابانيين فى عبور مضيق أو خلافه على أن يكون الرد وافيا مبينا حتى أنواع السفن التى استعملت فى النزول الى البر . وحتى رسم العربات التي استعملت .

* * *

وبالاضافة الى الدراسات التكتيكية والاستراتيجية التى كانت تعد فاننا نجد دراسات أخرى طيبة القصد منها اتخاذ الاجراءات الوقائية لحماية قواتنا من الاوبئة فقد علمنا من الوثائق التى استولينا عليها أن اليابانيين كانوا يستعملون بنجاح بعض الوسائل لمعالجة الملاريا وكنا نظن أنها خطرة قبل ذلك ومع ذلك فعند ما طبقناها وجدنا أنها أنقذت أرواح آلاف الجنود. كما درسنا كذلك طريقة مقاومة اليابانيين للدبابات فى كل أنواع الاراضى كما درسنا سيكلوجية القتال عند اليابانيين كما كونا أجهزة أخرى لدراسة الشئون الفليبينية ولجنة لعمل قاموس انجليزي ياباني للمصطلحات الخاصة بسلاح الاشارة والمصطلحات الكهربائية والمواصلات اللاسلكية . وقاموس آخر للمصطلحات الطبية وكانت الوثائق هى مراجعنا فى عمل كل هذه القواميس ومن الطريف أننا أهدينا الحكومة اليابانية هذه القواميس بعد احتلالنا لليابان كما أمكننا عمل قاموس للاختزالات كان له أعظم الاثر فى اختصار الوقت الذى كان يضيع فى البداية فى الترجمة .

لكن عجز الدارسون للشئون اليابانية لسنوات طويلة عن فهم سيكلوجية اليابانيين . ما الذى دفعهم وهم أنظف أهل الدنيا على الاطلاق فى الحياة بين القاذورات والرمم فى بونا ثم بعد ذلك يخرجون فى اندفاع جنونى بأسلحة بيضاء وعصى وهم يصرخون فى أثناء هجوم Banzai وكل همهم أن يموتوا وهم يقاتلون وقد عزا البعض هذا الجنون الى تعاطيهم المخدرات والخمور ولكن يبدو أن هذا لا يمكن أن يكون السبب فى ذلك .

وقد علل الكولونيل Mitchel ذلك فى عبارة واحدة قال فيها أن اليابانى معتز بنفسه وعاطفى فهو يبكى فى المسرح اذا تأثر من التمثيل ويبكى بشكل سافر كما أنه هسترى فى تصرفاته ويحدث أنه يجر نفسه بارادته الى الجنون وعلى ذلك لا يمكن أحيانا التنبؤ بما سيفعله اليابانى وقد يندفع الى الموت دون خوف أو وجل واليابانى يقدس القانون ويلتزم بنصه وروحه ويخشى البوليس وأخيرا وجدنا مفتاح فهم سيكلوجية اليابانى وهو فى نظام Hoke وهو أصلا مأخوذ من الصين ففى أثناء حكم الامبراطورة Gimmu وبموجبه يصبح كل فرد من أفراد العائلة مسئولا عن كل مخالفة يرتكبها أى عضو آخر من أعضاء العائلة وكان يعين ممثل لكل عائلة بالبوليس وواجبه هو التنبيه عن كل مخالفة حتى يمكن منعها قبل حدوثها واذا لم يقم بهذا الواجب فقد كان يعاقب بالاعدام أو يعذب واستمر هذا حتى سنة ١٨٧٧ وتتكون العائلة فى المتوسط من خمسة أفراد وكل عشرة عائلات تكون Hi وتختار من بينها ممثلا وكل عشرة Hi تكون Ko وكل Ko تختار هى الاخرى ممثلا ويكون كل عشرة Ko ما يسمى بـ Ho ويمثلهم ممثل كذلك وعند ما يطلب الحاكم طلبا من عشرة من ممثلى الـ Ho فقد كان يطبقه خمسون ألفا طاعة عمياء لانهم كانوا بمثابة رهائن لا ممثلين وعن طريق هؤلاء كان الحاكم يعرف كل شىء بالضبط عن هذه الآلاف وهذه الآلاف تعرف عن غيرها فى المستويات الاقل وبمرور الزمان أصبح هذا النظام راسخا لا يمكن تغييره أو تبديله بل جزءا لا يتجزأ من طباع اليابانيين مثل الهواء الذى يستنشقونه . وعرفنا ذلك فى سنة ١٩٤٥ عند ما ترجمنا قانون الـ Hoko الذى طبق فى فرموزا وكان هناك قانون مماثل يعد للفلبين . كما طبق كذلك فى المقاطعات الصينية التى غزاها اليابانيون فى منشوريا .

وفى سنة ١٩٣٩ أعيد النظر فى القانون وأعطى اسما جديدا وهو Tonari Gami أى أجهزة الجهات المجاورة واستمر وجوده فى اليابان طوال مدة الحرب حتى أمكن القضاء عليه على يد ماك آرثر سنة ١٩٤٦ وبعد ترجمتنا لهذه القوانين فى الفلبين وفرموزا أصبح القانون واضحا وكتبت بعد ذلك البحث رقم ١٢٦ الذى لم يظهر فى صورته

المطبوعة حتى اليوم السادس والعشرين من سنة ١٩٤٥ واتصلت بمدير قسم الحرب النفسية وكان فى طريقه الى مانيلا لانشاء محطة للاذاعة على الموجة القصيرة لنبدأ اذاعاتها الموجهة لليابان وكان قد أرسل لى قبل ذلك صورة من خطته لاعلق عليها فغيرت فيها على ضوء خبرتى الجديدة ومعرفتى بنظام الـ Hoko وقد تقبل تغييرى برضى وترحيب ٠

وأعتقد أن أهم مافى الامر لم يكن فقط معرفة سيكلوجية اليابانيين ودوافعهم الى الفداء والاقدام الى حد الهوس والجنون بل وقوفنا على مايجب أن نفعله من ناحية تشكيل حكومة يابانية بعد الحرب فقد طهر ماك آرثر البلاد من العناصر غير المرغوب فيها وتم ذلك بسرعة بعد الاحتلال ثم بعد ذلك حكمها بأسرها عن طريق الامبراطور واجتاح ذلك الى شىء أساسى واحد وهو المحافظة على هيئة الامبراطور مع شعبه فى اليابان وأن لا يعمل ما يصيب هذه الهيئة بالضياع وسيذكر التاريخ مهارة ماك آرثر فى هذا السبيل رغم الصعاب التى اعترضت طريقه ولازال الوقت مبكرا للحكم على ذلك ٠

١٥

ستة أسابيع فوق « أوليمبس »

١ ــ وفد التسليم فى مانيلا :

عند الكلام عن ماك آرثر وعن الاحداث التى صاحبت تسليم اليابان وقد كنت مصاحبا له فى تلك الحقبة من الزمان أحبأن أعترف باعجابى الشديد به الذى لم أحسه تجاه أى شخص آخر فى الوجود سوى والدى فهو يمثل كل شىء أحبه فى نفسى وعجزت عنه ، وكلما سمعت تصغيرا لشـأنه من أناس لا يعرفونه كلما زاد اعجابى وتقديرى وولائى له ٠ ويبـدو أن ماك آرثر يتميز بميزتين ظاهرتين وهما شجاعته فقد دخل الحرب العالمية الاولى وهو يحمل تسع ميداليات للشجاعة فى القتال فهو لا يعرف كلمة الخوف أو الضعف ، والصفة الثانية هى حبه للوحدة شأنه شأن كل العظماء الذين حباهم الله بمواهب تجعلهم فوق مستوى البشر فقـد كان لا يتنـازل الى مستوى مرؤوسيه بل كان يجمع فى يده كل السلطـات الامر الذى كان سببا فى النقد اللازع الذى كان يوجه اليه من كافة الدوائر ٠ ولم يكن يهتم بما يرتكبه ضباطه من ظلم واضطهاد بل يتركه لغيره ليبحثه ويتفرغ هو لرسم الخطوط العريضة للخطط التى قام بتنفيـذها وأذهلت الجميع وأنزلت الهزيمة باليابان وكم من مرة قلب خطط هيئة أركان حربه رأسا على عقب وعارضهم فى كل شىء ثم تظهر الحوادث والتطبيق العملى أنه على صواب وأنهم كانوا على خطأ واعتقـد أنه أعظم جنرال ظهر فى التـاريخ ويمكن أن تقاس عظمته بما أحرزه من نتـائج مع قلـة جنوده عن جنود أعدائه فعندما فكر فى غزو الفلبين كان عدد جنود ياما شينا القائد اليابانى تزيد عن عدد جنوده بما يقرب من ٨٤٫٠٠٠ جندى ومع ذلك فقد بلغت خسائر اليابانيين ٤٥٠٫٠٠٠ وقد حدثت محاولات من بداية الحرب لتشويه سمعة الرجل والقاء الظلال عليها ولكنها باءت كلها بالفشل فقد حدث مرة أن صدرت الاوامر الى الكولونيل Baldwin الملحق العسكرى الامريكى فى استراليا كى يرفع تقريرا يذكر فيه الاوسمة والنياشين التى يعلقهـا الجنرال ماك آرثر ٠ وفى هذا الوقت كان يمكن لماك آرثر أن يكون ملـكا

لاستراليا اذا شاء لشعبيته وحب الاستراليين له • كان المفروض أن يرد Baldwin عن طريق ماك آرثر ففكر Baldwin كثيرا وأخيرا أجاب بأن الجنرال يعلق النياشين المسموح له بتعليقها وفوت على الحاقدين عليه فى واشنطون فرصة الدس بين الجنرال والسلطات العليا فى أمريكا •

فى مايو سنة ١٩٤٥ أعطانى الجنرال Willoughby مكتبا فى دار بلدية مدينة مانيلا وكان مكتبى لا يبعد أكثر من ثلاث حجرات عن مكتب الجنرال ماك آرثر وفى هذا الوقت بالذات كانت خطة الهجوم على اليابان تعد وكان نصيبى فى هذه الخطة يتعلق بالناحية اللغوية فقط واستجواب أسرى الحرب وترجمة الوثائق وتسليمها للجهات المسئولة بعد ترجمتها •

أصبح الوضع بالنسبة لنا معقدا للغاية بسبب حاجة بعض الادارات الاخرى لبعض اللغويين من رجالى وهذه الادارات هى المخابرات المضادة والحكومة العسكرية والرقابة المدنية ولو حدث ولبينا كل طلبات هذه الادارات من الرجال بالاعداد التى طلبتها لما تبقى من رجال الـ ATIS أحد وكان لزاما علينا والحالة هكذا أن نقوم بعملية تنسيق بين الطلبات المختلفة والتصريح بالحد الادنى المطلوب لكل ادارة واوكلت الى هذه المهمة فكنت لا أترك مكتبى الا نادرا •

وبعد ذلك بقليل صرح الجنرال Willoughby لى بارسال اذاعات سيكلوجية على الموجة القصيرة وباللغة اليابانية الى اليابان وأمكن ارسال أول اذاعة فى يوليو سنة ١٩٤٥ وفى هذا الوقت لذلك وصل الى علم مخابراتنا أن الاسطول اليابانى قد انتهى ولم يعد له وجود فى البحار وأن الجيش اليابانى أصبح فى حالة سيئة أما انتاج البلاد من الطيارات فقد انخفض انخفاضا خطيرا بسبب التدمير وتركزت قواتهم كلها فى كيوشو ويبدو أنهم كانوا يعلمون مقدما عن طريق مخابراتهم بأن هجومنا الاول سيوجه ضدها •

ومن الغريب أنهم كانوا يضللون الشعب اليابانى بدعايات كاذبة منها أنهم لم يستولوا فقط على الفليبين وجزائر الهند الهولندية وغينيا الجديدة وجزر سولومون ولكن استراليا أيضا وجزر هاواى والساحل الغربى للولايات المتحدة الامريكية • وقد صدق اليابانيون بالفعل أن الجنرال Tojo قد خدع ماك آرثر وشجعه على الهجوم على كيوشو وأن الجيش والاسطول والسلاح الجوى اليابانى فى انتظار هذا الهجوم لتوجيه ضربة نهائية الى الامريكيين والقضاء عليهم قضاء مبرما •

وكان واضعو الاستراتيجية اليابانية يقومون بهذه الدعاية على أمل أن تهب الرياح المقدسة وتنقذهم من الغزو وتدمر أسطول وجيش ماك آرثر وتسمى الرياح المقدسة هذه بالـ Kamikaze ولم يحدث أن قالوا شيئا عن ضرب المدن اليابانية بالقنابل ولكنهم استغلوها فى اثارة الكراهية بين أفراد الشعب اليابانى ومطالبته بالوقوف فى وجه الأعداء بكل ما أوتى من قوة وبكل ما يملكه من وسائل • وأشاعوا اشاعة بأن الامريكيين سوف يذبحون كل اليابانيون ولن يتركوا سوى خمسة آلاف فتاة جميلة لمتعة الجنود وليكونوا مرشدين للسياح وكنا مقتنعين بأن هذا التضليل لايمكن أن يستمر طويلا وأن الحق سوف يظهر ، وجاءتنا الاخبار بأن اليابانيين بدءوا يتحسسون طريقهم نحو التسليم ومعنى هذا أننا يجب أن نستعد لدخول البلاد كجيش احتلال لا كجيش غزو وهذا يتطلب استعدادات مغايرة استعدادات سلام لا استعدادات حرب • وبعد فترة وجيزة تمت اتصالات لاسلكية خاصة بالتسليم وتلى ذلك صدور بعض التعليمات الى وفد التسليم خاصه بسفره الى مانيلا لتسلم شروط التسليم وكل ما يتطلب الامر عمله من جانب الحكومة اليابانية وترجمت كل هذه الوثائق الى اليابانية وكانت العملية شاقة بالطبع لان رجالى كانوا يجيدون الترجمة من اليابانية الى الانجليزية لا العكس فجمعت أعظم المترجمين من الامريكيين المنحدرين من أصل يابانى ووصلوا الى مانيلا وبدأنا العمل وكان أول شىء هو اعداد منشورات باللغة اليابانية لتلقى بالمظلات مع المواد الغذائية على معسكرات أسرى الحلفاء فى اليابان وفيها تحذيرات الى قواد هذه المعسكرات بأنها خاصة بالاسرى فقط وأن أية مخالفة لذلك ستعرض هؤلاء القواد لاشد العقاب •

وبعد ذلك وصلت أنباء قبول اليابان ارسال وفد التسليم بطائرتين الى مانيلا فترجمناها ثم بعد ذلك بدأنا فى ترجمة الوثائق الاخرى والتعليمات التى بدأت ترسل لاسلكيا من مانيلا الى طوكيو وبعد اتمام ترجمة وثيقة شروط التسليم ارفقناها زيادة فى الحيطة بنسخة انجليزية لها حتى نتفادى الخطأ فى الصيغة اليابانية وقلنا أن النسخة الانجليزية هى النسخة الرسمية ثم عدنا الى مكاتبنا دون نوم لنقوم بترجمة الامر رقم ١ وكنا فى حالة انفعال لدرجة أننا لم نستطع تناول عشاءنا وفى منتصف ليلة ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ وصلت ١٥ رسالة منها واحدة خاصة بتجهيز فرقة السفر الى اليابان وجعلها على أهبة الاستعداد للتحرك وأخرى تطلب Barlelt والكابتن • Curtis فى مقر القيادة الجوية فى الشرق الاقصى • فذهبا وهناك حضرا مؤتمرا لدراسة مطارات الهبوط وأماكن المعسكرات فى وحول

طوكيو وفى ١٧ أغسطس وصلت رسالة خاصة بتأجيل حضور وفد التسليم اليابانى ٢٤ ساعة وعند وصولنا طوكيو بعد ذلك علمنا سبب ذلك التأجيل وهو أن بعض الشبان بقيادة الكابتن Takeo Sasaki قاموا بمحاولتين لاغتيال رئيس الوزراء Baron Kentars Suzuki ولما فشلتا حرقوا منزله ويقال أن هذا الضابط حضر مؤتمرا لمناقشة موضوع التسليم فعارض بشدة فى أن يكون التسليم بلا قيود أو شروط قائلا أن هذا سوف يؤدى الى التدمير الشامل للامبراطورية واقترح الاطاحة بحكومة Suzuki والتخلص من الوزراء وكبار المستشارين واقامة دكتاتورية عسكرية من الجيش وقام بالفعل على رأس جماعة مسلحة من جنوده وطلبة الكلية الفنية وبعض المدنيين فى ساعة الصفر يوم ١٥ أغسطس وحاولوا اغتيال بعض المسئولين بنفس الطريقة التى كانت تغتال بها جمعية التنين الاسود كبار رجالات الدولة دون أن تحاكم ٠ ولكن حدث أمر هام وهو أن طلب التسليم غير المشروط كان من جانب الامبراطور نفسه وكان الامبراطور على وشك اعلان ذلك بنفسه من محطة الاذاعة وعندئذ هاجم نفر آخر من الشبان الحرس الامبراطورى وقيل فى ذلك الوقت أن الهدف كان اغتيال الامبراطور نفسه ولكن علم بعد ذلك أن السبب كان رغبة هؤلاء المتهورين من الشبان منع اعلان البيان على الشعب فى اليوم التالى حتى ولو اقتضى الامر اختطاف الامبراطور نفسه وقتل قائد حرس القصر وسقط عدد من القتلى من الجانبين فى المحاولة الثانية لمنع التسليم ٠

لم نكن نعرف شيئا عن هذا فى بداية الامر وعلى ذلك مضى يوما ١٧ ، ١٨ فى استعدادات محمومة واستقر الرأى على مكان نزول لجنة التسليم وجهزنا العدد المناسب من المترجمين ويوم ١٧ هذا يعتبر يوما هاما فى تاريخ حياتى فهو يعتبر أول يوم من أيامى فوق جبل أوليمب كما ذكرت سابقا لاننى نقلت الى مكتب يقع الى جانب باب حجرة ماك آرثر وكلفت بالاستعداد للطيران الى اليابان ثم بعد ذلك جاء يوم ١٩ الحاسم قامت الطائرتان اليابانيتان من اليابان فى ميعادهما ووصلنا الى Le Shime ثم نقل رجال الوفد الى طائرتنا حيث طارت بهم الى مطار Nicolas وللذكرى أقول أن الطائرة كانت من طراز ٥٤ ــ C ورقمها ٤٩٠٤٥ فصعد قائد المطار سلم الطائرة وفتح بابها وكان أول اليابانيين الذين نزلوا من الطائرة هو اللفتنانت جنرال Takashira Kawabe نائب رئيس هيئة أركان حرب الامبراطور ورئيس وفد التسليم واتجه نحوى فى الحال وتبادلنا التحية وظهر أننى أعرف ثلاثة من أعضاء الوفد البالغ عددهم أربعة عشر

وصممت بيني وبين نفسي أن لا أصافح أحـدا منهم وبالفعـل حدث هـذا وصحبت الوفد الى الجنرال Willoughby ثم الى أماكن نزولهم وقد لاحظت أن الضباط اليابانيين معهم سيوفهم فطلبت منهم خلعها فقال الجنرال Kawabe أن هذه السيوف للزينة وتعتبر جزءا من حللهم الرسـمية كلباس الرأس وغيرها وانهم يعتقدون أنه ليس من المناسب لهم أن يمثلوا حكومتهم اذا لم يظهروا بالمظهر المضبوط ومع ذلك فسنخلعها ونخلع معها مسدساتنا ٠

وبعد ذلك سلمناه الوثائق لدراستها قبل الجلسة الاولى وكان الوفـد يتكون من قسمين واحد يمثل الجيش ويرأس الجرال Kawabe والثانى يمثل الحكومة ويرأس Kalaus Okasaki وقد كلفنا بعض الجنود من الامريكيين المنحدرين من أصل يابانى بخدمتهم ٠

* * *

٢ ــ من مانيلا الى يوكوهاما :

بدأت الاجتماعات الاخيرة قبل سفرنا من الفلبين الى اليابان وكانت فى دار البلدية فى مانيلا ٠ فقـدم أعضـاء الوفد أوراق اعتمـادهم كممثلين لامبراطور اليابان وجلس المبعوثون اليابانيون فى مواجهة أعضاء الوفـد الامريكى ٠ فقرىء عليهم الامر رقم ١ وهو أن التسليم الرسمى لليابان لابد أن يتم فوق ظهر بارجة حربية أمريكية فى خليج طوكيو فى يوم ٢ سبتمبر وأن على الامبراطور أن يصدر مرسوما يخول الوفـد التوقيع على شروط التسليم نيابة عن كل من الحـكومة اليابانية وهيئـة أركان حرب الجيش اليابانى ٠ وكانت الخطوة الثانية هى تقسيم الوفد الى لجـان صغيرة لجمع المعلومات الضرورية عن الجيش والاسطول والسـلاح الجوى اليـابانى وتم استجواب ممثلى هذه الاسلحة فى الوفد وعرفنا بالضبط القوات المتبقية من هذه الاسلحـة فى ذلك الوقت ٠ وكذلك عرفنـا كل شىء عن الجيش اليابانى فى منشوريا وغيرها ، وبعد المفاوضات وتلقى التعليمات اقترح الوفد اليابانى أن تكون العودة الى اليابان على دفعتين لانهما كانوا يخشون المنقضين من الشباب اليابانى الذين ربما يسـقطوا طائرتهم ولو حـدث وأسقطوا واحدة فتكون هناك أخرى تصل بشروط التسليم ولكن رفض طلبهم وقرأ المترجم المرسوم الذى سيوقعه الامبراطور ويبدأ المرسوم بكلمة أنا وهى كلمة لا يمكن لليابانى أن يسمعها عن امبراطور فكانت قراءة كلمة

أنا هذه بمثابة ضربة مميتة لاعضاء الوفد والمرسوم كان لتخويل الوفد صلاحية التوقيع على شروط التسليم نيابة عن الجيش اليابانى والحكومة اليابانية • وعند عودتنا للفندق فسرت الموقف للوفد اليابانى وقلت لهم أن القائد الاعلى لم يقصد أبدا تحقير امبراطور اليابان أمام شعبه بل المسألة مسألة صياغة وسأحاول الاتصال بالجنرال ماك آرثر ليسمح لكم باعادة صياغة مرسوم التسليم بالاسلوب اليابانى المألوف والذى لا يجرح كبرياء امبراطوركم فعادت البسمة الى وجوههم وفعلا أعيدت صياغة اعلان التسليم الذى سيعلنه الامبراطور بشكل يحفظ عليه هيبته ولا يحرج شعور الملايين من أهل اليابان الذين يقدسونه•وقد شرحت ذلك فى مقابله ثانية للجنرال ماك آرثر فوافق على ما فعلت وارتاح الى تصرفى وقال أنه لا يضمر شرا للامبراطور ولا ينوى تحقيره أمام شعبه بل سيحاول أن يحكم البلاد عن طريقه •

وعند ما عادت وثيقة التسليم الرسمية من واشنطون أجريت فيها تغييرات على الاسس السابقة فغيرت ضمائر « أنا » الى « نحن » وكلمات « شخصى » الى « شخصنا » واختيرت البارجة ميسورى ليتم عليها التسليم ذلك طلبنا أن يوقع اعلان التسليم الامبراطور بنفسه وكذلك رئيس الوزراء فى خليج طوكيو • وحتى لا تتكرر الغاء المعاهدات كما فعلت ألمانيا ، بل وكل أعضاء الوزارة وبذلك يتخذ الاعلان الصيغة القانونية الكاملة ولا يستطيع أحد أن يطعن فى قانونيته بعد ذلك •

تمت الاستعدادات للسفر الى اليابان قبل موعدها وفى صباح يوم ٢٩ أغسطس طارت طائرة ماك آرثر من مطار Nicholas ونزلت الطائرة فى أوكيناوا لتبيت هناك ثم بعد ذلك طرنا الى اليابان وتملكتنى فى هذه اللحظة مشاعر من دعاة القدر ليشترك فى عمل عظيم كهذا ومن اختارته دولته ليكون فى معية القائد الاعلى عند توقيع وثيقة التسليم • وفى يوم ٣٠ أكتوبر هبطت طائرتنا فى مطار Atsugi بطوكيو ومنه الى يوكوهاما حيث توجد الجراند هوتيل وسلكنا طرقا جانبية لان السلطات اليابانية لم تكن متأكدة تماما من مشاعر أهل البلاد وكانت تخشى أن يحدث شىء ومع ذلك فعند وصولنا يوكوهاما استقبلتنا الجماهير بعدم الاكتراث وفى الحال طلب منى ماك آرثر الذهاب الى طوكيو وفحص السفارة لمعرفة ما اذا كانت مناسبة لكى تكون سكنا خاصا له وكذلك الفندق الامبراطورى ليكون مقرا لباقى رجاله ، وكم كان سرورى عظيما بأن أكون أول أمريكى يدخل طوكيو منذ نشوب الحرب فسافرت فى عربة مع ضابط بوليس يابانى وممثل

لمكتب الاتصال وفى أثناء سفرنا فى الطرق التى خربتهـا الحرب لاحظت وجود دبابات ضخمة ثابتة من الفولاذ قيل أنها كانت للوقاية من الغارات وعند وصولنا الى مشارف طوكيو لاحظنـا وجود بعض الجنود وعنـد ما اقتربنا من محطة Shinagawa وجدنا فرقة كاملة يجرى اجلاؤها عن المكان ورغم خوفنا فقد سرنا في وسط الجنود وكانت نظرتهم الينـا زائغة لا معنى لها . وأخيرا وصلنا السفارة وبعد الفحص وجدنا أنها تصلح لاقامة ماك آرثر بعد اجراء بعض الترميمات فيها . ثم بعد ذلك اتجهنا الى الفندق الامبراطورى ووجدناه سليما لم يمس ماعدا الجنـاح الايمن الذى دمرته النيران بأكمله . وطلبت مقابلة المستر Inumaro وعنـد ظهوره سالت الدموع من عينيه فسألته عن أعضاء نادى اتحاد الباسفيك فطلب منى أن لا أذكرهم مؤقتا محافظة على حياتهم لان جمعية التنين الاسود ربما تقتلهم كما أن شباب Kamekaze كان لا يزال نشيطا فوافقته على ذلك ورأيت الانتظار حتى يحل الجيش وتسرح قواته ويتم احتلال البلاد ويعرف الشعب أن مستقبله ينوقف على هؤلاء الناس والمهم أن الفندق كان مستعدا لاستقبال رجالنا وفي المساء عدنا الى يوكوهاما ورفعت تقريرا الى الجنرال ماك آرثر بنتيجة زيارتى لطوكيو وأمرنى بأن أتصل فى الصباح بالسلطات اليابانية لاطلب اعادة السفارة الى ما كانت عليه قبل الحرب واعادة الخدم الذين كانوا فيها . فما أقسى الاقدار كنا حفنة من الرجال نصول ونجول ونتحكم في بلاد كانت لاتزال تعتبر من الوجهة الرسمية فى حالة حرب معنا لقد كانت لحظة تاريخية .

* * *

٣ ـ على ظهر ميسورى :

انبثق فجر اليوم التاريخي وحضر اليابانيون بدون أسلحة كأوامر ماك آرثر واعد المكان لهذا الحدث الهام وطريقة المنول أمام القائد وطريقة التحية واعد مكان لرعاية الصحافة والسينما وصعـدنا الى ظهر البـارجة وبدأ الاحتفال وتم التوقيع على معاهدة التسليم . وبعد ذلك اصطحبت الوفد الى الرصيف وقـد لاحظت أن شـعورا من الخلاص ظهر على وجوههم وبدأت الابتسامة ترتسم على محياهم وبعد ذلك عدت للفندق لتناول الطعام وذهب ماك آرثر الى مقره وشعرت فى ذلك بأننى قد صعدت بالفعل الى أعلى مكان فوق أوليمب ومرت فى مخيلتى أحداث الخمس والعشرين سنة الماضية وكيف انتهت بحدث من أعظم أحداث التاريخ .

وهكذا بعد أربع سنوات وثلثى سنة من الحرب ورسم الخطط مع عدو يفوقنا فى العدد وفى وقت لم تتوافر فيه لماك آرثر القوات الكافية أو المعدات جاء النصر النهائى والتسليم والسلام الدائم وساهم فى هذا النصر كل جندى وكل صانع وكل قطعة من السلاح ولم يكن يتسنى لواحد أن يحرز هذا النصر الا بالتعاون الشامل من جانب الجميع : السلاح الجوى والسلاح البحرى والقوات البرية كما اننا استعملنا فى هذه الحرب كذلك وبنجاح منقطع النظير الحرب السيكلوجية كان ماك آرثر هو القائد والملهم والمحرك لكل الاطراف الاربعة هذه ٠

وفى يوم ٣ سبتمبر حضر Shigemitsu وزير خارجية اليابان ومستر Okazaki لتقديم فروض الولاء والاحترام للقائد الاعلى ولاحاطته علما بأن Okazaki قد أصبح رئيسا لهيئة الاتصال التى ستتعامل معنا فتلقينا تعليمات ماك آرثر فى هذا الشأن وطلب تشكيل حكومة ديمقراطية تستند الى العدالة وترتكز على حقوق وكرامة الفرد ٠ وخرج وزير الخارجية وبقى Okazaki ليشكرنى على اعادة صياغة اعلان التسليم الذى وقعه الامبراطور فقلت له فى مقابل ذلك اننى أتوقع أن يقوم الامبراطور شخصيا بزيارة ماك آرثر فقال ان زيارة وزير الخارجيه هى فعلا مقدمة لزيارة رئيس الوزراء ثم الامبراطور فى النهاية وهى حدث ليست له سابقة فى تاريخ البلاد ٠

ثم كلمنى عن شكاوى أخرى من سلوك الجنود الامريكيين وهى هتك الاعراض والاعتداء على المدنيين من اليابانيين والاستيلاء على ساعات رجال البوليس وارتكاب جرائم السرقة بالاكراه وكان ردى هو اطلاعه على ما فعله اليابانيون فى الفلبين وشرحنا له كيف أن الجرائم التى ارتكبها الامريكيون لا تعتبر شيئا مذكورا الى جانب جرائم جنودهم فى مانيلا وأيدت أقوالى بصور فوتوغرافية أخرجتها من درج المكتب فصعق الرجل وكاد يغمى عليه ويبدو أنه علم بذلك لاول مرة ولم يكن يدرى عنها شيئا قبل ذلك ٠ وسألنى عما اذا كنت أعرف أسماء المسئولين عن هذه الجرائم فقلت له بالطبع وسنطالبك بتقديمهم الينا لمحاكمتهم لانهم وصمة عار لا بالنسبة للشعب اليابانى فقط بل بالنسبة للانسانية كلها ٠

وبعد ظهر ذلك اليوم حضر مدير القسم الطبى بالجيش الامريكى ليؤكد ما وصله من معلومات عن استعدادات اليابانيين لشن الحرب الميكروبية فقدمت له التقارير التى جمعناها عن هذا الموضوع ٠ وكانت التقارير

شاملة وتؤكد أن اليابانيين كانوا بالفعل قد أتموا استعداداتهم لشن الحرب البكتريولوجية بالفعل لدرجة أن أحد أطبائهم العسكريين قد منح أعلى نيشان لاختراعه قنبلة بكتريولوجية تطلق من مدافع المورتار ٠

بمرور الوقت زادت جرائم الجنود الامريكيين لدرجة جعلت ماك آرثر يذيع عليهم رسالة يناشدهم فيها احترام حللهم الرسمية والاستمساك بالشهامة التى كانت تميزهم فى وقت الحرب وأنهاها بتهديده بعقاب المذنب عقابا رادعا قاسيا فوقفت موجة الاجرام وقد جلب هذا الاجراء السريع من جانب الجنرال ماك آرثر احترام اليابانيين الذين كانوا يعتقدون أن الامريكيين برابرة وأن الحضارة المسيحية للولايات المتحدة والشرف العسكرى الامريكى تسمحان بمثل هذه الجرائم وبالطبع غيرت هذه الاجراءات فكرة اليابانيين عن الامريكيين وفلسفاتهم وأخلاقهم وطرائقهم فى الحياة ٠

طلب الجنرال كذلك أن ترش المدن اليابانية بمسحوق الـ د د ت لمنع الاوبئة من الانتشار ولكننى طلبت منه أن يؤجل هذا العمل نظرا لان الشعب اليابانى ربما يظن عندما يرى الطائرات ترش سحب من هذا المسحوق أنها تمطره بميكروبات للقضاء عليه كنوع من الانتقام وبالفعل اقتنع الجنرال ماك آرثر برأى وتأجل هذا المشروع لوقت آخر ٠

١٦

الضلع الرابع فى الحرب

لقد كان البريجادير Bonner F. Fellers السكرتير العسكرى للجنرال ماك آرثر هو الذى أطلق اسم الضلع الرابع للحرب على الحرب النفسية وفى الواقع كان أكثر ما كتب عن هذا الموضوع بعيدا عن الحقيقة٠

شكل الحلفاء فى المراحل الاولى للحرب جمعية سرية للغاية لقيادة الحرب النفسية فى منطقة المحيط الهادى وكانت الخطة محدودة الغاية والمدى اذ أنها كانت تهدف الى توجيه الدعاية الى جنود الاعداء وكنت على يقين منذ البداية أن مثل هذه الدعايات غير مجدية لانها لا تخاطب الا ٣٪ من الشعب اليابانى بينما ٩٧٪ من اليابانيين فى أرض الوطن لا يستمعون اليها ٠ فضلا عن أن نوع الدعاية التى كانت موجهة الى الجنود اليابانيين فى الميادين الخارجية لم تكن تهدف الا الى اثارة الحنين الى الوطن فى نفوسهم وهو أمر لا يدفعهم الى التسليم اطلاقا بل على العكس قد يشحذ هممهم فى القتال حتى يستطيعون انهاء الحرب بسرعة ٠ ومما يثبت ذلك اننا لم نوقع فى الاسر أى سخص سلم نفسه بسبب حنينه الى الوطن بل رأينا عكس ذلك وهو القتال حتى الموت من جانب اليابانيين مثلما حدث فى Buna ومن الثابت من الاحصائيات أن متوسط عدد الاسرى بالنسبة للقتلى كان ٦٠٠ الى ٤٠ر٠٠٠ وهى نسبة لا تصدق خصوصا اذا قورنت بنسبة أسرانا الى قتلانا فى الحرب العالمية الاولى فقد كان عدد الاسرى ١٢٥ر٨٩٠ وعدد القتلى ١٧٥ر٤٠٩ وكان استعمال السجائر مضيعة للمال كذلك لان اليابانيين كانوا يلقنون دعايات ضدها مفادها أنها مشحونة بميكروبات الكوليرا والزهرى وعلى ذلك فقد تركت لفائف التبغ المبعثرة فى ميادين القتال دون أن تمس وفى نفس الوقت كانت بعض الدعايات التى أعدت فى واشنطون فى بداية الحرب قطعا زائفة من فن الدعاية وفى سنة ١٩٤٣ اقترحت خطة للحرب النفسية لم تقابل بالحماسة فى بداية الامر وفى سنة ١٩٤٥ وعندما تقلد الجنرال Fellers منصب مدير الحرب

السيكلوجية قام بتنفيذها وجعلها جزءا من خطته الاستراتيجية وجوهرها هو أن تنقل الى اليابانيين الحقائق المجردة أولا ثم بعد ذلك نستفيد الى أقصى حد من خرافاتهم المعروفة وفى هذا الصدد سأذكر حادثة طريفة قدمت الخطة الى وزارة الحرب فوافقت عليها ادارة الحرب النفسية بالوزارة موافقة تامة الا أن بعض الخبراء علقوا عليها بقولهم ان كبار السن من أهالى الريف هم الذين يصدقون هذه الخرافات فقط وفى الواقع يعتبر اليابانيون أكثر شعوب العالم ايمانا بالخزعبلات فكل ظاهرة طبيعيه لها معنى خرافيا عندهم هذا فضلا عن بعض الظواهر الاخرى فمثلا عدد ٧ أو أى عدد فيه رقم ٧ يعتبر فألا سيئا بالنسبة لهم فلا يمكن لياباني أن يفعل شيئا فى يوم ٧ أو ١٧ أو ٢٧ وهناك فى اليابان قبل أن يقدم رجل على بناء منزل فانه يذهب الى العراف ليحدد له ميعاد بناء المنزل وفى أى ركن من أركان البيت يضع المطبخ أو الحمام وفى سنة ١٩٣٧ عند ما دعوت الامير Tokugawa للعشاء معى وزوجتى استشار عرافا لتحديد اليوم والساعة التى يقبل عيها الدعوة ويبين هذا أن الخرافات لم تكن متفشية بين القرويين والجهال بل بين المتعلمين كذلك .

ومن طباع اليابانيين أنه لا ينحمل التحقير ونحن كلما أردنا استدراج الاسطول اليابانى الى مكان ما لتدميره كنا نلجأ الى التحقير وهذا ما حدث عند بدء حملة الفلبين فقد اذيع ما يأتى بالحرف الواحد « هل من الممكن أن الاسطول الامبراطورى اليابانى الذى لا يشك أحد فى شجاعة رجاله يستمر على عدائه التاريخى ضد الجيش الامبراطورى اليابانى لدرجة أنه تركه بدون عون وعرض رجاله للموت كالكلاب على سواحل بلاد أجنبية ؟» وفى بحر أربع وعشرين ساعة سمع اليابانيون تحدينا ، وبعدها أذعنا رسالة أخرى على الهواء وهى « ان البحرية الامبراطورية اليابانية تستغل لحماية المياه الاقليمية بقرار من القيادة العامة الامبراطورية » والرسالة التالية كانت « بمناسبة الاعلان الذى صدر ويقول ان جزر الفلبين قد أصبحت الان جزءا من الامبراطورية اليابانية كيف يمكن للاسطول اليابانى أن يكون صادقا فى دعواه من أنه يحرس الامبراطورية اليابانية فى حين أنه هجر جنود اليابان فى الفلبين ؟ اليست مياه الفلبين جزءا من المياه الاقليمية للامبراطورية ؟ »

كانت نتيجة التحدى سريعة فقد أسرع الاسطول اليابانى الى حيث دمر فى مضيق Heyte وبعد وصولنا مانيلا بدأت فى ارسال سلسلة من الاذاعات الموجهة الى قلب اليابان وباذاعة هذه السلسلة اشتدت الحرب النفسية .

في بداية الحرب أجبر اليابانيون الاستراليين على الاستماع الى اذاعاتهم لانهم كانوا قد أوقعوا في الاسر الآلاف من أبناء استراليا فكان أهل البلاد يستمعون علهم يعرفون شيئا عن مصير أبنائهم راقت الفكرة لي عندما اقتربنا من اليابان في المراحل الاخيرة للحرب ورأيت أن أذيع أشياء تجذب انتباه اليابانيين وهي مدح أحد اليابانيين في كل مرة لانتحاره في سبيل مبادئه ومهاجمة آخر لعدم التزامه بقانون المحارب وابتعدت بالطبع عن اليابانيين الذين كنت أعرفهم ·

استعمل عاملان نفسيان كذلك في المراحل الاولى للحرب في منطقة المحيط الهادى فاليابانيون يحرقون عادة جثث موتاهم ويضعون رماد كل جثة في صندوق منفصل ويرسلون هذه الصناديق الى اليابان وهذه الصناديق تعتبر مقدسة لانها تضم رفات جنودا استشهدوا في ميادين القتال ، وفي حملة من الحملات التي شنت على غينيا الجديدة وقع في أيدينا عددا من هذه الصناديق المعدة للشحن لليابان · وبعد بعض المشاورات من ضباط الحرب النفسية استقر قرارنا على القاء هذه الصناديق على أقرب معسكر من معسكرات العدو بالمظلات حتى نثبت لهؤلاء الناس أننا قوم متحضرون ونحترم مقدسات وعقائد أعدائنا ·

وبعد ذلك فكرت في خطة أخرى ربما يكون من شأنها تحطيم معنويات العدو فقد وقعت أيدينا على مئات من دفاتر توفير جنود العدو فأصدرت الاوامر بالمحافظة على هذه الدفاتر وباعداد العدة لالقائها بالمظلات في أقرب فرصة على معسكرات العدو · وارسلنا مع هذه الدفاتر رسالة نقول فيها ان الجنود أصحابها قد لقوا حتفهم وان المبالغ المودعة بموجب هذه الدفاتر قد وضعت في حساب خاص وتبلغ هذه الاموال ٥٧ر٦٥٥ر٧١٩ ينا وعلى الحكومة اليابانية معرفة أقرب الناس الى هؤلاء الجنود والتحقق من عناوينهم وشخصياتهم وبعد ذلك سنرسل لكم هذه الاموال حتى توزع على أربابها ·

ولكن انتهت الحرب قبل تنفيذ ذلك وقبل أن أغادر اليابان في ديسمبر سنة ١٩٤٥ وضعت قائمة بهذه الدفاتر وكانت الاموال المودعة أكثر من نصف مليون ين وصدرت الاوامر للحكومة اليابانية بصرف تلك الاموال لمستحقيها وعندئذ لم تعد هذه العملية عملية دعاية بل أنها أثارت قدرا كبيرا من الاحترام والتعليق الطيب من جانب اليابانيين ·

في سنة ١٩٤٤ حدثت حادثة طريفة للغاية قال أحد رجالنا أن اليابانيين مصابون بعمى الالوان بسبب ما يأكلونه من الارز وانه لو تمكننا من معرفة اللون الذى يخطئون فيه لأمكننا استغلال ذلك فى عمليات التمويه حتى لا يستطيعون رؤية دباباتنا ومدافعنا وجنودنا وطياراتنا وعلى ذلك طلبنا تصريحا بفحص نظر الاسرى اليابانيين حتى يتسنى لنا معرفة ما عندهم من عمى لونى ولكننى عارضت فى ذلك فى النهاية لاننى أيقنت أنهم اذا كانوا لا يرون اللون القرنفلى فليس معنى هذا أنهم لا يستطيعون رؤية شيء لأن هذا اللون لن يجعل معداتنا شفافة غير مرئية وأوقفت الفحص الطبى ويجدر بى هنا أن أذكر شيئا عن الحرب السيكلوجية • عبر عنها بالفعل تعبيرا صادقا واضحا الجنرال Fellers فقد قال « اذا كان من الممكن أن يستعمل الحق كسلاح للتأثير على معنويات دولة فى وقت الحرب فاننى لا أجد سببا لعدم استعمال الحق والحق المطلق فى زمن السلم لمنع الحرب » •

١٧

نبــذة اضافية

انتهت الحرب وانتهى بنهايتها دورى المتواضع فيها وسمح لى الجنرال ماك آرثر أن أشرح له خطتى « خطة م » وأقص عليه قصة استقالتى من الجيش النظامى حتى يمكننى تنفيذ تلك الخطة ومحاولاتى التالية لالتحق مرة أخرى بالجيش تلك المحاولات التى باءت كلها بالفشل ولعلمه بأن أية محاولات جديدة فى هذا السبيل لابد أن تكون فى واشنطون ، فقد سمح لى بالعودة ٠

تركت اليابان فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٥ وفى أمريكا عينت فى مكتب الجنرال Edward F. Witsell لأعمل فى الشئون الادارية حتى يحل ميعاد احالتى على المعاش وبعد عودتى نشر كتاب الرير أدميرال Ellis M. Zcaharias وعنوانه « مهام سرية » Sceret Mission وفيه أصبح جزءا من قصتى معروفا كما أنه خصص جزءا من كتابه للخطـة م « أو خطة ما شبير » ووصفا للطريقة التى أعددنا بها هو وأنا وبتكليف من أميرال الاسطول Ernest J. King المسودة الاولى والخطوط العامة لما عرف منذ ذلك التاريخ « بادارة المخابرات المركزية » أو The Central Intelligence Agency والآن بعد أن أصبحنا فى غير حاجة الى السرية استطعت العودة الى الجيش بعد تحقيق أجرته لجنة من الجنرالات عن تاريخ حياتى استشهدت فيه ببعض زملائى وبما كان تحت يدى من أدلة ووثائق وعدت الى الجيش النظامى برتبة كولونيل وفى أول أكتوبر سنة ١٩٥١ وصلت سن الستين واحلت الى المعـاش راضيـا عمـا قمت به فى مجال المخـابرات والحرب النفسيـة ويكفينى أننى عشت حتى وجـدت المخابرات والحرب النفسية جزءا لا يتجزء من جيشنا ٠

الدروس المستفادة

فى التمهيد للدروس المستفادة من هذا الكتاب

والآن بعد هذه القصة الطويلة التى يؤرخ بها رجل لحياته فى أكثر من ثلاثين سنة وبخاصة للسنوات التى عاشها فى خضم أعمال المخابرات فى أكثر من مكان يحدوه الأمل ·· وتوجه فكرة ·· ماذا يمكن أن نخرج به من دروس عامة تصلح أساسا للمناقشة ·· والاتباع ؟ ··

وفكرة « الدروس المستفادة » كما قلنا أكثر من مرة فى هذه السلسلة من الكتب الخاصة بأعمال المخابرات الايجابية والسلبية ، وبأعمال الجاسوسية ومكافحتها ·· مسألة تقديرية متروكة أصلا للتقدير الفردى ، وما نقدمه هنا من هذه الدروس انما هو مجرد أراء للمترجم ·· قد تتفق مع أراء القارىء أو قد يحور منها القارىء تبعا لارائه الخاصة ··

على أنه قد يكون من ألزم الضروريات هنا أن نشير الى أنه من الضرورى العناية أولا بدراسة ما يلى دراسة واعية بعد الانتهاء من مطالعة الكتاب كله ·· دراسة واعية بالوقوف عند كل سطر ومناقشة كل رأى والانتهاء الى قرار فى كل مبدأ من المبادىء التى قدمها المؤلف أو عرضها المترجم استنباطا منه لما يبدو بين السطور ·· وهى :

١ ـ الدروس التى عرضت فى الحديث عن الكتاب لايضاح اهميته ·

٢ ـ الفصل الثالث من (الكتاب الأول) والخاص بالحديث عن : « المخابرات : ماذا هى » ـ « تنظيم المخابرات فى الفرقة المشاة » ـ « أعمال الجاسوسية » ـ شبكات الجاسوسية الالمانية واليابانية » قبل الحرب العالمية الأولى ·

٣ ـ الفصل الخامس من (الكتاب الثانى) والذى وسم « مغامرة فى فلاديفوستك » وخاصة الجزء الذى يوضح ما يجب على من يبعث فى مهمة خاصة بالمعلومات ، وكيف يستطيع معرفة من يرسل لمراقبته وتعقبه ، وكيف يتجنب هذه الرقابة ، والأهم كيف يحافظ على سلامة ما يحمله معه من أوراق ·

٤ ـ الفصل السادس من (الكتاب الثانى) والذى يعرض لتوجيه الفرد لنفسه للدراسة الاستراتيجية وبخاصة الدروس المستقاة من حرب البوير وحرب النمسا فى شمال ايطاليا ثم الحرب الأهلية الأمريكية ، وأهم ما فى هذه الدراسة من ضرورة تفهم عقليات الشعوب التى يمكن أن تكون يوما ما فى صفوف الأعداء .

٥ ـ ما جاء خاصا عن الحرب النفسية والأساليب التى تستخدم بالنسبة لكل شعب .

٦ ـ كل فصول الكتاب الرابع وهى الفصول التى عرض فيها المؤلف دوره فى منظمة ATIS **الهيئة التى كانت تتولى ترجمة الوثائق واستجواب الاسرى ، ودور أساتذة اللغات ممن يقومون بالترجمة لهيئات المخابرات ، وكيفية التصرف العاجل فى المعلومات التى يمكن الخروج بها من هذه الترجمات .**

* * *

على أنه من الضرورى فى هذه الدراسة الواعية التى أشرنا اليها أن نناقش الدروس فيما يشبه « الندوات » حتى يمكن أن تتبلور عدة مقترحات صالحة للاتباع فى الميادين المختلفة التى نعنى بها ..

الدروس المستفادة :

وبهذا يكون الباقى فيما عدا ما أشير اليه فى التمهيد قبل سطور ، والذى آثرنا أن نستخلصه من الفصول التى جاء فيها هو ما يلى :

١ ـ خطورة المواطنين الذين هم من أصل أجنبى سواء عن طريق أحد الأبوين أو عن كليهما ، وبخاصة اذا كان لهم أقرباء فى موطنهم الأصلى وثيقو الصلة بهم ، وكان هذا الموطن تحت حكم حكومة عقائدية لا تجد ما يمنع من استخدام هؤلاء الأقارب كرهائن لفرض توجيهات خاصة على هؤلاء المواطنين .

٢ ـ **أهمية العناية بالرقابة والسيطرة فى الأماكن والمواقع الخاصة بالدفاع مهما كان طابعها سواء أكانت منشئات أو مواقع أسلحة .**

لاحظ أن بعض كماشات صغيرة وبعض حفنات من الرمال يمكن أن تشل حركة جميع المدافع الساحلية أو تعطل عمل أجهزة الرادار أو آلات تقدير الارتفاع فى المدفعية المضادة للطائرات أو تعطل محركات المصانع التى تنتج عتاد الحرب ، ولهذا فانه من الاهمية بمكان فحص ماضى كل العاملين فى هذه المنشآت والمواقع ، وتبين اتجاهاتهم السياسية والأخلاقية وملاحظة مستواهم المادى بل وحتى مشكلاتهم الاسرية الخاصة .

٣ ـ **خطورة المنظمات العقائدية ، العقائد التى تستورد من خارج البلاد ،**

وبخاصة بالنسبة لعمل هذه المنظمات للتحطيم التدريجى للشباب مبتدئة بالكليات والمعاهد فى المدى الذى تسمح له بها الفرص سيما فى فترات الاضطراب الاقتصادى ، وعدم توافر الوسائل التى يمكن أن تمتص كل الخريجين .

٤ ـ **أهمية المعلومات فى المصادر العلنية :** ومع وضوح أهمية المعلومات التى تنشر فى المصادر العلنية من صحف ودوريات ، والتى يمكن أن يخرج بها حتى القارىء العادى فضلا عن القارىء الواعى ، **الا أن هذه المعلومات لا تكون معلومات مخابرات الا بعد أن يجمعها ويرتبها خبير له قدرة على تحليل الانباء .**

ومثل عمل هذا الخبير عمل «قصاص الاثر» فآثار حصان على الرمال لا يعنى شيئا بالنسبة لكل الناس ، ولكن قصاص الأثر يستطيع أن يقول ما اذا كان الحصان مثلا يعرج أو يجرى أو محملا بحمل ثقيل ، وفى نفس هذه الصورة يكون عمل خبير المخابرات الذى يقوم بجمع المعلومات وتصنيفها وربطها ببعضها ثم الخروج منها بالاستنتاجات الصحيحة .

٥ - الدور الهام الذى للعاملين فى السلك الدبلوماسى :

نقد اتجاه غالبية من يعملون فى السلك الدبلوماسى الى الحفلات والمجاملات الاجتماعية واغفال الدرو الدراسى الرئيسى الأصلى فى عملهم مثل :

(أ) المعلومات عن التعليم فى البلد الأجنبى الذين يخدمون فيه ٠

(ب) المعلومات عن الأوضاع الاجتماعية ٠

(ج) المعلومات عن المال والاقتصاد وتأثير الحركة الصناعية والتجارية بنظم التكتلات الاقتصادية الدولية وما شابهها .

(د) الاتجاهات العقائدية المختلفة وموقف الطلاب والعمال منها .

٦ - أهمية مراقبة الاتصالات للأجانب مع الأشخاص اللامعين من الجيل الصاعد ٠

ولهذه المراقبة أهميتها ذلك لأن الأفراد اللامعين من الجيل الصاعد هم دائما محل رعاية وعناية الدوائر الاجنبية على أساس أن هؤلاء هم الذين سيتولون الامر بعد سنوات قادمة ، واعداد هؤلاء وتوجيههم وجهات عقائدية أو سياسية أو اقتصادية خاصة له نفعه بالنسبة للمنظمات الاجنبية ما فى هذا من شك ٠

٧ - أهمية التوجيه العسكرى فى الصناعات :

ويثير الكتاب موضوعا هاما جاء فى المرحلة التى عمل فيها ماشبير فى التعاقدات الصناعية للقوات المسلحة فى البر والبحر والجو ٠٠ فالعسكريون أقدر على تفهم احتياجات القوات المسلحة ٠ واتصالهم برجال الصناعة والمال فى ميادين الصناعة والانتاج يمكن من سرعة تطور المصنوعات اللازمة للانتاج للحرب وسرعة تعبئة الجهود والقوى العاملة واختزان المواد الخام اللازمة للصناعات دون اثارة انتباه الاعداء ٠

وهذا التطور الذى يسير على أسس اقتصادية وتجارية متمشيا مع سنة التطور لضمان سوق ناجحة لهذه الصناعات يوفر الوقت والمال على السلطات العسكرية التى قد تفتقر الى الاخصائيين من رجال الصناعة والاقتصاد ، كما أنه يمكن من تطور متلاحق سريع .
فقط يجب ٠ ٠ ٠

٨ السيطرة على التطورات الصناعية والمواد الخام اللازمة لصناعات الحرب
وذلك بفرض حظر قوى على تصديرها للخارج وأقرب الامثلة التى أوردها ماشبير لما حدث من أخطاء من أمريكا هــو أنه عنــدما تم اكتشاف وتطوير ، أحزمة الوقاية للطائرات وعندما تم صنع أجهزة الطيران الاعم للضبط توجيه الطائرات ، باعت المصانع الامريكيــة هذه لاجهزة لليابان ولولاها لما استطاع اليابانيون القيام بالهجوم الغادر على بيرل هاربر فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ٠

* * *

والآن قد لا تكون هذه كل لدروس التى يمكن الخروج بهــا من مطالعة الكتاب ، ولكن لا شك فى أنها هى الدروس البارزة الرئيسية الا أن المجال يتسع للمزيد تبعا لفطنة القارىء وحصافته ٠

